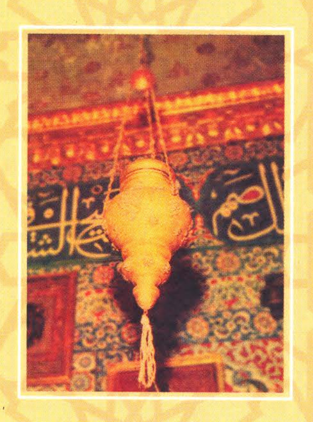




تأليف

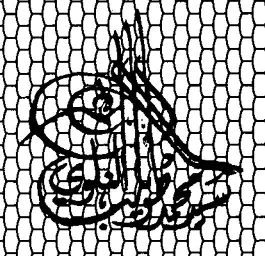
العالم العلامة حجة الإسلام وبركة الأنام

الإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي

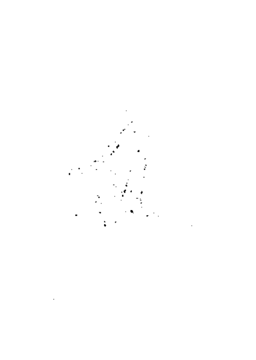
رحمه الله تعالى

(٤٥٠ - ٥٠٥ هـ)












بداية الهداية



بسم الله الرحمن الرحيم

بِدَايَةُ الهِدَايَةِ

تأليف

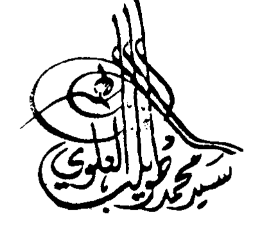
العالم العلامة حجة الإسلام وبركة الأنام

الإمامِ أبي حامدٍ محمَّدِ بنِ محمَّدِ بنِ محمَّدٍ الغزاليِّ

رحمه الله تعالى

(٤٥٠ - ٥٠٥ هـ)

طبعةٌ مقابلةٌ على نسخةٍ نفيسةٍ قريبةٍ من عهدِ المؤلِّف



دار المنهاج



لبنان ـ بيروت ـ فاكس: ٧٨٦٢٣٠
ص. ب: ٥٥٧٤/١٣/ بيروت

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م

دار المنهاج للنشر والتوزيع
لصاحبها عمر سالم باجخيف
وفقه الله تعالى
جدة ـ هاتف: ٦٣٢٢٤٧١ ـ ٦٣١١٧١٠ ـ فاكس: ٦٣٢٠٣٩٢



عُنيَ به

أنس محمد عدنان شرفاوي — عمر سالم باجخيف

محمد غسان نصوح عزقول — محمد نور عبد الرحمن كنجو

راجعه وصححه

حسين بن محمد بن هادي — علي باقطيان

الدكتور محمد عبد الرحمن الأهدل





بين يدي الكتاب

الحمد لله ، والصّلاة والسّلام علىٰ سيّدنا رسول الله ، وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه .

أمّا بعد :

فإن « **بداية الهداية** » اسمٌ طابق مسمّاه ، ومشعلٌ ينير الدّرب للسّالك الأوّاه ، جَنَاهُ دانٍ للمقتطفين ، ومنهله عذبٌ سائغ للمتعطّشين ، تتفجّر من نصوصه ينابيع الخير ، وتصبّ مزنة حِكَمِه في أودية الاستقامة .

كيف لا .. ومحبِّر طروسه الأُستاذ حجَّة الإسلام ، ونبراس الأعلام : أبو حامد الغزالي ، الَّذي انعقدت الخناصر علىٰ علوِّ كعبه ، وأشارت أعين الفضل إلىٰ تقدُّمه في المعارف ، فأحيا الله به علوم الدّين ، وتهاوت أمام

تحريراته شبه الفلاسفة ، وردَّ الله به الزّنادقة علىٰ أعقابهم خاسئين؟ ![1]

(١)

وهـٰذا الكتاب علىٰ صِغَر حجمه : جمٌّ الفوائد ، كثيرُ العوائد ، عظيمُ النَّفع ، مباركُ المحتوىٰ ، ينبعث منه شذى الإلهام الرَّبّانيّ ، وتشعُّ سطوره بنور الإخلاص .

لذلك كان هـٰذا الكتاب رفيقَ المبتدئين ، وسميرَ الموفَّقين ، ومرشدَ الطَّالبين ؛ لأنَّ فيه أُسس البدايات الَّتي تشدُّ القارىء إلىٰ رياضه حين يضيء مصباح التَّوفيق .

---

(١) قال ابنُ النجار : أبو حامد إمامُ الفقهاء على الإطلاق ، وربَّانيُّ الأمة بالاتفاق ، ومجتهدُ زمانه ، وعينُ أوانه ، برع في المذهب والأصول والخلاف والجدل والمنطق ، وقرأَ الحكمة والفلسفة ، وفهِمَ كلامهم ، وتصدَّى للردِّ عليهم ، وكان شديدَ الذكاء ، قويَّ الإدراك ، ذا فطنة ثاقبة ، وغوص على المعاني . « سير أعلام النبلاء » (١٩/ ٣٣٥) . .



(٢)

فلا غَرْوَ إن رأينا الكتاب قد شرَّق وغرَّب ، وأنجد وأتهم ، ولا غرابة إن رأينا تزاحم أقلام العلماء علىٰ مائدة متنه ، وهي مُعنقة إلىٰ تبيان معانيه ، وإبراز فوائده .

فمَلَكَةُ الإبداع في التَّصنيف لم يَفُزْ بها إلاَّ ثُلَّةٌ من أولـٰئك الصَّفوة ، وكان الغزالي هو المُجَلِّي في هـٰذا الميدان ، وهو فارس البيان ، والسَّابق للأقران .

كما قال الإمام فخر الدّين الرازي : (كأنَّ الله جمع العلوم في قُبَّة وأطلع الغزالي عليها) .

(٣)

ويَحسُنُ بنا هنا أن نشير إلىٰ أمر حُمِلَ علىٰ غير محمله ، وفُهِمَ علىٰ غير معناه ، وهو قول حجَّة الإسلام الغزالي رحمة الله عليه : (إنَّ بضاعتي مزجاة في علم الحديث) .

هـٰذه العبارة وُجِّهَتْ مِنْ قِبَلِ البعض توجيهاً يُقصَدُ منه

التَّنقيص من قَدْرِ هـٰذا الإمام العظيم .

والحقيقة أنَّ هـٰذه الكلمة قد قالها الإمام الغزالي رحمه الله من باب التَّواضع .

ومَنْ مِنَ الأئمة قال : إنَّ بضاعته كاملة في علم الحديث؟!

بل من يجرؤ علىٰ قول ذٰلك؟!

إنَّنا إذا قرأنا سيرة هـٰؤلاء الرِّجال الأفذاذ .. نجدُ فيها قمَّة الأدب مع الله جلَّ جلاله ، وكمال التَّبري من الحَوْل والقوَّة ، والتَّمثُّل الكامل لحقيقة الفقر إليه سبحانه .

كما نجد فيها الاستشعار التامَّ لمعنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ .

فبهـٰذا ومثله وصلوا إلىٰ ما وصلوا إليه .

والإمام الغزالي رحمه الله تعالىٰ مثال كبير لما سبق .

وكلَّما عرف الإنسان ربّه جلَّ جلاله ، وزاد تعظيمه له .. ازداد احتقاراً لنفسه وانتقاصاً لها .

وكلَّما خاض في العلم وتوسَّع فيه .. كلَّما ازداد استصغاراً لعلمه ، كما قال الإمام الشّافعي رحمه الله :

كُلَّمـــا أدَّبنـــي الـــدَّهْـــ ـــرُ أَرَانـي نَقْـصَ عقلـي
وإذا مـــا ازددتُ علمـــاً زادنـــي علمـــاً بجهلـــي

ثمَّ إنَّ حجَّة الإسلام رحمه الله عاش في عصرٍ من عصور الإسلام الذهبيَّة ؛ عصرٍ مليءٍ ومشحونٍ بالرِّجال الفطاحل ، والأئمَّة المجتهدين ، ومع ذلك فقد سَلَّمُوا له القيادَ في ذلك الزَّمان الَّذي فيه مَنْ فيه .

فما بالنا في هذا الزَّمان الَّذي كثُرت فيه الجَرَاءة ، وعظُمت فيه الرَّزية .. ننتقد أمثال أُولئك الكبار؟!

فانتقاد أمثال هؤلاء يطعنُ بمنتقديهم ، لا بهم ؛ كما قال الشَّاعر :

كناطحٍ صخرة يوماً ليوهِنَها فلم يُضِرْهَا وأوهىٰ قرنَهُ الوَعِلُ

وهذا الانتقاد مبعثه الجهل المحض دون شكٍّ ؛ كما قيل : (من قلَّ علمه .. كثر انتقاده) .

ثمَّ إنَّ الأُمَّة قد أجمعت علىٰ أنَّ حُجَّة الإسلام كان هو مُجَدِّدَ المئة الخامسة .

ومعلوم أنَّ المجدِّد يكون في قمَّة الهرم المعرفي ، ولاسيَّما فيما يتعلَّق بالعلوم الشرعيَّة والمعارف النَّقليَّة . فمِنَ البُعدِ بمكانٍ أن نقول : (إنَّ الإمام الغزالي كان قليل المعرفة بعلوم الحديث)[1] .

---

(١) وللإمام تاج الدّين السّبكي كلام في غاية النَّفاسة والأهميّة ، ينبئ عن قاعدة عظيمة في معرفة قدر الرِّجال ومكانتهم العلميّة .

قال رحمه الله تعالىٰ في « طبقات الشَّافعيّة » (٦/ ٢٠٢) : (إنَّ الَّذي يحب أن يطَّلع علىٰ منزلة من هو أعلىٰ منه في العلم . . يحتاج إلىٰ العقل والفهم ؛ فبالعقل يميِّز ، وبالفهم يَقْضِي .

ولمَّا كان علم الغزالي في الغاية القصوىٰ . . احتاج من يريد الاطِّلاع علىٰ مقداره فيه أن يكون هو تامَّ العقل .

وأقول : لا بُدَّ مع تمام العقل من مداناة مرتبته في العلم لمرتبة الآخَر ، وحينئذٍ فلا يعرف أحدٌ ممَّن جاء بعد الغزالي قدر الغزالي ، ولا مقدارَ علم الغزالي . . إلَّا بمقدار علمه ، أمَّا بمقدار علم الغزالي . . فلا ؛ إذْ لم يجئ بعده مثله ، ثمَّ المداني له إنما يعرف قدرَه بقدر ما عنده ، لا بقدر الغزالي في نفسه . =

(٤)

والغزالي وإن كان شافعيَّ المذهب إلَّا أنَّ الفوارق المذهبيَّة تَضْمَحِلُّ إذا تناول المؤلِّف أصول العبادات ، أو تصدَّىٰ لذكر المنهي عنه شرعاً ، أو عرض علاقة العبد بخالقه وبني جنسه ، وهـٰذه هي الخطوط العريضة لتقسيم محتوىٰ « بداية الهداية » .

فالأُمَّة الإسلاميَّة بمذاهبها تتَّفق في هـٰذه الخطوط ، وتجتمع في مسلك متَّحد .

لذٰلك فهـٰذا الكتاب مطلب كلِّ مسلم ، وبغية كلِّ موفَّق بلا استثناء .

ثمَّ إنَّ الإمام حجَّة الإسلام يتميَّز بكونه أُستاذ الآخرين في علم الاجتماع والنَّفْس ، الخبير بأدوائها ، العارف

= سمعت الشَّيخ الإمام ـ يعني : والده ـ يقول : لا يعرف قدرَ الشَّخص في العلم . . إلاَّ من ساواه في رتبته ، وخالطه مع ذٰلك . قال : وإنَّما يعرف قدرَه بمقدار ما أوتيه هو) .

بتقلُّباتها ، فهو ينطلق من حكمة البصير بتوارد الأحوال على الأنفس ، فيصف الدَّواء النَّاجع لمرضى النُّفوس ، ولا زالت نظرياته في هٰذا الميدان تدرَّس وتبحث في ديار المسلمين وغيرهم[1] .

---

(١) قال الأستاذ أبو الحسن الندوي رحمه الله تعالىٰ : (لقد رُزق العالم الإسلامي في منتصف القرن الخامس الهجري هٰذه الشخصية الفذَّة ، شخصية الغزالي ، وهي شخصية فريدة ، مستقلة التفكير ، قوية التأثير ، تمتازُ بسلامة الفكر ، واتزان العقل ، وحصافة الرأي ، وعمق النظر ، والثقة بالنفس . . . وقد استحقَّ الغزالي ببحوثه العميقة في الأخلاق أن يُوضع في الصف الأوَّل من علماء الأخلاق ، وأن يكون موضع دراسة وعناية من الباحثين في علم الأخلاق ، وعلم النفس ، والمؤرخين لهٰذا الموضوع . . .

لا شكَّ أنَّ الغزالي من نوابغِ الإسلام ، وعقوله الكبيرة ، ومن كبار قادة الفكر الإسلامي . . . ومهما قيل فيه ، وقيل عنه . . فإنَّ إخلاصه أسمىٰ من أن يُشكَّ فيه ، وإنَّ عُلُوَّ همته في جميع العلوم والنبوغ فيها ، ثم عُلُوَّ همته في طلب الحقيقة واليقين ، ثم علوَّ همته في طلب الآخرة وتحقيق غاية الوجود . . لا يزال موضع استغراب وتقدير وإكبارٍ من الجميع ، وإنَّ ما خلَّفه من آثار وتراث علمي ثروة إسلامية لا يُستهان بقيمتها ، ولا ينكر فضلها في عصرٍ من العصور) .

وهنا أمرٌ يحسن أن نشيرَ إليه ، وهو أنَّ المؤلِّف وضع برنامجاً ميسَّراً من منطلق معارفه يوافق المشارب كلّها ، علىٰ تنوُّعها واختلافها ، بحيث يستغرق هـٰذا البرنامج ساعات اللَّيل والنَّهار ، وكافَّة علاقاته مع نفسه وغيره ، وهو سهل التَّطبيق علىٰ من وفقه الله تعالىٰ .

(٥)

وبتوفيق من المولىٰ تقدَّست أسماؤه ، فقد عثرنا علىٰ أصل أصيل لهـٰذا الكتاب ، ومستند عزيز له ؛ ممَّا جعل إخراج هـٰذا الكتاب ـ الَّذي تكاثرت طبعاته وأغلاطه ـ على النَّحو الَّذي وضعه مؤلِّفه .

فقد وُفِّقْنا في العثور علىٰ مخطوطة كتبت سنة (٥٩٦هـ) بخط عبد العزيز بن هبة الله بن عساكر ، وهي قريبة من عهد المؤلِّف رحمه الله تعالىٰ ، وعليها بعض تعليقات لأعلام ، ممَّا يؤذن بأن هـٰذه النُّسخة تداولها العلماء واحتفوا بها .

وإيغالاً في التَّوثيق استعنّا بنسخ متعدِّدة من مخطوطات

هـٰذا الكتـاب ، حتـىٰ خـرج النَّصُّ سليمـاً مـن عـوادي التَّصحيف ، نقيّاً من شوائب التَّرقيع ، فله سبحانه الحمد والمنَّة .

وها هي دار المنهاج تزفُّ إلى القرّاء الأكارم هـٰذه الطَّبعة المنقَّحة الموثَّقة تتهادىٰ في ثوب من التَّحقيق الأنيق ، والإخراج القشيب .

وبالله التوفيق

الناشر

جدَّة في (١٢) ربيع الأول (١٤٢٤هـ)

* * *

ترجمة الإمام حجة الإسلام الغزالي

اسمه :

هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي ، يكنىٰ بأبي حامد ، ويلقب بحجة الإسلام .

ميلاده ونشأته :

ولد الإمام الغزالي سنة (٤٥٠هـ) . في مدينة طوس من بلاد خراسان ، وكانت في ذٰلك العصر تزخر بالعلم والعلماء والصلحاء .

فنشأ في ذٰلك المحيط العلمي الصالح نشأةً صالحةً . وكانت أسرته أسرةً محافظةً متمسكةً بتعاليم الدين الحنيف ، فقد كان أبوه رجلاً صالحاً محباً للعلم والعلماء ، وكان لا يأكل إلا من عمل يده ؛ فكان يعمل في صناعة غزل الصوف ، ويمون نفسه وأسرته من عائد

ذٰلك العمل ، ويحضر مجالس العلماء ودروس الفقه والوعظ ، فكان إذا حضر دروس الفقه .. سأل الله تعالىٰ أن يرزقه ابناً فقيهاً ، وإذا حضر دروس الوعظ .. سأل الله تعالىٰ أن يرزقه ابناً واعظاً ؛ فاستجاب الله دعاءه ؛ فكان ابنه محمد أفقه أهل زمانه ، وفارس ميدانه ، وكان ابنه الآخر أحمد واعظاً بليغاً مؤثراً ، اهتدىٰ بوعظه الجم الغفير .

وقد قضىٰ والدهما نحبه وهما صغيران ، ولما حضرته الوفاة أوصىٰ بهما صديقاً له من أهل الخير والصلاح ، وقال له : (أريد استدراك ما فاتني من التعلم في ولدي هٰذين ، فعلمهما ولا عليك أن تنفق في سبيل ذٰلك جميع ما أخلفه لهما) . وقد وفىٰ ذٰلك الوصي الصالح بالوصية؛ فقام بتعليمهما إلىٰ أن فني المال الذي تركه لهما والدهما، فقال لهما : اعلما أني قد أنفقت عليكما ما كان لكما من والدكما ، وأنا رجل فقير متجرد لا مال لي فأواسيكما به ، وأصلح ما أرىٰ لكما أن تلتحقا بمدرسة ؛ فإنكما من طلبة العلم فتحصلا علىٰ مؤنتكما منها ، فأدخلهما المدرسة ، واندرجا في سلك طلبة العلم بتلك المدرسة ،

فكان ذٰلك هو السبب في سعادتهما وعلو درجتهما .

وكان الإمام الغزالي يحكي ذٰلك ويقول : (طلبنا العلم لغير الله .. فأبى العلم إلا أن يكون لله) .

وكان نظام المدارس آنذاك يقضي بأن يكفل للطالب حاجته من المأكل والملبس والمسكن تشجيعاً للعلم وأهله .

طلبه للعلم :

كانت بداية تعلمه علىٰ يد صديق والده الذي أوصاه به وبأخيه أن يعلمهما ، ثم التحق بالمدرسة مع أخيه أحمد ، فأخذ فيها بنصيب طيب من التعليم الأولي في بلده طوس على الشيخ أحمد بن محمد الرازكاني ، ثم ارتحل إلىٰ مدينة جرجان إلى الإمام أبي نصر الإسماعيلي لمواصلة الطلب والاستزادة من العلم والمعرفة .

وكان يدون ما يتلقاه من فوائد ونفائس في كراريس تسمى (التعليقة) ، شأنه في ذٰلك شأن الطالب الحريص الذي يدون العلم ويقيده .

وقد حكىٰ صاحب الترجمة أنه أثناء عودته من جرجان إلىٰ طوس أخذ اللصوص جميع ما معه ، وانتزعوا منه المخلاة التي فيها (التعليقة) والمذكرات قال : فتبعتهم ، وقلت : أسألكم أن تردوا علي تعليقتي فقط ! فما هي شيء تنتفعون به ، فقالوا : وما هي تعليقتك ؟ فقلت : كتب وأوراق في تلك المخلاة ، هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها . فقالوا : كيف تدعي معرفتها وقد غاب عنك علمها لما أخذناها منك ؟! ثم سلموها لي ، قال : فعددت ذٰلك موعظةً لي ، فلما وصلت إلىٰ بلدي طوس أقبلت علىٰ حفظ جميع ما دونته وعلقته ، وصرت بحيث لو أخذ القطاع تعليقتي لم أتجرد من علمي .

فهٰكذا كانت همة الإمام الغزالي منذ نشأته ، وأثناء طلبه للعلم ، وفي جميع مراحل حياته .

سفره إلى نيسابور وأخذه عن إمام الحرمين :

ثم ارتحل مرةً أخرىٰ في صحبة جماعة من طلبة العلم ، قاصدين مدينة نيسابور كبرىٰ مدن خراسان

وأعظمها غزارةً وعمارةً بالعلم والعلماء والثقافات الواسعة . وهناك بنيسابور لازم إمام الحرمين ، وأخذ عنه ، وحفظ القرآن ، وجد واجتهد في طلب العلم والمعارف ؛ حتىٰ برع في الفقه وغيره ، وتوسع في ذٰلك حتىٰ برع في المذهب والخلاف والجدل والأصلين والمنطق والحكمة والفلسفة وأحكم كل ذٰلك .

وكان عمره آنذاك ناهز الثامنة والعشرين ، وقد أحاط بكلام أرباب تلك العلوم ، وتصدىٰ للرد علىٰ مبطليهم ، وإبطال دعاويهم .

تفوقه وبراعته :

ولما رأىٰ شيخه إمام الحرمين ما أبداه الغزالي من التفوق الذي بذ به أقرانه .. اختاره ليكون مساعداً له ، يلقي الدروس علىٰ زملائه ، ويعلمهم في غيبة أستاذه وفي حضوره أيضاً ، وقد وصفه إمام الحرمين فقال : (الغزالي بحر مغدق، ولٰكنه لم يصل إلىٰ تلك الدرجة العالية بالهوينا ، بل بعظيم الجد والاجتهاد ، وتهذيب النفس ورياضتها) .

وها هو يقول عن نفسه ، في كتابه « المنقذ من الضلال » : (وقد كان التعطش إلىٰ درك حقائق الأمور دأبي وديدني من أول أمري وريعان عمري غريزةً وفطرةً من الله وضعت في جبلتي لا باختياري وحيلتي) .

وبعد وفاة أستاذه وشيخه الأكبر إمام الحرمين .. ذهب قاصداً الوزير نظام الملك السلجوقي ـ فقد كان مجلسه بالمعسكر بنيسابور مجمع أهل العلم ومقصدهم ، وملاذهم ومحط رحالهم ؛ فناظر الغزالي كبار العلماء في مجلس نظام الملك ، وغلب الخصوم وظهر كلامه عليهم، واعترفوا بفضله وتلقاه نظام الملك بالقبول والإجلال والتعظيم كما هو معروف عنه من تعظيم العلم والعلماء ، وولاه التدريس والإدارة بمدرسته النظامية التي أنشأها في بغداد عاصمة الخلافة، وطلب منه التوجه إلىٰ بغداد ليباشر مهام منصبه هناك .

قيامه بالتدريس والتعليم في المدرسة النظامية في بغداد :

تلبيةً لطلب الوزير نظام الملك قدم الإمام الغزالي إلىٰ مدينة بغداد في شهر جمادى الأولىٰ سنة (٤٨٤هـ) ،

وباشر مهام عمله ، وقام بالتدريس في تلك المدرسة العظيمة ، وأعجب الناس غزارة علمه وجميل أسلوبه ، وكمال فضله ، وفصاحة لسانه ، وبلاغة منطقه ، وأقبلوا على الأخذ عنه والتعلم منه ، وانتفعوا بعلومه وحسن أدائه وبديع أسلوبه ، وصار بعد إمامة خراسان إمام العراق ، وكان له في قلوب الناس المكانة العالية والمنزلة الرفيعة ؛ فأحبوه وأجلوه ، وكان مسموع الكلمة ، ذائع الصيت ، تضرب به الأمثال ، فقد نشر العلوم وقام بالفتيا والتصنيف مدةً طويلةً ، وانتشرت تصانيفه المفيدة ، وعم بها النفع ، واشتهر بمناظراته القوية وما يقوم به من دحض لآراء الفلاسفة والمعتزلة والرافضة والباطنية وغيرهم من الفرق الضالة ، فأصبح بحق المشار إليه بالبنان ، والشخصية العالمية الفذة لا في عاصمة الخلافة بغداد والمناطق التابعة لها فحسب ، بل تجاوزها صيته إلىٰ أبعد من ذٰلك ، فقد كان يستفتيه يوسف بن تاشفين صاحب مراكش بالمغرب ، ويطلب حضوره إلىٰ مراكش لحضور المراسيم فيحضر .

وقد بلغ الإمام الغزالي إلى القمة في المكانة والشهرة العـالميـة والجـاه العـريـض .. ينشـر العلـوم ، ويقـوم بالتدريس في المدرسة النظامية ، كما يقوم بالفتيا لكل الاستفتاءات التي ترد إليه من شتى البلاد والأصقاع .

ويؤلف المؤلفات القيمة العظيمة ، ويناظر الفرق الضـالـة ، ويـدحـض حججهـم ، ويفنـد مـزاعمهـم ، ويهزمهم ، ويدافع عن الإسلام ، ويقارع بالحجج الدامغة أعداءه حتىٰ عام (٤٨٨هـ) .

التحول المفاجىء من الشهرة إلى العزلة :

بينما كان الإمام الغزالي في أوج الشهرة والمظهر العظيم وذيوع الصيت .. إذا بالحال يتحول فجأةً ؛ ففي منتصف عام (٤٨٨هـ) حصل ذٰلك التحول المفاجىء في حياة الإمام الغزالي ، وانقلب الأمر إلىٰ حال آخر ، فقد اختار الإمام الغزالي العزلة ، وترك التدريس في المدرسة النظامية ، وسلك طريق الزهد والانقطاع عن مخالطة الناس ـ فكان يبدو عليه أنه مريض عليل بعلة مجهولة قد

اعتقل منطقه ، وضعفت شهيته ؛ فلا يستطيع الأكل ، ويئس أطباؤه من شفائه .

وفي أواخر سنة (٤٨٨هـ) خرج من بغداد مظهراً العزم على السفر إلىٰ مكة المكرمة للحج وهو يسر في نفسه السفر إلى الشام .

وها هو الإمام الغزالي يتحدث عن نفسه ويقول : « (فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة قريباً من ستة أشهر أولها رجب سنة (٤٨٨هـ) ، وفي هـٰذا الشهر جاوز الأمر حد الاختيار إلى الاضطرار ، إذ قفل الله علىٰ لساني حتى اعتقل عن التدريس ، فكنت أجاهد نفسي أن أدرس يوماً واحداً تطييباً لقلوب الناس الذين يترددون إلي ، فلا ينطق لساني بكلمة واحدة ، ولا أستطيعها البتة ؛ حتىٰ أورثت عقلة اللسان هٰذه حزناً في القلب ، وقطع الأطباء طمعهم في علاجي ، ثم لما أحسست بعجزي ، وسقط بالكلية اختياري .. التجأت إلى الله تعالىٰ ، التجاء المضطر الذي لا حيلة له ،

فأجابني الذي يجيب المضطر إذا دعاه ، وسهل علىٰ قلبي الإعـراض عـن الجـاه والمـال والأولاد والأصحـاب ، وأظهرت العزم على الخروج إلىٰ مكة وأنا أدبر في نفسي السفـر إلـى الشـام حـذراً مـن أن يطلـع الخليفـة وجملـة الأصحاب علىٰ عزمي على المقام بالشام ؛ فتلطفت في الخروج من بغداد علىٰ عزم أن لا أعود إليها ، ففارقت بغداد ، وفرقت ما كان معي من المال ، ولم أدخر إلا قدر الكفاف وقوت الأطفال » .

وقد استناب أخاه أحمد في التدريس بنظامية بغداد ، ودخل دمشق في بداية سنة (٤٨٩هـ) ، فلبث فيها مدةً في مسجد دمشق معتكفاً في منارته الغربية ، مغلقاً بابها علىٰ نفسه ، وفي نفس السنة المذكورة (٤٨٩هـ) ذهب للحج والعمرة وزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ثم عاد إلىٰ دمشق ، واعتكف بالمنارة الغربية من الجامع الأموي ، واتخذها محلاً لإقامته وعبادته وتأليفه ، واختار أن يعيش عيش التقشف ، ويحيا حياة الزهد

والورع ، يلبس الثياب الخشنة ، ويقلل مطعمه ومشربه ، ويروض نفسه ويحملها على المجاهدات في العبادات والأعمال الصالحات إلىٰ أن لان له صعبها ، وفي تلك الأيام بدأ في تأليف كتابه العظيم « إحياء علوم الدين » الذي قال فيه الإمام الحداد رحمه الله :

وبوضعه الإحياء فاق فيا له ... من جامع وكمثله لم يوضع

وكان يكثر الجلوس في زاوية الشيخ نصر المقدسي بالجامع الأموي ، وأخذ يصنف المصنفات القيمة النافعة التي أعظمها « الإحياء » ، ومنها « المنقذ من الضلال » وغير ذٰلك من الكتب المختصرة مثل : « الأربعين » وغيرها من الرسائل .

وبقي علىٰ هٰذه الحالة مقدار عشر سنين ، كما ذكر ذٰلك في كتابه « المنقذ من الضلال » ، وقد قضىٰ تلك المدة في (دمشق) ، وكانت عزلة الإمام الغزالي مفاجأةً كبرىٰ لعلماء عصره الذين شاهدوا وعرفوا منزلته العظيمة ، حيث بلغ القمة في المكانة والشهرة والجاه والزعامة ؛

فصاروا يؤولون السبب ويقولون إنه شيء سماوي ، وليس له سبب إلا عين أصابت المسلمين فيه .

ويبين الإمام الغزالي ذٰلك في كتابه « المنقذ من الضلال » فيقول : (تفكرت في نيتي في التدريس ؛ فإذا هي غير خالصة لوجه الله ؛ بل باعثها ومحركها طلب الجاه ، وانتشار الصيت ؛ فتيقنت أني على شفا جرف هار ، فلم أزل أتفكر أصمم العزم على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الأحوال يوماً وأؤجل العزم يوماً ، أقدم رجلاً وأؤخر أخرى ، لا تصدق لي رغبة في طلب الآخرة بكرةً إلا ويحمل عليها جند الشهوة حملةً فيفرقها عشيةً ، فصارت شهوات الدنيا تجاذبني بسلاسلها إلى المقام ، ومنادي الإيمان ينادي : الرحيل الرحيل ، فلم يبق من العمر إلا القليل ، وبين يديك السفر الطويل ، فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة قريباً من ستة أشهر أولها رجب سنة « ٤٨٨هـ ») .

وهٰكذا جرب الإمام الغزالي قبل عزلته الدنيا بما فيها

من زينة الحياة وبهرجها ، والمال والجاه والمناصب العليا والتباهي والتفاخر ؛ فأدرك حقيقتها وآلامها ومشاكلها وشهواتها ، حلوها ومرها ، وتبين له أن كل ذٰلك لا يسعد الإنسان ، ولا يوفر له الاطمئنان والاستقرار إلى الله ومعرفته على الوجه الصحيح ؟ هو قطع كل علائق الدنيا عن القلب ؛ ليستطيع تقبل الأنوار الإلهية ، فقرر الانعزال والانزواء ، وترك الدنيا بما فيها وراء ظهره ، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالىٰ إيثاراً للباقي على الفاني ، واختار ما هو الأفضل . . وهو العيش في رحاب الله ، لا يشغله عنه شيء لا مال ولا جاه .

عودة الإمام الغزالي إلىٰ بلده طوس ماراً ببغداد :

بقي الإمام الغزالي علىٰ تلك الحالة من العزلة ، ومجاهدة النفس ، وتكليفها المشاق في سبيل العبادة والأعمال الصالحة ، وتأليف الكتب النافعة متخذاً من دمشق مقراً له حتىٰ أواخر سنة (٤٩٩هـ) ، وفي أواخر هٰذه السنة . . توجه عائداً إلىٰ موطنه خراسان ، فمر أولاً

بمدينة بغداد ، ولم يقم بها كثيراً ، وإنما مكث فترةً وجيزةً ، وعقد بها مجلساً للوعظ ، وحدث بكتابه « الإحياء » ، ثم غادر بغداد عائداً إلىٰ وطنه ومسقط رأسه مدينة طوس ، وبها حط الرحال وألقىٰ عصا التسيار ملازماً منزله ، مشتغلاً كعادته بالعبادة والتأليف ، محافظاً على الوقت إلىٰ أن كلفه فخر الملك بالتدريس في نظامية نيسابور ، وذٰلك في شهر ذي القعدة سنة (٤٩٩هـ) ، فتكون المدة منذ مغادرته نظامية بغداد إلىٰ معاودته التدريس بنظامية نيسابور إحدىٰ عشرة سنةً .

معاودته للتدريس في نظامية نيسابور :

بعد التجارب التي مر بها الإمام الغزالي من جاه الدنيا وزينتها إلى العزلة والتقشف ، ورياضة النفس ومجاهدتها ؛ حتىٰ بلغ المرتبة التي اطمأن إليها من الصفاء والسعادة ومعرفة مكائد الشيطان وعيوب النفس ؛ حيث حققت العزلة أهدافها . . قرر العودة إلى الوطن والقيام بتعليم الناس ، وإفادة العلم ولا سيما وقد شعر بحاجة

الناس الماسة إلىٰ ذٰلك ، فقد جاءه الوزير فخر الملك ابن نظام الملك وألح عليه غاية الإلحاح أن يقبل بتعيينه له للقيام بالتدريس في نظامية نيسابور إلىٰ أن استجاب ؛ فانتقل إلىٰ نيسابور في شهر ذي القعدة سنة (٤٩٩هـ) ، وهناك قام بالتدريس في المدرسة النظامية بها .

وها هو يروي قصة عودته إلى التدريس في كتابه « المنقذ من الضلال » فيقول : (اتفق في شهور سنة (٤٩٩هـ) أن كلفت بعد أن انعزلت ، ولازمت الزاوية اثنتي عشرة سنةً بالذهاب إلىٰ نيسابور للتعليم ، ونشر الشريعة لما حصل من الركود والفتور في مجال العلم ونشره ، وقام بتأييد ذٰلك الأعزاء المخلصون ، وألحوا علي في ذٰلك ، وحصلت لي الإشارة الربانية في اليقظة والمنام بأن ذلك بداية خير وسبب لإحياء العلم والشريعة) .

وأدرك الغزالي بُعدَ كثير من الناس عن الدين ، وأن الحاجة ماسة إلىٰ عودته إلى القيام بالتعليم ؛ فقرر العودة .

ويقول أيضاً : (فلما رأيت أصنافاً من الخلق بلغ بهم الضعف في الإيمان إلىٰ هـٰذا الحد .. انقدح في نفسي أن

ذٰلك متعين علي في هٰذا الوقت ومحتم ، وقلت في نفسي : ماذا تغنيك الخلوة والعزلة ، وقد عم الداء ، ومرض الأطباء ، وأشرف الخلق على الهلاك ؟!) .

العودة إلىٰ طوس :

وقد استمر الغزالي على التدريس في نظامية نيسابور قرابة سنة ـ وهي سنة (٥٠٠هـ) ـ ثم ترك التدريس بنيسابور وعاد إلىٰ بلده طوس ، وألقىٰ بها عصا التسيار ، واتخذ بجوار منزله مدرسةً لطلبة العلم ، وأقبل الناس على الأخذ عنه كما كانوا من قبل ، ووزع أوقاته على الحاضرين عنده من تدريس في شتى الفنون العلمية إلىٰ تلاوة للقرآن ، إلىٰ غير ذٰلك من الأعمال الجليلة ؛ بحيث لا تخلو لحظة من لحظاته ـ هو ومن حوله ـ عن التحصيل والفائدة والازدياد من العلم والمعرفة .

ومع ما كان الإمام الغزالي يقوم به من نشر العلم .. كان أيضاً يقوم بأعباء الدعوة ، ويواجه ولاة الأمر والحكام بالموعظة والنصيحة ، وينكر عليهم ، ويكتب إليهم

بذلك ، ويردعهم عن الظلم ومخالفة الشرع الشريف .

وقد عاش الإمام الغزالي أثناء حكم السلاجقة الأتراك الذين حكموا أكثر مناطق العالم الإسلامي في القرن الخامس الهجري ، وكانوا سُنِّيين ، ويعظمون العلم والعلماء ، ويتقبلون نصيحتهم وتوجيههم ، ومن عنايتهم بالعلم وإجلالهم للإمام الغزالي أنهم حاولوا بعد عودته إلىٰ طوس أن يقنعوه بالعودة إلى التدريس في نظامية بغداد فاعتذر .

والمدرسة النظامية ببغداد تعدُّ بمثابة جامعة بناها الوزير نظام الملك السلجوقي ؛ لتكون في دار الخلافة مصدر إشعاع للعلم والمعارف ، ومنبعاً للفضل ، ومأوىً للأئمة والعلماء ، ومقصداً لطلاب العلم .

تعرض الإمام الغزالي لأذى الحساد والأعداء :

لقد عانى الإمام الغزالي الكثير من أذى الحساد والأعداء وكيدهم ، فقد وشوا به عند السلطان سنجر حتىٰ أجبره على الحضور من طوس إلى المعسكر بنيسابور ،

ولما فشل كيدهم ، وخابت حيلتهم .. عمدوا إلىٰ كتبه فدسوا فيها زيادات تخالف معتقد أهل السنة والجماعة .

وها هو حجة الإسلام يحدث عن ذٰلك ويقول : (ولما أستجيبت الدعوة ، واستمر عمل التدريس ناشطاً، وأخذ طلاب العلم يفدون من نواحي العالم .. هاج حسد الحساد ، ولم يجدوا أيَّ طعن مقبول غير أنهم لبسوا الحق بالباطل ، وغيروا كل ما في كتابي « المنقذ من الضلال » وكتابي «مشكاة الأنوار » وأدخلوا فيهما كلمات كفر ، وأرسلوا الكتابين إلي لأكتب عليهما الإجازة ؛ فألهمني الله .. فتصفحتهما ، فاطلعت علىٰ تلبيسهم ، وأطَّلع علىٰ ذٰلك أيضاً حاكم خراسان ؛ فأمر بحبس المزور ، ثم نفاه من نيسابور ـ قال ـ : كما دسوا أيضاً في كتابي « المنخول » كلمات تطعن في الإمام أبي حنيفة) ، وحاشا الغزالي أن يطعن في الإمام أبي حنيفة .

شيوخ الإمام الغزالي :

قرأ الإمام الغزالي بمدينة طوس أولاً علىٰ أستاذه الشيخ أحمد الرازكاني ، ثم علىٰ أستاذه في جرجان

إسماعيل ابن مسعدة ، ثم علىٰ أستاذه الأكبر بنيسابور إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني ، الذي لازمه وجد عنده واجتهد فأعجب الأستاذ بتلميذه ، وأحبه واحترمه ، واستمر معه يأخذ عنه كل العلوم ولا سيما الفقه وأصوله إلىٰ أن توفي إمام الحرمين سنة (٤٧٨هـ) وهو أعظم شيوخ الغزالي ، وله الدور الأكبر في تعليم الغزالي وتدريبه في مختلف العلوم والمناظرة فيها ، فقد أذن له في حياته أن يجلس علىٰ كرسيه ليدرس الطلبة أو يعيد درس الإمام عليهم .

وأخذ الحديث عن محمد الحفصي المروزي ، وعن الحاكم نصر الحاكمي ، وعن عبد الله الخواري ، وعن محمد بن يحيى الزوزني ، وعن الشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي .

تلاميذ الغزالي :

ليس من السهل حصر وتعريف تلاميذ الإمام الغزالي والآخذين عنه ؛ لكثرتهم ، والغزالي نفسه يقول : (وقد

مر علي أكثر من ألف طالب) .

ويقول تلميذه القاضي أبو بكر ابن العربي : (رأيته - أي : الغزالي - ببغداد يحضر درسه نحو أربع مئة عمامة من أكابر الناس وفضلائهم يأخذون عنه العلم) .

فمن تلاميذه : إبراهيم بن مظهر الجرجاني السباك ، والقاضي أبو نصر البهوني ، وأبو الفتح أحمد بن علي برهان ، والحسين بن نصر الجهني ، وخلف بن أحمد ، ودغش النعيمي ، وأبو الوفاء رستم بن سعد الخواري ، والرضي بن مهدي الزيدي ، وسعد الخير البلنسي ، وسعيد بن محمد الرزاز ، وشافع بن عبد الرشيد الجيلي ، وعامر بن دغش الأنصاري ، وعبد الكريم بن علي الرازي ، وعلي بن محمد بن حمويه الجويني ، وعلي بن مسلم السلمي ، ومحمد بن عبد الله المعروف بالقاضي أبي بكر ابن العربي المالكي ، وأبو حامد محمد بن عبد الملك الجوسقاني الإسفراييني .

مؤلفاته :

يعد الإمام الغزالي من العلماء المكثرين في مجال التأليف ، فقد بارك الله في عمره ووقته وعلمه ، فألف كتباً كثيرةً في مختلف العلوم والفنون باللغة العربية وباللغة الفارسية ، وذكروا أنهم أحصوا الكتب التي ألفها ووزعت علىٰ عمره فخص كل يوم أربعة كراريس ، وذٰلك من بركة العمر التي يمنحها الله لمن شاء من عباده ، وقد ترجم كثير من كتبه إلى اللغات الأجنبية ، ونكتفي هنا بذكر بعض مؤلفاته :

« الوسيط » ، و« البسيط »، و« الوجيز » ، و« الخلاصة » وهٰذه كلها في الفقه .

و« المنخول » ، و« شفاء الغليل » ، و« تهذيب الأصول »، و « المستصفىٰ من علم الأصول » ، و « إحياء علوم الدين » ، و « منهاج العابدين » ، و « المنقذ من الضلال » ، و « تهافت الفلاسفة » ، و « بداية الهداية » ، و « المقصد الأسنىٰ »، و « الرد على الباطنية »، وغيرها .

تواضعه :

ومع ما بلغه الإمام الغزالي من سعة العلم وكثرة المصنفات ، ومع ما حصل به وبكتبه من عظيم النفع .. فقد كان عظيم التواضع ، شأنه في ذٰلك شأن العلماء الذين هم كالأشجار المثمرة ، كلما زادت ثمارها .. زاد انحناؤها .

فقد قال ابن السمعاني : (قرأت في كتاب كتبه الغزالي إلىٰ أبي حامد أحمد بن سلامة بالموصل فقال في خلال فصوله : « أما الوعظ : فلا أرىٰ نفسي أهلاً له ؛ لأن الوعظ زكاة نصابه الاتعاظ ، فمن لا نصاب له .. كيف يخرج الزكاة ، وفاقد الثوب .. كيف يستر غيره ، ومتىٰ يستقيم الظل والعود أعوج ؟ ») .

* * *

خاتمة

ولقد اتفق جمهور المترجمين للغزالي علىٰ إمامته ، وانطلقت الألسن بالثناء عليه ، وشهد له المخالف والموافق بالتقدم والكمال ، كما شهد العلماء من معاصريه بفضله وتمكنه ، لم تر العيون مثله بياناً ومنطقاً وذكاءً وطبعاً ، فهو أنظر أهل زمانه ، وأوحد أقرانه ، لقد ذاع صيته في الآفاق ، وأعجب الجميع بتدريسه ومناظرته ، وصار بعد إمامة خراسان إمام العراق .

وهو مجدد القرن الخامس الهجري . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله يبعث لهٰذه الأمة علىٰ رأس كل مئة سنة من يجدد لها أمر دينها » .

فكان في المئة الأولىٰ : عمر بن عبد العزيز ، وفي المئة الثانية : الإمام الشافعي ، وفي الثالثة : الأشعري أو ابن سريج ، وفي الرابعة : الإسفراييني ، وفي الخامسة : حجة الإسلام الغزالي .

قال السيوطي : وليس في كونه مجدداً تردد .

وما زال الإمام الغزالي طيلة عمره المبارك علماً يهتدىٰ به ينشر العلوم ، ويفتي ويؤلف ويرشد ويقارع المبتدعة من الفرق الضالة إلىٰ أن توفاه الله بمسقط رأسه مدينة طوس يوم الإثنين رابع عشر شهر جمادى الآخرة سنة (٥٠٥هـ) .

رحمه الله ورضي عنه وأرضاه .

وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

جمعه وكتبه راجي عفو ربه

حسين بن محمد بن هادي السقاف

في (٢٠) جمادى الآخرة (١٤١٤هـ)

❊ ❊ ❊

وصف النسخ الخطية

اعتمدنا في إخراج هٰذا الكتاب على النسخ التالية :

ـ النسخة الأولىٰ ـ وهي المعتمدة أصلاً في التحقيق ، ورمزنا لها بـ(أ) ـ : تقع في (٣١) ورقة ، وعدد سطورها (١٩) سطراً ، متوسط عدد كلمات السطر (١٣) كلمة ، خطها نسخي معتاد مشكول .

كتبت هٰذه النسخة سنة (٥٩٦هـ) ـ أي : **بعد وفاة الإمام الغزالي رحمه الله بـ (٩١) عاماً** ـ بخط عبد العزيز بن هبة الله بن عساكر القيسراني ، وهي ضمن مجموع قيم ضم الكتب التالية : « أسباب النزول » للإمام الواحدي ، و« الأربعون حديثاً » للإمام الحافظ أبي بكر الآجري ، و« الأربعون حديثاً » للشيخ الحافظ الحسن بن سفيان النسوي ، و« بداية الهداية » . **وهو كتابنا هٰذا .**

وبتوفيق من الله تعالى حصلنا على هٰذه النسخة الهامَّة من مكتبة خاصة بحضرموت . فللّٰه الحمد والمنة .

- **النسخة الثانية** - ورمزنا لها بـ (ب) - : تقع في (٢٠) ورقة ، وعدد سطورها (٢١) سطراً ، متوسط عدد كلمات السطر (١٧) كلمة ، خطها نستعليق مائل إلى الشكسته .

وهٰذه النسخة من مقتنيات جامعة برنستون في ولاية نيوجرسي بأمريكا برقم (m62a) ، ضمن مجموع ضم : « بداية الهداية » ، و« منهاج العابدين » للمؤلف نفسه رحمه الله تعالىٰ ، وكتب هٰذا المجموع سنة (١٠٨٧هـ) .

- **النسخة الثالثة** - ورمزنا لها بـ (ج) - : تقع في (٤٢) ورقة ، عدد سطورها (١٥) سطراً ، متوسط عدد كلمات السطر الواحد (١٢) كلمة ، خطها نسخي مستعجل مشكول .

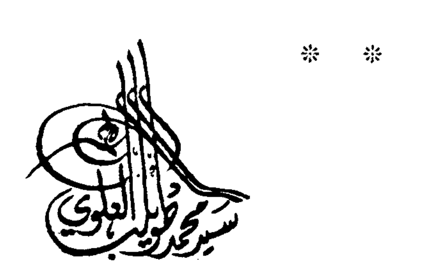
وهٰذه النسخة من مقتنيات المتحف البريطاني برقم (٩٥١٧/ ١ـ٢) ، كتبت سنة (٨٠٠هـ) ، وهي ضمن

مجموع حوىٰ : « بداية الهداية » ، و« منهاج العابدين » .

ـ **النسخة الرابعة** ـ ورمزنا لها بـ (د) ـ : تقع في (٢٨) ورقة ، متوسط عدد سطورها (١٩) سطراً ، متوسط عدد كلمات السطر الواحد (١٤) كلمة ، خطها نسخي جميل مشكول ، كتبت سنة (٩٠٣هـ) .

وهٰذه النسخة من مكتبة خاصة بشبام حضرموت ، بخط عبد الله بن أبي بكر ، وهي ضمن مجموع قيم ضم : « بداية الهداية » ، و« الأربعين النووية » ، و« منهاج العابدين » .

* * *



منهج العمل في الكتاب

ـ عارضنا الكتاب علىٰ أصوله الخطية الأربعة ، واعتمدنا المخطوط (أ) أصلاً في ذٰلك .

ـ ضبطنا النصَّ بالشكل الكامل ، وربطناه بعلامات الترقيم المناسبة ؛ تسهيلاً للقارئ علىٰ فهم الكتاب ما أمكن .

ـ دوَّنّا معظم الحواشي الواردة في (أ) لأهميّتها ، مع إحالتها إلىٰ مصادرها المطبوعة والمخطوطة .

ـ وضعنا شرحاً مبسَّطاً لبعض المفردات والعبارات .

ـ خرَّجنا أحاديث الكتاب حسب المنهج المتبع لدى الدار بطريقة الترميز ؛ لئلّا يخرج الكتاب عن مقصوده وصبغته .

وقد يجد القارئ الكريم أن بعض كلام الإمام الغزالي

يشير إلىٰ حديث أو أثر ، وهٰذه عادة بعض السلف رحمهم الله في التصنيف ؛ حيث إنهم يضمنون عباراتهم نصَّ الحديث أو معناه ؛ كما فعله الإمام البخاري رضي الله تعالىٰ عنه كثيراً في تبويبه للجامع الصحيح ؛ لذلك لم نشر إلىٰ هٰذا هنا .

وختاماً نسأل الله تعالىٰ أن يكون عملنا في هٰذا الكتاب خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يكتب لنا فيه القبول والنفع . آمين .

والحمد لله ربِّ العالمين

وصلى الله علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم

* * *

رموز التخريج المعتمدة في هذا الكتاب

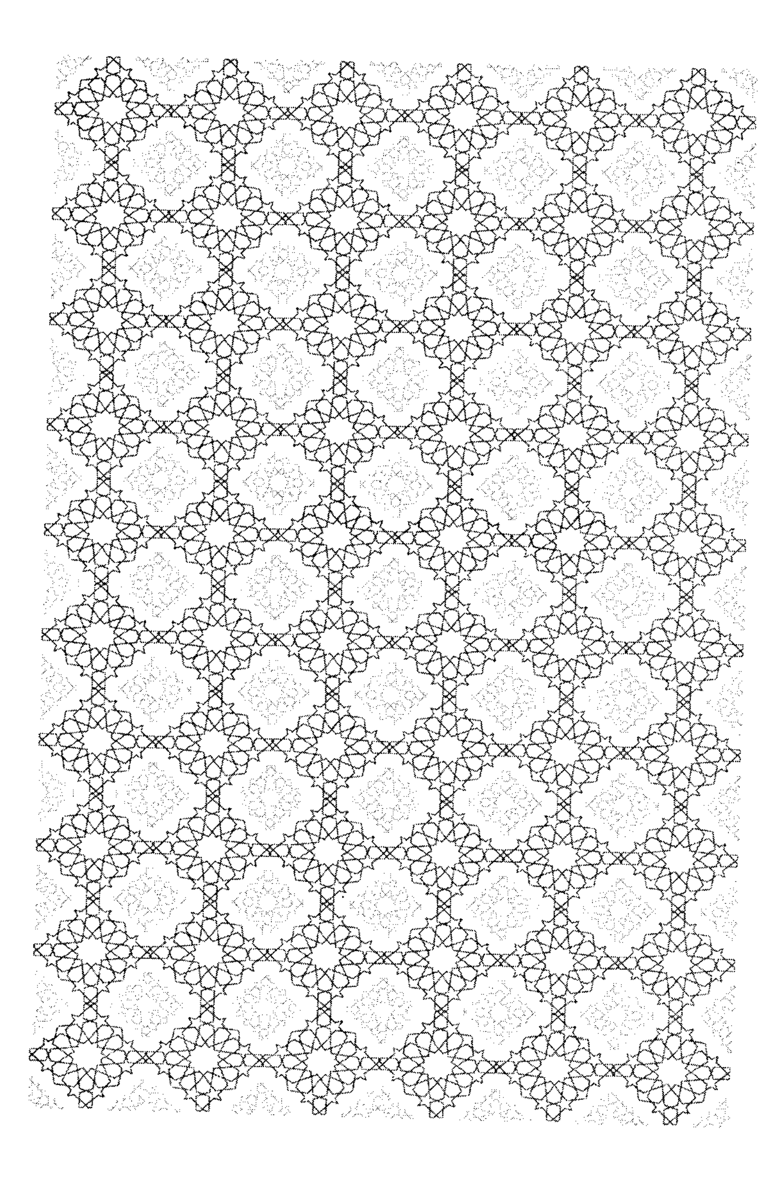
آداب	آداب المريدين	صفحة
إحياء	إحياء علوم الدين	جزء وصفحة
أذكار	الأذكار للنووي	صفحة
بركة	البركة في فضل السعي والحركة	صفحة
بغية	بغية المسترشدين	جزء وصفحة
ترغيب	الترغيب والترهيب	رقم
ت	سنن الترمذي	رقم
حب	ابن حبان « الإحسان »	رقم
حلية	حلية الأولياء	جزء وصفحة
حم	مسند الإمام أحمد ابن حنبل	جزء وصفحة
خ	صحيح البخاري	رقم

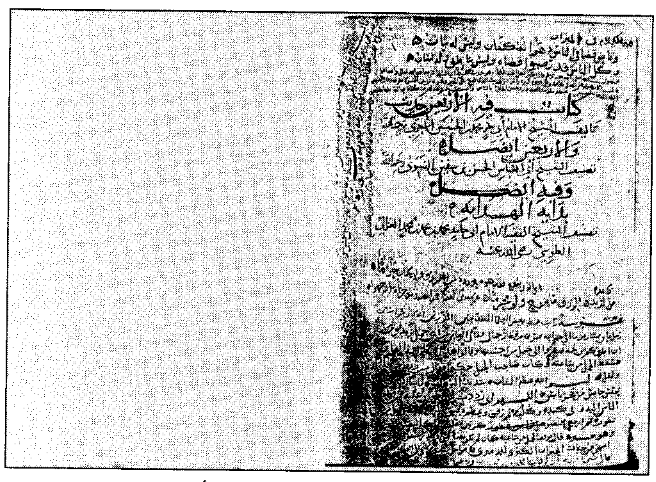
خد	الأدب المفرد	رقم
خز	صحيح ابن خزيمة	رقم
د	سنن أبي داوود	رقم
رياض	رياض الأنس	فصول
زهدمبا	الزهد لابن المبارك	رقم
سني	عمل اليوم والليلة	رقم
ش	مصنف ابن أبي شيبة	جزء وصفحة
شهاب	مسند الشهاب	رقم
صفة	صفة الصفوة	جزء وصفحة
ط	الموطأ	رقم
طب	المعجم الكبير	جزء وصفحة
طبري	تفسير الطبري	جزء وصفحة
طس	المعجم الأوسط	رقم
طص	المعجم الصغير	رقم
فتح	فتح الباري	جزء وصفحة

فر	مسند الفردوس	رقم
فيض	فيض القدير	جزء وصفحة
ق	سنن ابن ماجه	رقم
قط	سنن الدارقطني	جزء وصفحة
ك	المستدرك للحاكم	جزء وصفحة
لسان	لسان الميزان	جزء وصفحة
م	صحيح مسلم	رقم
مصابيح	مصابيح السنة	جزء وصفحة
نوادر	نوادر الأصول	جزء وصفحة
هب	شعب الإيمان	رقم

* * *

صور المخطوطات المستعان بها

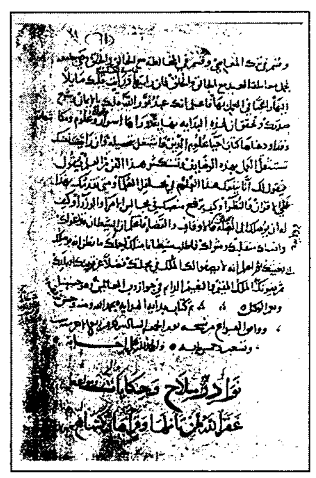




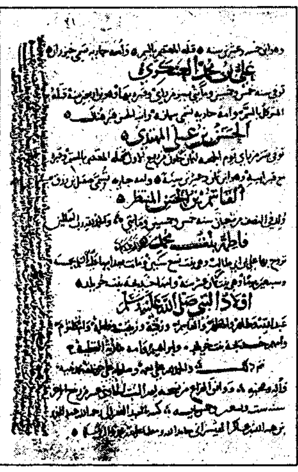
رواموز ورقة العنوان للنسخة (أ)



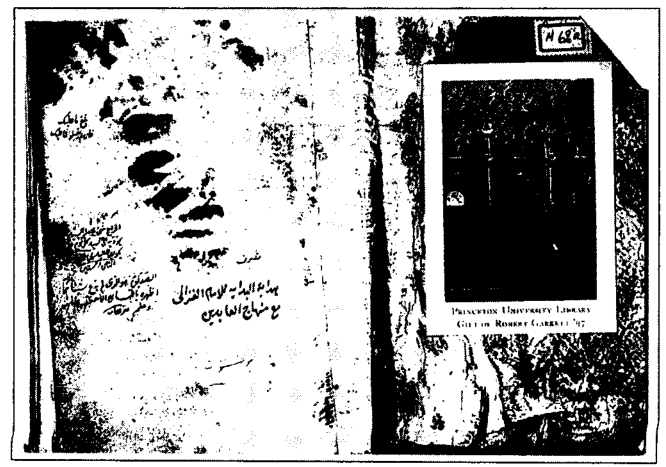
رواموز الورقة الأولى للنسخة (أ)



راموز الورقة الأخيرة للنسخة (أ)



راموز الورقة الأخيرة للمجموع (أ)

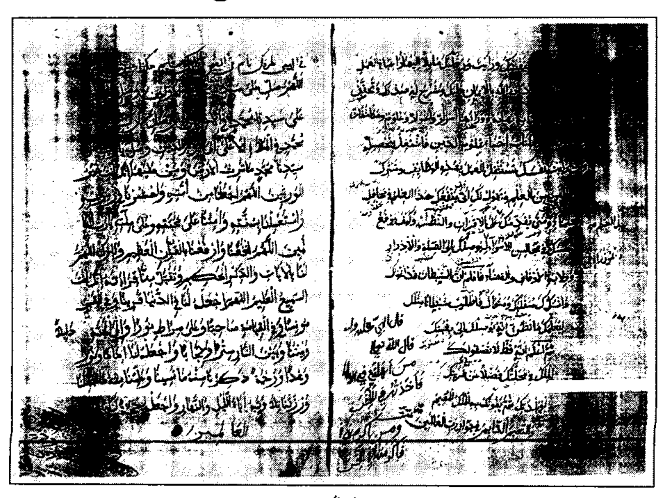


راموز ورقة العنوان للنسخة (ب)

راموز الورقة الأولى للنسخة (ب)

راموز الورقة الأخيرة للنسخة (ب)

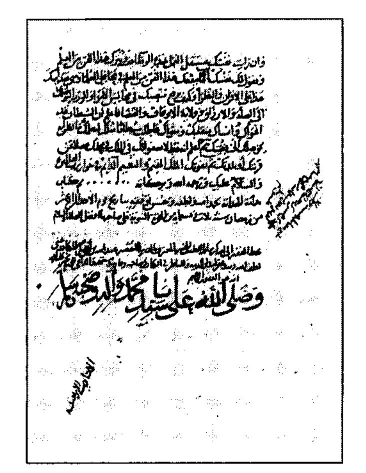
راموز الورقة الأولى للنسخة (ج)



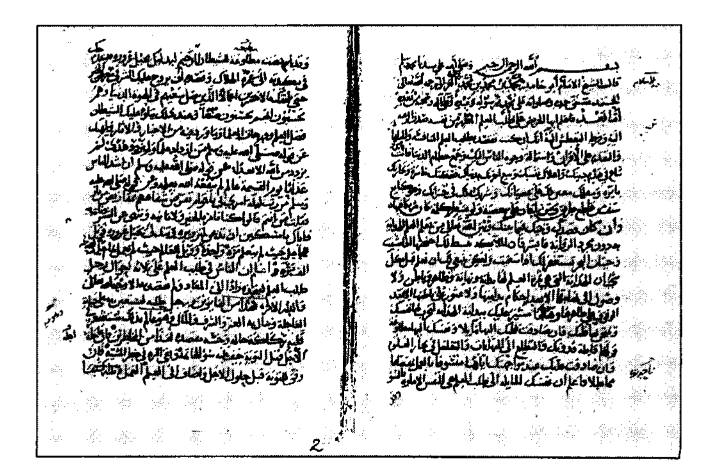
راموز الورقة الأخيرة للنسخة (ج)


كتاب بداية الهداية

رواموز ورقة العنوان للنسخة (د)

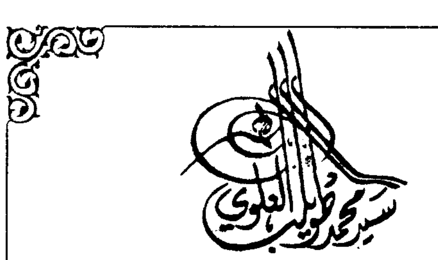

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

رواموز الورقة الأخيرة للنسخة (د)



رواموز الورقة الأولى للنسخة (د)





بداية الهداية

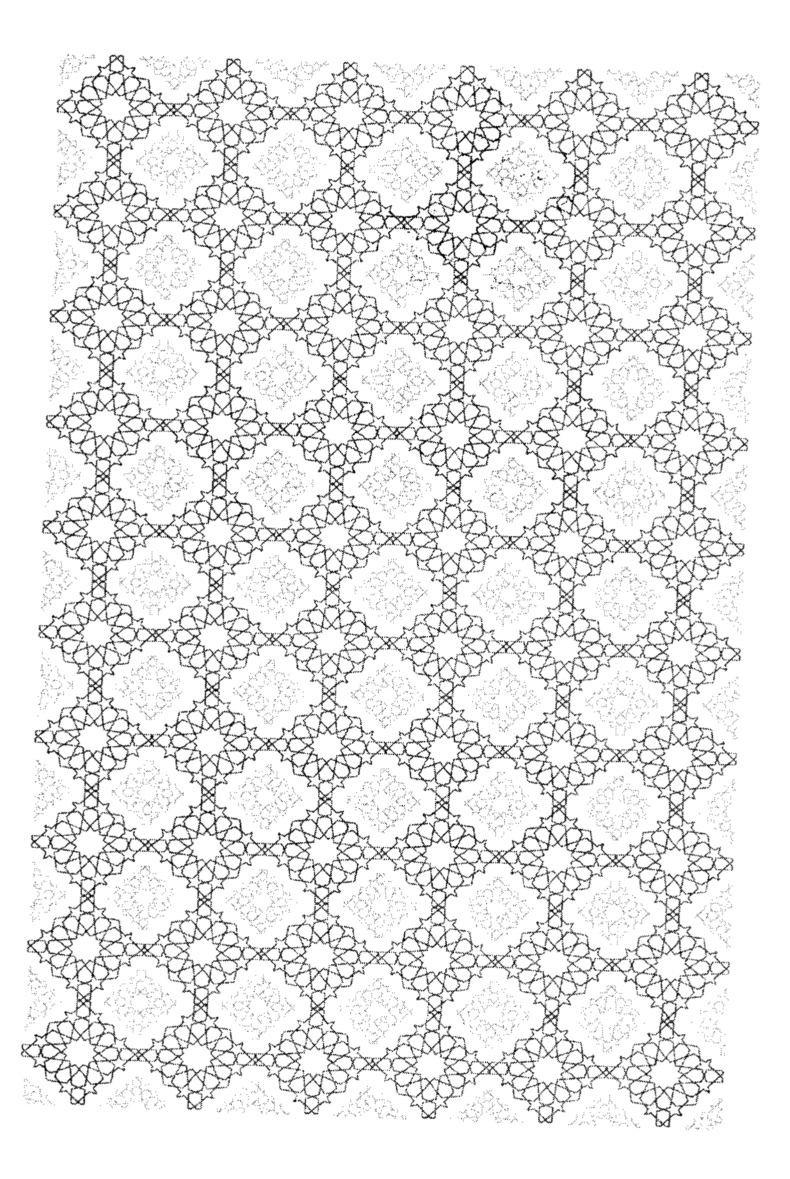
تأليف

العالم العلاّمة حجة الإسلام وبركة الأنام

الإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي

رحمه الله تعالى

(٤٥٠ - ٥٠٥ هـ)



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قل إن الهدى هدى الله

[خطبة الكتاب]

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ ، وَٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ وَعَبْدِهِ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مِنْ بَعْدِهِ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَٱعْلَمْ أَيُّهَا ٱلْحَرِيصُ عَلَى ٱقْتِبَاسِ ٱلْعِلْمِ ، ٱلْمُظْهِرُ مِنْ نَفْسِهِ صِدْقَ ٱلرَّغْبَةِ فِيهِ ، وَفَرْطَ ٱلتَّعَطُّشِ إِلَيْهِ : أَنَّكَ إِنْ كُنْتَ تَقْصِدُ بِطَلَبِ ٱلْعِلْمِ ٱلْمُنَافَسَةَ ، وَٱلْمُبَاهَاةَ ، وَٱلتَّقَدُّمَ عَلَى ٱلْأَقْرَانِ ، وَٱسْتِمَالَةَ وُجُوهِ ٱلنَّاسِ إِلَيْكَ ، وَجَمْعَ حُطَامِ ٱلدُّنْيَا .. فَأَنْتَ سَاعٍ فِي هَدْمِ دِينِكَ ، وَإِهْلَاكِ نَفْسِكَ ، وَبَيْعِ آخِرَتِكَ بِدُنْيَاكَ .

فَصَفْقَتُكَ خَاسِرَةٌ ، وَتِجَارَتُكَ بَائِرَةٌ ، وَمُعَلِّمُكَ مُعِينٌ لَكَ عَلَىٰ عِصْيَانِكَ ، وَشَرِيكٌ لَكَ فِي خُسْرَانِكَ ، وَهُوَ كَبَائِعِ سَيْفٍ مِنْ قَاطِعِ طَرِيقٍ ، وَمَنْ أَعَانَ عَلَىٰ مَعْصِيَةٍ وَلَوْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ .. كَانَ شَرِيكاً فِيهَا .

وَإِنْ كَانَتْ نِيَّتُكَ وَقَصْدُكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللهِ تَعَالَىٰ مِنْ تَعَلُّمِ ٱلْعِلْمِ : ٱلْهِدَايَةَ دُونَ مُجَرَّدِ ٱلرِّوَايَةِ .. فَأَبْشِرْ ؛ فَإِنَّ ٱلْمَلَائِكَةَ تَبْسُطُ لَكَ أَجْنِحَتَهَا إِذَا مَشَيْتَ ، وَحِيتَانَ ٱلْبَحْرِ تَسْتَغْفِرُ لَكَ إِذَا سَعَيْتَ .

وَلَـٰكِنْ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ أَنَّ ٱلْهِدَايَةَ ـ ٱلَّتِي هِيَ ثَمَرَةُ ٱلْعِلْمِ ـ : لَهَا بِدَايَةٌ وَنِهَايَةٌ ، وَظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ .

وَلَا وُصُولَ إِلَىٰ نِهَايَتِهَا إِلَّا بَعْدَ إِحْكَامِ بِدَايَتِهَا ، وَلَا عُثُورَ عَلَىٰ بَاطِنِهَا إِلَّا بَعْدَ ٱلْوُقُوفِ عَلَىٰ ظَاهِرِهَا .

وَهَا أَنَا مُشِيرٌ عَلَيْكَ بِبِدَايَةِ ٱلْهِدَايَةِ ؛ لِتُجَرِّبَ فِيهَا نَفْسَكَ ، وَتَمْتَحِنَ بِهَا قَلْبَكَ .

فَإِنْ صَادَفْتَ قَلْبَكَ إِلَيْهَا مَائِلاً ، وَنَفسَكَ بِهَا مُطَاوِعَةً ، وَلَهَا قَابِلَةً .. فَدُونَكَ وَٱلتَّطَلُّعَ إِلَى ٱلنِّهَايَاتِ ، وَٱلتَّغَلْغُلَ إِلَىٰ بِحَارِ ٱلْعُلُومِ وَٱلْمُكَاشَفَاتِ .

وَإِنْ صَادَفْتَ قَلْبَكَ عِنْدَ مُؤَاخَذَتِكَ إِيَّاهُ بِهَا مُسَوِّفاً ، وَبِٱلْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا مُمَاطِلاً .. فَٱعْلَمْ أَنَّ نَفْسَكَ ٱلْمَائِلَةَ إِلَىٰ طَلَبِ ٱلْعِلْمِ هِيَ ٱلنَّفْسُ ٱلْأَمَّارَةُ بِٱلسُّوءِ ، وَقَدِ ٱنْتَهَضَتْ مُطِيعَةً لِلشَّيْطَانِ ٱللَّعِينِ ، لِيُدَلِّيَكَ بِحَبْلِ غُرُورِهِ[1] ، فَيَسْتَدْرِجَكَ بِمَكِيدَتِهِ إِلَىٰ غَمْرَةِ ٱلْهَلَاكِ ، وَقَصْدُهُ أَنْ يُرَوِّجَ عَلَيْكَ ٱلشَّرَّ فِي مَعْرِضِ ٱلْخَيْرِ حَتَّىٰ يُلْحِقَكَ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً .

وَعِنْدَ ذَٰلِكَ يَتْلُو عَلَيْكَ ٱلشَّيْطَانُ فَضْلَ ٱلْعِلْمِ وَدَرَجَةَ ٱلْعُلَمَاءِ ، وَمَا وَرَدَ فِيهِ مِنَ ٱلْأَخْبَارِ وَٱلْآثَارِ ، وَيُلْهِيكَ عَنْ

---

(١) أي : ليوصلك بحبل غروره .

قَوْلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنِ ٱزْدَادَ عِلْماً وَلَمْ يَزْدَدْ هُدَىً .. لَمْ يَزْدَدْ مِنَ ٱللهِ إِلَّا بُعْداً » .

وَعَنْ قَوْلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ .. عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ ٱللهُ بِعِلْمِهِ »[1] [هب ١٧٧٨] .

وَعَنْ قَوْلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي إِلَى ٱلسَّمَاءِ بِأَقْوَامٍ تُقَرَّضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ ، فَقُلْتُ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فَقَالُوا : كُنَّا نَأْمُرُ بِٱلْخَيْرِ وَلَا نَأْتِيهِ ، وَنَنْهَىٰ عَنِ ٱلشَّرِّ وَنَأْتِيهِ » [حم ٣/ ١٢٠ بنحوه] .

فَإِيَّاكَ يَا مِسْكِينُ أَنْ تُذْعِنَ لِتَزْوِيرِهِ ، وَتَتَدَلَّىٰ بِحَبْلِ غُرُورِهِ .

---

(١) جاء في هامش (أ) : (وقد ٱستعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من علمٍ لا ينفع ؛ وقال صلى الله عليه وسلم : « من طلب العلم ؛ ليماري به العلماء أو يجاري به السفهاء أو ليصرف به وجوه الناس إليه .. فليتبوأ مقعده من النار » [ت ٢٦٥٤ بنحوه]) .

فَوَيْلٌ لِلْجَاهِلِ حَيْثُ لَمْ يَتَعَلَّمْ مَرَّةً وَاحِدَةً ، وَوَيْلٌ لِلْعَالِمِ حَيْثُ لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ أَلْفَ مَرَّةٍ[1] .

وَٱعْلَمْ رَحِمَكَ ٱللهُ : أَنَّ ٱلنَّاسَ فِي طَلَبِ ٱلْعِلْمِ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ :

ـ رَجُلٌ طَلَبَ ٱلْعِلْمَ لِيَدَّخِرَهُ زَاداً إِلَى ٱلْمَعَادِ ، وَلَمْ يَقْصِدْ بِهِ إِلَّا وَجْهَ ٱللهِ تَعَالَىٰ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ .. **فَهَٰذَا مِنَ ٱلْفَائِزِينَ** .

ـ وَرَجُلٌ طَلَبَهُ لِيَسْتَعِينَ بِهِ عَلَىٰ حَيَاتِهِ ٱلْعَاجِلَةِ ، وَيَنَالَ بِهِ ٱلْعِزَّ وَٱلْجَاهَ وَٱلْمَالَ ، وَهُوَ عَالِمٌ بِذَٰلِكَ ، مُسْتَشْعِرٌ فِي قَلْبِهِ رَكَاكَةَ حَالِهِ ، وَخِسَّةَ مَقْصَدِهِ .. **فَهَٰذَا مِنَ ٱلْمُخَاطِرِينَ** .

---

(١) جاء في هامش (أ) : (وقد قيل : إذا تجرد العلم عن العمل .. كان عقيماً ، وإذا خلا العمل عن العلم .. كان سقيماً . « آداب المريدين » [ص ٣٢]) .

فَإِنْ عَاجَلَهُ أَجَلُهُ قَبْلَ ٱلتَّوْبَةِ .. خِيفَ عَلَيْهِ سُوءُ ٱلْخَاتِمَةِ ، وَبَقِيَ أَمْرُهُ فِي خَطَرِ ٱلْمَشِيئَةِ .

وَإِنْ وُفِّقَ لِلتَّوْبَةِ قَبْلَ حُلُولِ ٱلْأَجَلِ ، وَأَضَافَ إِلَى ٱلْعِلْمِ ٱلْعَمَلَ ، وَتَدَارَكَ مَا فَرَطَ مِنْهُ مِنَ ٱلْخَلَلِ .. ٱلْتَحَقَ بِٱلْفَائِزِينَ ؛ فَإِنَّ ٱلتَّائِبَ مِنَ ٱلذَّنْبِ .. كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ .

ـ وَرَجُلٌ ثَالِثٌ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ ٱلشَّيْطَانُ ، فَٱتَّخَذَ عِلْمَهُ ذَرِيعَةً إِلَى ٱلتَّكَاثُرِ بِٱلْمَالِ ، وَٱلتَّفَاخُرِ بِٱلْجَاهِ ، وَٱلتَّعَزُّزِ بِكَثْرَةِ ٱلْأَتْبَاعِ ، يَدْخُلُ بِعِلْمِهِ كُلَّ مَدْخَلٍ ، رَجَاءَ أَنْ يَقْضِيَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَطَرَهُ ، وَهُوَ مَعَ ذَٰلِكَ يُضْمِرُ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ عِنْدَ ٱللهِ بِمَكَانٍ ؛ لِٱتِّسَامِهِ بِسِمَةِ ٱلْعُلَمَاءِ ، وَتَرَسُّمِهِ بِرُسُومِهِمْ فِي ٱلزِّيِّ وَٱلْمَنْطِقِ ، مَعَ تَكَالُبِهِ عَلَى ٱلدُّنْيَا ظَاهِراً وَبَاطِناً .. **فَهَـٰذَا مِنَ ٱلْهَالِكِينَ ، وَمِنَ ٱلْحَمْقَى ٱلْمَغْرُورِينَ** ؛ إِذِ ٱلرَّجَاءُ مُنقَطِعٌ عَنْ تَوْبَتِهِ ؛ لِظَنِّهِ أَنَّهُ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ، وَهُوَ غَافِلٌ عَنْ قَوْلِ ٱللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا

لَا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

وَهُوَ مِمَّنْ قَالَ فِيهِمْ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنَا مِنْ غَيْرِ ٱلدَّجَّالِ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ مِنَ ٱلدَّجَالِ »!! فَقِيلَ : وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ ٱللهِ ؟ قَالَ : « عُلَمَاءُ ٱلسُّوءِ » [حم ٥/١٤٥ بنحوه] .

وَهَـٰذَا لِأَنَّ ٱلدَّجَّالَ غَايَتُهُ ٱلْإِضْلَالُ ، وَمِثْلُ هَـٰذَا ٱلْعَالِمِ - إِنْ صَرَفَ ٱلنَّاسَ عَنِ ٱلدُّنْيَا بِلِسَانِهِ وَمَقَالِهِ - فَهُوَ دَاعٍ لَهُمْ إِلَيْهَا بِأَعْمَالِهِ وَأَحْوَالِهِ ، وَلِسَانُ ٱلْحَالِ أَنْطَقُ مِنْ لِسَانِ ٱلْمَقَالِ ، وَطِبَاعُ ٱلنَّاسِ إِلَى ٱلْمُسَاعَدَةِ فِي ٱلْأَعْمَالِ أَمْيَلُ مِنْهَا إِلَى ٱلْمُتَابَعَةِ فِي ٱلْأَقْوَالِ .

فَمَا أَفْسَدَهُ هَـٰذَا ٱلْمَغْرُورُ بِأَعْمَالِهِ أَكْثَرُ مِمَّا أَصْلَحَهُ بِأَقْوَالِهِ ؛ إِذْ لَا يَسْتَجْرِئُ ٱلْجَاهِلُ عَلَى ٱلرَّغْبَةِ فِي ٱلدُّنْيَا إِلَّا بِٱسْتِجْرَاءِ ٱلْعُلَمَاءِ ، فَقَدْ صَارَ عِلْمُهُ سَبَباً لِجَرَاءَةِ عِبَادِ ٱللهِ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ ، وَنَفْسُهُ ٱلْجَاهِلَةُ مُدِلَّةٌ مَعَ ذَٰلِكَ تُمَنِّيهِ

وَتُرَجِّيهِ ، وَتَدْعُوهُ إِلَىٰ أَنْ يَمُنَّ عَلَى ٱللهِ بِعِلْمِهِ ، وَتُخَيِّلُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ ٱلْأَمَّارَةُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ .

فَكُنْ أَيُّهَا ٱلطَّالِبُ مِنَ ٱلْفَرِيقِ ٱلْأَوَّلِ ، وَٱحْذَرْ أَنْ تَكُونَ مِنَ ٱلْفَرِيقِ ٱلثَّانِي ، فَكَمْ مِنْ مُسَوِّفٍ عَاجَلَهُ ٱلْأَجَلُ قَبْلَ ٱلتَّوْبَةِ فَخَسِرَ ، وَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ ٱلْفَرِيقِ ٱلثَّالِثِ ، فَتَهْلِكَ هَلَاكاً لَا يُرْجَىٰ مَعَهُ فَلَاحُكَ ، وَلَا يُنْتَظَرُ صَلَاحُكَ .

فَإِنْ قُلْتَ : فَمَا بِدَايَةُ ٱلْهِدَايَةِ لِأُجَرِّبَ نَفْسِي فِيهَا؟

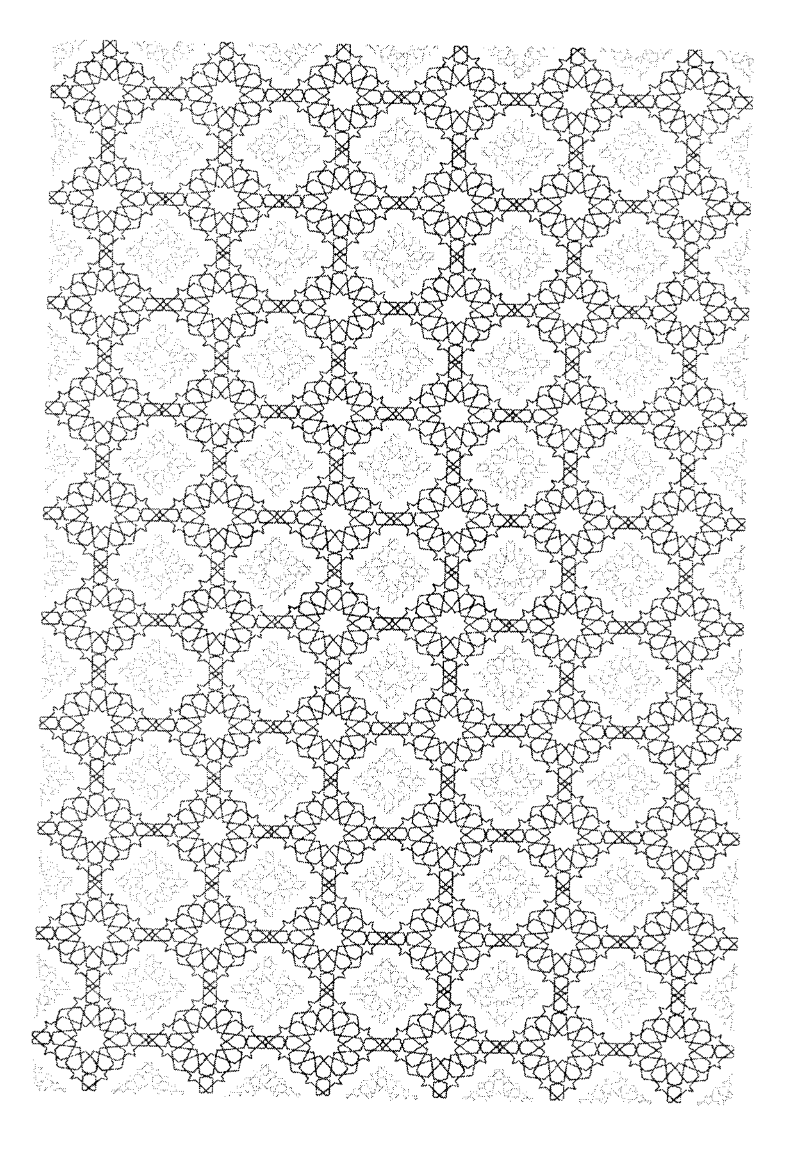
فَٱعْلَمْ : أَنَّ بِدَايَتَهَا ظَاهِرُ ٱلتَّقْوَىٰ ، وَنِهَايَتَهَا بَاطِنُ ٱلتَّقْوَىٰ ، فَلَا عَاقِبَةَ إِلَّا لِلتَّقْوَىٰ ، وَلَا هُدَىٰ إِلَّا لِلْمُتَّقِينَ .

وَٱلتَّقْوَىٰ عِبَارَةٌ عَنِ ٱمْتِثَالِ أَوَامِرِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَٱجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ ..

فَهُمَا قِسْمَانِ ، وَأَنَا أُشِيرُ عَلَيْكَ بِجُمَلٍ مُخْتَصَرَةٍ مِنْ ظَاهِرِ عِلْمِ ٱلتَّقْوَىٰ فِي ٱلْقِسْمَيْنِ جَمِيعاً .

* * *


القِسمُ الأوّل
في الطّاعَاتِ



القِسْمُ الأوّل

في الطَّاعَاتِ

اِعْلَمْ : أَنَّ أَوَامِرَ ٱللهِ تَعَالَىٰ فَرَائِضُ وَنَوَافِلُ .

فَٱلْفَرْضُ : رَأْسُ ٱلْمَالِ ، وَبِهِ تَحْصُلُ ٱلنَّجَاةُ . **وَٱلنَّفْلُ** : هُوَ ٱلرِّبْحُ ، وَبِهِ ٱلْفَوْزُ بِٱلدَّرَجَاتِ .

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَالَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ ٱلْمُتَقَرِّبُونَ بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا ٱفْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِمْ ، وَلَا يَزَالُ ٱلْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِٱلنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ ؛ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ ٱلَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ ٱلَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَلِسَانَهُ ٱلَّذِي يَنْطِقُ بِهِ ، وَيَدَهُ ٱلَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ ٱلَّتِي يَمْشِي بِهَا » .

وَلَنْ تَصِلَ أَيُّهَا ٱلطَّالِبُ إِلَى ٱلْقِيَامِ بِأَوَامِرِ ٱللهِ تَعَالَىٰ .. إِلَّا بِمُرَاقَبَةِ قَلْبِكَ وَجَوَارِحِكَ فِي لَحَظَاتِكَ وَأَنْفَاسِكَ ، مِنْ حِينِ تُمْسِي إِلَىٰ حِينِ تُصْبِحُ .

فَٱعْلَمْ : أَنَّ ٱللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مُطَّلِعٌ عَلَىٰ ضَمِيرِكَ ، وَمُشْرِفٌ عَلَىٰ ظَاهِرِكَ وَبَاطِنِكَ ، وَمُحِيطٌ بِجَمِيعِ خَطَرَاتِكَ وَلَحَظَاتِكَ وَخَطَوَاتِكَ ، وَسَائِرِ سَكَنَاتِكَ وَحَرَكَاتِكَ ، وَأَنَّكَ فِي مُخَالَطَتِكَ وَخَلَوَاتِكَ مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ .

فَلَا يَسْكُنُ فِي ٱلْمُلْكِ وَٱلْمَلَكُوتِ سَاكِنٌ وَلَا يَتَحَرَّكُ مُتَحَرِّكٌ .. إِلَّا وَجَبَّارُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ(١) .

فَتَأَدَّبْ أَيُّهَا ٱلْمِسْكِينُ ظَاهِراً وَبَاطِناً بَيْنَ يَدَيِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ؛ تَأَدُّبَ ٱلْعَبْدِ ٱلذَّلِيلِ ٱلْمُذْنِبِ فِي حَضْرَةِ ٱلْجَبَّارِ

---

(١) يؤكد ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ . وقوله تعالىٰ : ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ .

ٱلْقَهَّارِ ، وَٱجْتَهِدْ أَنْ لَا يَرَاكَ مَوْلَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ ، وَلَا يَفْقِدَكَ حَيْثُ أَمَرَكَ .

وَلَنْ تَقْدِرَ عَلَىٰ ذَٰلِكَ إِلَّا بِأَنْ تُوَزِّعَ أَوْقَاتَكَ ، وَتُرَتِّبَ أَوْرَادَكَ مِنْ صَبَاحِكَ إِلَىٰ مَسَائِكَ[1] .

فَأَصْغِ إِلَىٰ مَا يُلْقَىٰ إِلَيْكَ مِنْ أَوَامِرِ ٱللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْكَ مِنْ حِينِ تَسْتَيْقِظُ مِنْ مَنَامِكَ إِلَىٰ وَقْتِ رُجُوعِكَ إِلَىٰ مَضْجَعِكَ .



(١) جاء في هامش (أ) : (قال عليه الصلاة والسلام : ينبغي للمؤمن أن يكون له أربع ساعات من النهار : ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يأتي فيها العلماء الذين يبصِّرونه بأمر الله وينصحونه ، وساعة يُخَلّي بين نفسه ولذاتها فيما يحلُّ ويجمُل . « آداب المريدين » [ص٥٦]) .

فَصْلٌ

في آدابِ الاستيقاظِ مِنَ النَّومِ

فَإِذَا ٱسْتَيْقَظْتَ مِنَ ٱلنَّوْمِ .. فَٱجْتَهِدْ أَنْ تَسْتَيقِظَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلْفَجْرِ ، وَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا يَجْرِي عَلَىٰ قَلْبِكَ وَلِسَانِكَ ذِكْرُ ٱللهِ تَعَالَىٰ .

فَقُلْ عِنْدَ ذَٰلِكَ :

(اَلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ، أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ ٱلْمُلْكُ لِلهِ ، وَٱلْعَظَمَةُ وَٱلسُّلْطَانُ لِلهِ ، وَٱلْعِزَّةُ وَٱلْقُدْرَةُ لِلهِ .

أَصْبَحْنَا عَلَىٰ فِطْرَةِ ٱلْإِسْلَامِ وَعَلَىٰ كَلِمَةِ ٱلْإِخْلَاصِ ، وَعَلَىٰ دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَلَىٰ مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ .

ٱللَّهُمَّ ؛ بِكَ أَصْبَحْنَا ، وَبِكَ أَمْسَيْنَا ، وَبِكَ نَحْيَا ، وَبِكَ نَمُوتُ ، وَإِلَيْكَ ٱلنُّشُورُ .

ٱللَّهُمَّ ؛ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَبْعَثَنَا فِي هَـٰذَا ٱلْيَوْمِ إِلَىٰ كُلِّ خَيْرٍ ، وَنَعُوذُ بِكَ أَنْ نَجْتَرِحَ فِيهِ سُوءاً أَوْ نَجُرَّهُ إِلَىٰ مُسْلِمٍ أَوْ يَجُرَّهُ أَحَدٌ إِلَيْنَا .

نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَـٰذَا ٱلْيَوْمِ ، وَخَيْرَ مَا فِيهِ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ ، وَشَرِّ مَا فِيهِ)[١] .

---

(١) جاء في هامش (أ) : ([يستحب إذا استيقظ المرء من النوم أن يقول] : الحمد لله الذي رَدَّ عليَّ روحِي ، وعافاني في جسدي ، وأذن لي بذكره .

لا إلـه إلاَّ الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو علىٰ كل شيء قدير .

الحمد لله الذي خلق النوم واليقظة ، والحمد لله الذي بعثني سالماً سوياً ، أشهد أن الله يحيي الموتىٰ وهو علىٰ كل شيء قدير .

لا إلـه إلا أنت سبحانك اللهم أستغفرك لذنبي وأسألك رحمتك .

اللهم ؛ زدني علماً ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني ، وهب لي من =

فَإِذَا لَبِسْتَ ثِيَابَكَ .. فَٱنْوِ بِهِ ٱمْتِثَالَ أَمْرِ ٱللهِ تَعَالَىٰ فِي سَتْرِ عَوْرَتِكَ ، وَٱحْذَرْ أَنْ يَكُونَ قَصْدُكَ مِنْ لِبَاسِكَ مُرَاءَاةَ ٱلْخَلْقِ .

* * *

=لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . « أذكار » [ص ٤٣ـ٤٤]) .



بَابُ
آدَابُ دُخُولِ الخَلَاءِ

فَإِذَا قَصَدْتَ بَيْتَ ٱلْمَاءِ لِقَضَاءِ ٱلْحَاجَةِ .. فَقَدِّمْ فِي ٱلدُّخُولِ : رِجْلَكَ ٱلْيُسْرَىٰ ، وَفِي ٱلْخُرُوجِ : رِجْلَكَ ٱلْيُمْنَىٰ ، وَلَا تَسْتَصْحِبْ شَيْئاً عَلَيْهِ ٱسْمُ ٱللهِ تَعَالَىٰ وَٱسْمُ رَسُولِهِ ، وَلَا تَدْخُلْ حَاسِرَ ٱلرَّأْسِ(١) .

وَقُلْ عِنْدَ ٱلدُّخُولِ : (بِٱسْمِ ٱللهِ ، أَعُوذُ بِٱللهِ مِنَ ٱلرِّجْسِ ٱلنَّجِسِ ، ٱلْخَبِيثِ ٱلْمُخْبِثِ ، ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ) .

---

(١) لأن كشفه ينشأ عنه الفَرَقُ من الجن والنسيان وعلوق الرائحة بالشعر . . فستر الرأس عند دخول الخلاء (الحمَّام) من السنة وكذٰلك لبس النعلين ؛ وقد أثبتت البحوث الطبية الحديثة : أن دخول الحمام حاسر الرأس من أسباب تساقط الشعر لتعرضه لحمض الأمونيا والنشادر . والله أعلم .

وَعِنْدَ ٱلْخُرُوجِ : (غُفْرَانَكَ ، ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي مَا يُؤْذِينِي ، وَأَبْقَىٰ عَلَيَّ مَا يَنْفَعُنِي) .

وَيَنْبَغِي : أَنْ تُعِدَّ ٱلنَّبْلَ قَبْلَ قَضَاءِ ٱلْحَاجَةِ ، وَ : أَنْ لَا تَسْتَنْجِيَ بِٱلْمَاءِ فِي مَوْضِعِ قَضَاءِ ٱلْحَاجَةِ ، وَ : أَنْ تَسْتَبْرِىءَ مِنَ ٱلْبَوْلِ بِٱلتَّنَحْنُحِ وَٱلنَّتْرِ (ثَلَاثاً) ، وَبِإِمْرَارِ ٱلْيَدِ عَلَىٰ أَسْفَلِ ٱلْقَضِيبِ .

وَإِنْ كُنْتَ فِي ٱلصَّحْرَاءِ .. فَٱبْعُدْ عَنْ أَعْيُنِ ٱلنَّاظِرِينَ ، وَٱسْتَتِرْ بِشَيْءٍ إِنْ وَجَدْتَهُ ، وَلَا تَكْشِفْ عَوْرَتَكَ قَبْلَ ٱلِٱنْتِهَاءِ إِلَىٰ مَوْضِعِ ٱلْجُلُوسِ ، وَلَا تَسْتَقْبِلِ ٱلشَّمْسَ وَلَا ٱلْقَمَرَ وَلَا تَسْتَدْبِرْهُمَا ، وَلَا تَسْتَقْبِلِ ٱلْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدْبِرْهَا ، وَلَا تَجْلِسْ فِي مُتَحَدَّثِ ٱلنَّاسِ ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ ، وَلَا تَبُلْ فِي ٱلْمَاءِ ٱلرَّاكِدِ وَلَا تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ٱلْمُثْمِرَةِ ، وَلَا فِي ٱلْجُحْرِ .

وَٱحْذَرِ ٱلْأَرْضَ ٱلصَّلْبَةَ وَمَهَابَّ ٱلرِّيَاحِ ٱحْتِرَازاً مِنَ ٱلرَّشَاشِ .

وَٱتَّكِىءْ فِي جُلُوسِكَ عَلَى ٱلرِّجْلِ ٱلْيُسْرَىٰ ، وَلَا تَبُلْ قَائِماً إِلَّا عَنْ ضَرُورَةٍ ، وَٱجْمَعْ فِي ٱلِٱسْتِنْجَاءِ بَيْنَ ٱسْتِعْمَالِ ٱلْحَجَرِ وَٱلْمَاءِ[1] .

وَإِنْ أَرَدْتَ ٱلِٱقْتِصَارَ عَلَى ٱلْحَجَرِ .. فَعَلَيْكَ أَنْ تَسْتَعْمِلَ ثَلَاثَةَ أَحْجَارٍ طَاهِرَةٍ مُنَشِّفَةٍ لِلْعَيْنِ تَمْسَحُ بِهَا مَحَلَّ ٱلنَّجْوِ ، بِحَيْثُ لَا تَنْتَقِلُ ٱلنَّجَاسَةُ عَنْ مَوْضِعِهَا ، وَكَذَٰلِكَ تَمْسَحُ ٱلْقَضِيبَ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ مِنْ حَجَرٍ .

فَإِنْ لَمْ يَحْصُلِ ٱلْإِنْقَاءُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ .. فَتَمِّمْ خَمْسَةً أَوْ سَبْعَةً ، إِلَىٰ أَنْ تُنْقَىٰ بِٱلْأَوْتَارِ .

فَٱلْإِيتَارُ مُسْتَحَبٌّ ، وَٱلْإِنْقَاءُ وَاجِبٌ .

وَلَا تَسْتَنْجِ إِلَّا بِٱلْيَدِ ٱلْيُسْرَىٰ[2] .

---

(١) وإن أردت الاقتصار علىٰ أحدهما . . فالماء أفضل .

(٢) وابدأ في الاستنجاء بالماء بالقُبل . وعند إرادتك الاستنجاء بالحجر . . فابدأ بالدبر ، وخذ الحجر بيمينك ، وانظر إليه قبل رميه ؛ =

وَقُلْ عِنْدَ ٱلْفَرَاغِ مِنَ ٱلِٱسْتِنْجَاءِ : (ٱللَّٰهُمَّ ؛ طَهِّرْ قَلْبِي مِنَ ٱلنِّفَاقِ ، وَحَصِّنْ فَرْجِي مِنَ ٱلْفَوَاحِشِ) .

وَٱدْلُكْ يَدَكَ بَعْدَ تَمَامِ ٱلِٱسْتِنْجَاءِ بِٱلْأَرْضِ أَوْ بِحَائِطٍ ، ثُمَّ ٱغْسِلْهَا .

* * *

= لتعلم أنه أنقىٰ أم لا .

ثم ٱعلم : أنه يسن الجمع بين الحجر والماء في الاستنجاء ، فإن أراد الاقتصار على أحدهما . . فالماء أفضل .

بَابُ

آدَابُ الوُضُوء

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ ٱلِٱسْتِنْجَاءِ .. فَلَا تَتْرُكِ ٱلسِّوَاكَ ؛ فَإِنَّهُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ ، وَمَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ ، وَمَسْخَطَةٌ لِلشَّيْطَانِ .

وَصَلَاةٌ بِسِوَاكٍ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ صَلَاةً بِغَيْرِ سِوَاكٍ[1] .

ـ ثُمَّ ٱجْلِسْ لِلْوُضُوءِ مُسْتَقْبِلَ ٱلْقِبْلَةِ عَلَىٰ مَوْضِعٍ مُرْتَفِعٍ كَيْ لَا يُصِيبَكَ ٱلرَّشَاشُ . وَقُلْ : (بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ) .

---

(١) جاء في هامش نسخة : (وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لولا أن أشُقَّ علىٰ أمتي لأمرتهم بالسواك في كل صلاة » [م ٢٥٢] .

وعنه صلى الله عليه وسلم : « أمرت بالسواك حتىٰ خشيت أن يكتب علي » [حم ٣/ ٤٩٠] .

ـ ثُمَّ ٱغْسِلْ يَدَيْكَ (ثَلَاثاً) قَبْلَ أَنْ تُدْخِلَهُمَا ٱلْإِنَاءَ ، وَقُلِ : (ٱللّٰهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ ٱلْيُمْنَ وَٱلْبَرَكَةَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلشُّؤْمِ وَٱلْهَلَكَةِ) .

ـ ثُمَّ ٱنْوِ رَفْعَ ٱلْحَدَثِ أَوِ ٱسْتِبَاحَةَ ٱلصَّلَاةِ .

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَعْزُبَ نِيَّتُكَ قَبْلَ غَسْلِ ٱلْوَجْهِ ، فَلَا يَصِحُّ وُضُوؤُكَ .

ـ ثُمَّ خُذْ غَرْفَةً لِفِيكَ وَتَمَضْمَضْ بِهَا (ثَلَاثاً) ، وَبَالِغْ فِي رَدِّ ٱلْمَاءِ إِلَى ٱلْغَلْصَمَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِماً[١] ، وَقُلِ : (ٱللّٰهُمَّ ؛ أَعِنِّي عَلَىٰ تِلَاوَةِ كِتَابِكَ وَكَثْرَةِ ٱلذِّكْرِ لَكَ ، وَثَبِّتْنِي بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ) .

ـ ثُمَّ خُذْ غَرْفَةً لِأَنْفِكَ ، وَٱسْتَنْشِقْ بِهَا ثَلَاثاً ، وَٱسْتَنْثِرْ بِهَا مَا فِي ٱلْأَنْفِ مِنْ رُطُوبَةٍ ، وَقُلْ فِي ٱلِٱسْتِنْشَاقِ :

---

(١) ولو كان الصيام نفلاً ، فلا تبالغ ، بل ترفق ؛ فإن سَبَقَ ماء المبالغة إلىٰ جوفك.. أفطرت ؛ لأنه متولد عن منهي عنه بخلاف ما يحصل بدون المبالغة .

(اللّٰهُمَّ ؛ أَرِحْنِي رَائِحَةَ ٱلْجَنَّةِ وَأَنْتَ عَنِّي رَاضٍ) .

وَفِي ٱلِٱسْتِنْثَارِ : (ٱللّٰهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ رَوَائِحِ ٱلنَّارِ وَمِنْ سُوءِ ٱلدَّارِ) .

ـ ثُمَّ خُذْ غَرْفَةً لِوَجْهِكَ ، فَٱغْسِلْ بِهَا مِنْ مُبْتَدَأ تَسْطِيحِ ٱلْجَبْهَةِ إِلَىٰ مُنْتَهَىٰ مَا يُقْبِلُ مِنَ ٱلذَّقَنِ فِي ٱلطُّولِ ، وَمِنَ ٱلْأُذُنِ إِلَى ٱلْأُذُنِ فِي ٱلْعَرْضِ ، وَأَوْصِلِ ٱلْمَاءَ إِلَىٰ مَوْضِعِ ٱلتَّحْذِيفِ ـ وَهُوَ مَا يَعْتَادُ ٱلنِّسَاءُ تَنْحِيَةَ ٱلشَّعْرِ عَنْهُ ، مَا بَيْنَ رَأْسِ ٱلْأُذُنِ إِلَىٰ زَاوِيَةِ ٱلْجَبِينِ ؛ أَعْنِي مَا يَقَعُ مِنْهُ فِي جِهَةِ ٱلْوَجْهِ ـ وَأَوْصِلِ ٱلْمَاءَ إِلَىٰ مَنَابِتِ ٱلشُّعُورِ ٱلْأَرْبَعَةِ : ٱلْحَاجِبَانِ ، وَٱلشَّارِبَانِ ، وَٱلْأَهْدَابُ ، وَٱلْعِذَارَانِ ، وَهُمَا مَا يُوَازِي ٱلْأُذُنَيْنِ مِنْ مُبْتَدَأ ٱللِّحْيَةِ[١] .

وَيَجِبُ إِيصَالُ ٱلْمَاءِ إِلَىٰ مَنَابِتِ ٱللِّحْيَةِ ٱلْخَفِيفَةِ دُونَ ٱلْكَثِيفَةِ .

---

(١) أي : ما بين الصدغ والعارض .

وَقُلْ عِنْدَ غَسْلِ ٱلْوَجْهِ : (ٱللَّهُمَّ ؛ بَيِّضْ وَجْهِي بِنُورِكَ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَوْلِيَائِكَ ، وَلَا تُسَوِّدْ وَجْهِي بِظُلُمَاتِكَ يَوْمَ تَسْوَدُّ وُجُوهُ أَعْدَائِكَ) .

وَلَا تَتْرُكْ تَخْلِيلَ ٱللِّحْيَةِ ٱلْكَثَّةِ .

ـ ثُمَّ ٱغْسِلْ يَدَكَ ٱلْيُمْنَىٰ ثُمَّ ٱلْيُسْرَىٰ (ثَلَاثاً) مَعَ ٱلْمِرْفَقَيْنِ إِلَىٰ أَنْصَافِ ٱلْعَضُدَيْنِ(١) ، فَإِنَّ ٱلْحِلْيَةَ فِي ٱلْجَنَّةِ تَبْلُغُ مَوَاضِعَ ٱلْوُضُوءِ .

وَقُلْ عِنْدَ غَسْلِ ٱلْيُمْنَىٰ : (ٱللَّهُمَّ ؛ أَعْطِنِي كِتَابِي بِيَمِينِي وَحَاسِبْنِي حِسَاباً يَسِيراً) .

وَقُلْ عِنْدَ غَسْلِ ٱلشِّمَالِ : (ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ تُعْطِيَنِي كِتَابِي بِشِمَالِي أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي) .

---

(١) يسن تحريك الخاتم إذا كان الماء يصل تحته ، أما إذا لم يصل الماء . . وجب تحريكه .

ـ ثُمَّ ٱسْتَوْعِبْ رَأْسَكَ بِٱلْمَسْحِ بِأَنْ تَبُلَّ يَدَيْكَ ، وَتُلْصِقَ رُؤُوسَ أَصَابِعِكَ ٱلْيُمْنَىٰ بِٱلْيُسْرَىٰ ، وَتَضَعَهُمَا عَلَىٰ مُقَدِّمَةِ ٱلرَّأْسِ ، وَتُمِرَّهُمَا إِلَى ٱلْقَفَا ، ثُمَّ تَرُدَّهُمَا إِلَى ٱلْمُقَدِّمَةِ ، فَهَـٰذِهِ مَرَّةٌ ، تَفْعَلُ ذَٰلِكَ (ثَلَاثاً) ، وَكَذَٰلِكَ فِي سَائِرِ ٱلْأَعْضَاءِ . وَقُلِ : (ٱللَّٰهُمَّ ؛ غَشِّنِي بِرَحْمَتِكَ ، وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ ، وَأَظِلَّنِي تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِكَ ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّكَ . ٱللَّٰهُمَّ ؛ حَرِّمْ شَعَرِي وَبَشَرِي عَلَى ٱلنَّارِ) .

ـ ثُمَّ ٱمْسَحْ أُذُنَيْكَ ظَاهِرَهُمَا وَبَاطِنَهُمَا بِمَاءٍ جَدِيدٍ ، وَأَدْخِلْ مُسَبِّحَتَيْكَ فِي صِمَاخَيْ أُذُنَيْكَ ، وَٱمْسَحْ ظَاهِرَ أُذُنَيْكَ بِبَاطِنِ إِبْهَامَيْكَ . وَقُلِ : (ٱللَّٰهُمَّ ؛ ٱجْعَلْنِي مِنَ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ . ٱللَّٰهُمَّ ؛ أَسْمِعْنِي مُنَادِيَ ٱلْجَنَّةِ مَعَ ٱلْأَبْرَارِ) .

ـ ثُمَّ ٱمْسَحْ رَقَبَتَكَ ، وَقُلِ : (ٱللَّٰهُمَّ ؛ فُكَّ رَقَبَتِي مِنَ ٱلنَّارِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلسَّلَاسِلِ وَٱلْأَغْلَالِ) .

ـ ثُمَّ ٱغْسِلْ رِجْلَكَ ٱلْيُمْنَىٰ ، ثُمَّ ٱلْيُسْرَىٰ مَعَ ٱلْكَعْبَيْنِ ، وَخَلِّلْ بِخِنْصِرِ ٱلْيَدِ ٱلْيُسْرَىٰ أَصَابِعَ رِجْلِكَ ٱلْيُمْنَىٰ مُبْتَدِئاً مِنْ خِنْصِرِهَا حَتَّىٰ تَخْتِمَ بِخِنْصِرِ ٱلْيُسْرَىٰ ، وَتُدْخِلُ ٱلْإِصْبَعَ مِنْ أَسْفَلَ ، وَقُلِ : (ٱللَّهُمَّ ؛ ثَبِّتْ قَدَمَيَّ عَلَى ٱلصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ ٱلْأَقْدَامُ فِي ٱلنَّارِ) .

وَكَذَٰلِكَ تَغْسِلُ ٱلْيُسْرَىٰ وَتَقُولُ : (ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ تَزِلَّ قَدَمِي عَلَى ٱلصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ أَقْدَامُ ٱلْمُنَافِقِينَ) .

وَٱرْفَعِ ٱلْمَاءَ إِلَىٰ أَنْصَافِ ٱلسَّاقَيْنِ ، وَرَاعِ ٱلتَّكْرَارَ (ثَلَاثاً) فِي جَمِيعِ أَفْعَالِكَ .

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ ٱلْوُضُوءِ .. فَقُلْ : (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، سُبْحَانَكَ ٱللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنْتَ ، عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسِي ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ، فَٱغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ ، إِنَّكَ أَنْتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ .

ٱللَّهُـمَّ ؛ ٱجْعَلْنِـي مِـنَ ٱلتَّـوَّابِيـنَ ، وَٱجْعَلْنِـي مِـنَ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ، وَٱجْعَلْنِي مِنْ عِبَادِكَ ٱلصَّالِحِينَ ، وَٱجْعَلْنِي صَبُوراً شَكُوراً ، وَٱجْعَلْنِي أَذْكُرُكَ ذِكْراً كَثِيراً ، وَأُسَبِّحُكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً)[1] .

فَمَنْ قَرَأَ هَـٰذِهِ ٱلدَّعَوَاتِ فِي وُضُوئِهِ .. خَرَجَتْ جَمِيعُ خَطَايَاهُ مِنْ أَعْضَائِهِ ، وَخُتِمَ عَلَىٰ وُضُوئِهِ بِخَاتَمٍ ، وَرُفِعَ لَهُ تَحْتَ ٱلْعَرْشِ ، فَلَا يَزَالُ يُسَبِّحُ ٱللهَ تَعَالَىٰ وَيُقَدِّسُهُ وَيُكْتَبُ لَهُ ثَوَابُ ذَٰلِكَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ[2] .

وَٱجْتَنِبْ فِي وُضُوئِكَ سَبْعاً :

ـ لَا تَنْفُضْ يَدَيْكَ فَتَرُشَّ ٱلْمَاءَ .

ـ وَلَا تَلْطِمْ وَجْهَكَ وَرَأْسَكَ بِٱلْمَاءِ لَطْماً .

---

(١) يندب أن تقول ذٰلك وأنت رافع بصرك إلى السماء .

(٢) جاء في هامش (أ) : (ومنها ـ [أي : سنن الوضوء] ـ دعاء الأعضاء ، وهو وإن كان لا أصل له في الصحة . . فقد جاء من طرق ضعيفة يعمل بها في الفضائل . « العباب » [١/ ٧٣]) .

ـ وَلَا تَتَكَلَّمْ فِي أَثْنَاءِ ٱلْوُضُوءِ .

ـ وَلَا تَزِدْ فِي ٱلْغَسْلِ عَلَىٰ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .

ـ وَلَا تُكْثِرْ صَبَّ ٱلْمَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ(١) بِمُجَرَّدِ ٱلْوَسْوَسَةِ(٢) ، فَلِلْمُوَسْوَسِينَ شَيْطَانٌ يَضْحَكُ بِهِمْ يُقَالُ لَهُ : (ٱلْوَلْهَانُ) .

ـ وَلَا تَتَوَضَّأْ بِٱلْمَاءِ ٱلْمُشَمَّسِ ، وَلَا مِنَ ٱلْأَوَانِي ٱلصُّفْرِيَّةِ(٣) .

فَهَٰذِهِ ٱلسَّبْعَةُ مَكْرُوهَةٌ فِي ٱلْوُضُوءِ(٤) .

---

(١) جاء في هامش (أ) : (قال صلى الله عليه وسلم : « سيكون قوم من هـٰذه الأمة يعتدون في [الدعاء] والطهور » [د ٩٧] ؛ ويقال : من وهن علم الرجل . . ولوعه بالماء في الطهور . « إحياء » [١/ ١٣٤]) .

(٢) جاء في هامش (أ) : (وقال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه : أول ما يَبدأُ الوسواس من قبل الطهور . « إحياء » [١/ ١٣٤]) .

(٣) جاء في هامش (أ) : (وذٰلك من جهة الطبّ . « إحياء » [١/ ١٣٤]) .

(٤) جاء في هامش (أ) : (وكرِهَ قومٌ التنشيف ، وقالوا : الوَضوء =

وَفِي ٱلْخَبَرِ : « أَنَّ مَنْ ذَكَرَ ٱللهَ تَعَالَىٰ عِنْدَ وُضُوئِهِ .. طَهَّرَ ٱللهَ جَسَدَهُ كُلَّهُ ، وَمَنْ لَمْ يَذْكُرِ ٱللهَ .. لَمْ يَطْهُرْ مِنْهُ إِلَّا مَا أَصَابَ ٱلْمَاءُ »(١) [قط ١/ ٧٣] .

* * *

= يوزن . قاله سعيد بن المسيب والزهري . « إحياء » [١/ ١٣٤]) .

(١) جاء في هامش (أ) : (ومهما فرغ من وضوئه ، وأقبل على الصلاة .. فينبغي أن يخطر بباله أنه طهر ظاهره ، وهو مطرح نظر الخلق .. فينبغي أن يستحيي من مناجاة الله تعالىٰ من غير تطهير قلبه وهو موقع نظر الرب .

وليتحقق أن طهارة القلب بالتوبة من الأخلاق الذميمة ، وأن من اقتصر علىٰ طهارة الظاهر .. كمن أراد أن يدعوَ مَلِكاً إلىٰ بيته ، فتركه مشحوناً بالقاذورات واشتغل بتجصيص ظاهر الباب البرّاني من الدار .

وما أجدر مثل هٰذا الرجل بالتعرض للمقت والبوار . « إحياء » [١/ ١٣٥]) .

آداب الغَسل من الجنابة

فَإِذَا أَصَابَتْكَ جَنَابَةٌ مِنِ ٱحْتِلَامٍ أَوْ وِقَاعٍ .. فَخُذِ ٱلْإِنَاءَ إِلَى ٱلْمُغْتَسَلِ ، وَٱغْسِلْ يَدَيْكَ أَوَّلاً (ثَلَاثاً) ، وَأَزِلْ مَا عَلَىٰ بَدَنِكَ مِنْ قَذَرٍ ، وَتَوَضَّأْ كَمَا سَبَقَ فِي وُضُوئِكَ لِلصَّلَاةِ مَعَ جَمِيعِ ٱلدَّعَوَاتِ وَٱلْأَذْكَارِ ، وَأَخِّرْ غَسْلَ قَدَمَيْكَ ؛ كَيْلَا يَضِيعَ ٱلْمَاءُ .

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ ٱلْوُضُوءِ .. فَصُبَّ ٱلْمَاءَ عَلَىٰ شِقِّكَ ٱلْأَيْمَنِ (ثَلَاثاً) ، وَأَنْتَ نَاوٍ رَفْعَ ٱلْجَنَابَةِ ، ثُمَّ عَلَىٰ شِقِّكَ ٱلْأَيْسَرِ (ثَلَاثاً) ، ثُمَّ عَلَىٰ رَأْسِكَ (ثَلَاثاً) ، وَٱدْلُكْ مَا أَقْبَلَ مِنْ بَدَنِكَ وَمَا أَدْبَرَ ، وَخَلِّلْ شَعْرَ رَأْسِكَ وَأَوْصِلِ ٱلْمَاءَ إِلَىٰ مَعَاطِفِ ٱلْبَدَنِ وَمَنَابِتِ ٱلشَّعْرِ مَا خَفَّ مِنْهُ وَمَا كَثُفَ .

وَٱحْذَرْ أَنْ تَمَسَّ ذَكَرَكَ بَعْدَ ٱلْوُضُوءِ ، فَإِنْ أَصَابَتْهُ ٱلْيَدُ .. فَأَعِدِ ٱلْوُضُوءَ .

وَٱلْفَرِيضَةُ مِنْ جُمْلَةِ ذَٰلِكَ .. ٱلنِّيَّةُ ، وَٱسْتِيعَابُ ٱلْبَدَنِ بِٱلْغَسْلِ .

وَمِنَ ٱلْوُضُوءِ : غَسْلُ ٱلْوَجْهِ وَٱلْيَدَيْنِ مَعَ ٱلْمِرْفَقَيْنِ ، وَمَسْحُ بَعْضِ ٱلرَّأْسِ ، وَغَسْلُ ٱلرِّجْلَيْنِ مَعَ ٱلْكَعْبَيْنِ (مَرَّةً ، مَرَّةً) ، مَعَ ٱلنِّيَّةِ ، وَٱلتَّرْتِيبِ .

وَمَا عَدَاهُ سُنَنٌ مُؤَكَّدَةٌ فَضْلُهَا كَثِيرٌ وَثَوَابُهَا جَزِيلٌ ، وَٱلْمُتَهَاوِنُ بِهَا خَاسِرٌ ، بَلْ هُوَ بِأَصْلِ فَرَائِضِهِ مُخَاطِرٌ ، فَإِنَّ ٱلنَّوَافِلَ جَوَابِرُ ٱلْفَرَائِضِ .

* * *

آدابُ التيمُّمِ

فَإِنْ عَجَزْتَ عَنِ ٱلْمَاءِ لِفَقْدِهِ بَعْدَ ٱلطَّلَبِ ، أَوْ لِمَانِعٍ مِنَ ٱلْوُصُولِ إِلَيْهِ مِنْ سَبُعٍ أَوْ مِنْ حَابِسٍ ، أَوْ كَانَ ٱلْمَاءُ ٱلْحَاضِرُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِعَطَشِكَ أَوْ عَطَشِ رَفِيقِكَ ، أَوْ كَانَ مِلْكاً لِغَيْرِكَ وَلَمْ يَبِعْ إِلَّا بِأَكْثَرَ مِنْ ثَمَنِ ٱلْمِثْلِ ، أَوْ كَانَ بِكَ جِرَاحَةٌ أَوْ مَرَضٌ تَخَافُ مِنْه عَلَىٰ نَفْسِكَ .. فَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَدْخُلَ وَقْتُ ٱلْفَرِيضَةِ .

ثُمَّ ٱقْصِدْ صَعِيداً طَيِّباً عَلَيْهِ تُرَابٌ خَالِصٌ طَاهِرٌ لَيِّنٌ ، فَٱضْرِبْ عَلَيْهِ كَفَّيْكَ ، ضَامّاً بَيْنَ أَصَابِعِكَ ، وَٱنْوِ ٱسْتِبَاحَةَ ٱلصَّلَاةِ ، وَٱمْسَحْ بِهِمَا وَجْهَكَ كُلَّهُ مَرَّةً وَاحِدَةً ، وَلَا تَتَكَلَّفْ إِيصَالَ ٱلْغُبَارِ إِلَىٰ مَنَابِتِ ٱلشُّعُورِ خَفَّتْ أَوْ كَثُفَتْ .

ثُمَّ ٱنْزِعْ خَاتَمَكَ ، وَٱضْرِبْ ضَرْبَةً ثَانِيَةً مُفَرِّجاً بَيْنَ أَصَابِعِكَ ، وَٱمْسَحْ بِهِمَا يَدَيْكَ مَعَ مِرْفَقَيْكَ .

فَإِنْ لَمْ تَسْتَوْعِبْهُمَا .. فَٱضْرِبْ ضَرْبَةً أُخْرَىٰ إِلَىٰ أَنْ تَسْتَوْعِبَهُمَا .

ثُمَّ ٱمْسَحْ إِحْدَىٰ كَفَّيْكَ بِٱلْأُخْرَىٰ ، وَٱمْسَحْ مَا بَيْنَ أَصَابِعِكَ بِٱلتَّخْلِيلِ ، وَصَلِّ بِهِ فَرْضاً وَاحِداً ، وَمَا شِئْتَ مِنَ ٱلنَّوَافِلِ بَعْدَ ٱلْفَرْضِ .

فَإِذَا أَرَدْتَ فَرْضاً ثَانِياً .. فَٱسْتَأْنِفْ لَهُ تَيَمُّماً آخَرَ .

* * *



آدَابُ الخُرُوجِ إلى المَسْجِدِ

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ طَهَارَتِكَ .. فَصَلِّ فِي بَيْتِكَ رَكْعَتَيِ ٱلْفَجْرِ ، إِنْ كَانَ ٱلْفَجْرُ قَدْ طَلَعَ ؛ كَذَٰلِكَ كَانَ يَفْعَلُ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ تَوَجَّهْ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ .

وَلَا تَدَعِ ٱلصَّلَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ؛ لَا سِيَّمَا صَلَاةَ ٱلصُّبْحِ ، فَصَلَاةُ ٱلْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةَ ٱلْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً .

فَإِنْ كُنْتَ تَتَسَاهَلُ فِي مِثْلِ هَـٰذَا ٱلرِّبْحِ .. فَأَيُّ فَائِدَةٍ لَكَ فِي طَلَبِ ٱلْعِلْمِ؟!

وَإِنَّمَا ثَمَرَةُ ٱلْعِلْمِ : ٱلْعَمَلُ بِهِ .

فَإِذَا سَعَيْتَ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ .. فَٱمْشِ عَلَىٰ هَيْنَةٍ وَتُؤَدَةٍ وَلاَ تَعْجَلْ .

وَقُلْ فِي طَرِيقِكَ : (ٱللّٰهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ ٱلسَّائِلِينَ عَلَيْكَ ، وَبِحَقِّ ٱلرَّاغِبِينَ إِلَيْكَ ، وَبِحَقِّ مَمْشَايَ هَـٰذَا إِلَيْكَ ، فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشَراً وَلَا بَطَراً وَلَا رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً ، بَلْ خَرَجْتُ ٱتِّقَاءَ سَخَطِكَ ، وَٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ ؛ فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُنْقِذَنِي مِنَ ٱلنَّارِ وَأَنْ تُدْخِلَنِي ٱلْجَنَّةَ ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي ، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ) .

*   *   *

آدابُ دُخُولِ المَسْجِدِ إِلىٰ طُلُوعِ الشَّمْسِ

فَإِذَا أَرَدْتَ دُخُولَ ٱلْمَسْجِدِ .. فَقَدِّمْ رِجْلَكَ ٱلْيُمْنَىٰ ، وَقُلِ : (ٱللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ . ٱللَّهُمَّ ؛ ٱغْفِرْ لِي ذُنُوبِي ، وَٱفْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ) .

وَمَهْمَا رَأَيْتَ فِي ٱلْمَسْجِدِ مَنْ يَبِيعُ .. فَقُلْ : (لَا أَرْبَحَ ٱللهُ تِجَارَتَكَ) .

وَإِذَا رَأَيْتَ مَنْ يَنْشُدُ فِيهِ ضَالَّةً .. فَقُلْ : (لَا رَدَّ ٱللهُ عَلَيْكَ ضَالَّتَكَ) ؛ كَذَٰلِكَ أَمَرَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَإِذَا دَخَلْتَ ٱلْمَسْجِدَ .. فَلَا تَجْلِسْ حَتَّىٰ تُصَلِّيَ رَكْعَتَيِ ٱلتَّحِيَّةِ .

فَإِنْ لَمْ تَكُنْ صَلَّيْتَ فِي بَيْتِكَ رَكْعَتَيِ ٱلْفَجْرِ .. فَيُجْزِئُكَ أَدَاؤُهُمَا عَنِ ٱلتَّحِيَّةِ .

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ ٱلرَّكْعَتَيْنِ .. فَٱنْوِ ٱلِٱعْتِكَافَ ، وَٱدْعُ بِمَا دَعَا بِهِ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ رَكْعَتَيِ ٱلْفَجْرِ .

وَقُلِ : (ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي ، وَتَجْمَعُ بِهَا شَمْلِي ، وَتَلُمُّ بِهَا شَعَثِي ، وَتَرُدُّ بِهَا أُلْفَتِي ، وَتُصْلِحُ بِهَا دِينِي ، وَتَحْفَظُ بِهَا غَائِبِي ، وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدِي ، وَتُزَكِّي بِهَا عَمَلِي ، وَتُبَيِّضُ بِهَا وَجْهِي ، وَتُلَقِّنِي بِهَا رُشْدِي ، وَتَعْصِمُنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ .

ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَاناً دَائِماً يُبَاشِرُ قَلْبِي ، وَأَسْأَلُكَ يَقِيناً صَادِقاً حَتَّىٰ أَعْلَمَ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَنِي إِلَّا مَا كَتَبْتَهُ عَلَيَّ ، وَرَضِّنِي بِمَا قَسَمْتَهُ لِي .

ٱللَّهُمَّ ؛ أَعْطِنِي إِيمَاناً صَادِقاً ، وَيَقِيناً لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ ، وَرَحْمَةً أَنَالُ بِهَا شَرَفَ كَرَامَتِكَ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ .

ٱللّٰهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ ٱلصَّبْرَ عِنْدَ ٱلْقَضَاءِ ، وَٱلْفَوْزَ عِنْدَ ٱللِّقَاءِ ، وَمَنَازِلَ ٱلشُّهَدَاءِ ، وَعَيْشَ ٱلسُّعَدَاءِ ، وَٱلنَّصْرَ عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ ، وَمُرَافَقَةَ ٱلْأَنْبِيَاءِ .

ٱللّٰهُمَّ ؛ إِنِّي أُنْزِلُ بِكَ حَاجَتِي ، وَإِنْ ضَعُفَ رَأْيِي ، وَقَصُرَ عَمَلِي ، وَٱفْتَقَرْتُ إِلَىٰ رَحْمَتِكَ ، فَأَسْأَلُكَ يَا قَاضِيَ ٱلْأُمُورِ ، وَيَا شَافِيَ ٱلصُّدُورِ ، كَمَا تُجِيرُ بَيْنَ ٱلْبُحُورِ .. أَنْ تُجِيرَنِي مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ، وَمِنْ دَعْوَةِ ٱلثُّبُورِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ ٱلْقُبُورِ .

ٱللّٰهُمَّ ؛ وَمَا قَصُرَ عَنْهُ رَأْيِي ، وَضَعُفَ عَنْهُ عَمَلِي ، وَلَمْ تَبْلُغْهُ نِيَّتِي أَوْ أُمْنِيَّتِي مِنْ خَيْرٍ وَعَدْتَهُ أَحَداً مِنْ عِبَادِكَ ، أَوْ خَيْرٍ أَنْتَ مُعْطِيهِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ .. فَإِنِّي أَرْغَبُ إِلَيْكَ فِيهِ ، وَأَسْأَلُكَهُ يَا رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ .

ٱللّٰهُمَّ ؛ ٱجْعَلْنَا هَادِينَ مُهْتَدِينَ ، غَيرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ ، حَرْباً لِأَعْدَائِكَ ، وَسِلْماً لِأَوْلِيَائِكَ ، نُحِبُّ

بِحُبِّكَ ٱلنَّاسَ ، وَنُعَادِي بِعَدَاوَتِكَ مَنْ خَالَفَكَ مِنْ خَلْقِكَ .

ٱللَّهُمَّ ؛ هَـٰذَا ٱلدُّعَاءُ ، وَعَلَيْكَ ٱلْإِجَابَةُ ، وَهَـٰذَا ٱلْجُهْدُ وَعَلَيْكَ ٱلتُّكْلَانُ ، وَإِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْعَظِيمِ .

ٱللَّهُمَّ ؛ يَاذَا ٱلْحَبْلِ ٱلشَّدِيدِ وَٱلْأَمْرِ ٱلرَّشِيدِ .. أَسْأَلُكَ ٱلْأَمْنَ يَوْمَ ٱلْوَعِيدِ ، وَٱلْجَنَّةَ يَوْمَ ٱلْخُلُودِ ، مَعَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ٱلشُّهُودِ ، وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ، ٱلْمُوفِينَ بِٱلْعُهُودِ ، إِنَّكَ رَحِيمٌ وَدُودٌ ، وَأَنْتَ تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ ، سُبْحَانَ ٱلَّذِي تَعَطَّفَ بِٱلْعِزِّ وَقَالَ بِهِ ، سُبْحَانَ ٱلَّذِي لَبِسَ ٱلْمَجْدَ وَتَكَرَّمَ بِهِ ، سُبْحَانَ ٱلَّذِي لَا يَنْبَغِي ٱلتَّسْبِيحُ إِلَّا لَهُ ، سُبْحَانَ ذِي ٱلْفَضْلِ وَٱلنِّعَمِ ، سُبْحَانَ ذِي ٱلْقُدْرَةِ وَٱلْكَرَمِ ، سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ بِعِلْمِهِ .

ٱللَّهُمَّ ؛ ٱجْعَلْ لِي نُوراً فِي قَلْبِي ، وَنُوراً فِي قَبْرِي ، وَنُوراً فِي سَمْعِي ، وَنُوراً فِي بَصَرِي ، وَنُوراً فِي شَعْرِي ،

وَنُوراً فِي بَشَرِي ، وَنُوراً فِي لَحْمِي ، وَنُوراً فِي دَمِي ، وَنُوراً فِي عِظَامِي ، وَنُوراً مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ ، وَنُوراً مِنْ خَلْفِي ، وَنُوراً عَنْ يَمِينِي ، وَنُوراً عَنْ شِمَالِي ، وَنُوراً مِنْ فَوْقِي ، وَنُوراً مِنْ تَحْتِي .

ٱللَّهُمَّ ؛ زِدْنِي نُوراً ، وَأَعْطِنِي نُوراً ، وَٱجْعَلْ لِي نُوراً) .

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ ٱلدُّعَاءِ .. فَلَا تَشْتَغِلْ إِلَىٰ أَدَاءِ ٱلْفَرِيضَةِ إِلَّا بِذِكْرِ ٱللهِ ، وَٱلتَّسْبِيحِ ، وَقِرَاءَةِ ٱلْقُرْآنِ .

فَإِذَا سَمِعْتَ ٱلْأَذَانَ فِي أَثْنَاءِ ذَٰلِكَ .. فَٱقْطَعْ مَا أَنْتَ فِيهِ ، وَٱشْتَغِلْ بِجَوَابِ ٱلْمُؤَذِّنِ .

فَإِذَا قَالَ ٱلْمُؤَذِّنُ : (ٱللهُ أَكْبَرُ ، ٱللهُ أَكْبَرُ) .. فَقُلْ مِثْلَ ذَٰلِكَ ، وَكَذَٰلِكَ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ .

فَإِذَا قَالَ : (حَيَّ عَلَى ٱلصَّلَاةِ ، حَيَّ عَلَى ٱلْفَلَاحِ) .. فَقُلْ فِيهِمَا : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْعَظِيمِ .

فَإِذَا قَالَ : (ٱلصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ ٱلنَّوْمِ) .. فَقُلْ : صَدَقْتَ وَبَرِرْتَ .

فَإِذَا سَمِعْتَ ٱلْإِقَامَةَ .. فَقُلْ مِثْلَ مَا يَقُولُ ، إِلَّا فِي قَوْلِهِ : (قَدْ قَامَتِ ٱلصَّلَاةُ) .. فَقُلْ : (أَقَامَهَا ٱللهُ وَأَدَامَهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَاوَاتُ وَٱلْأَرْضُ) .

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ جَوَابِ ٱلْمُؤَذِّنِ .. فَقُلِ : (ٱللّٰهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِنْدَ حُضُورِ صَلَاتِكَ ، وَأَصْوَاتِ دُعَاتِكَ ، وَإِدْبَارِ لَيْلِكَ ، وَإِقْبَالِ نَهَارِكَ .. أَنْ تُؤْتِيَ مُحَمَّداً صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْوَسِيلَةَ وَٱلْفَضِيلَةَ وَٱلدَّرَجَةَ ٱلرَّفِيعَةَ ، وَٱبْعَثْهُ ٱلْمَقَامَ ٱلْمَحْمُودَ ٱلَّذِي وَعَدْتَهُ ، إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ؛ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ ٱلرَّاحِمِينَ) .

فَإِذَا سَمِعْتَ ٱلْأَذَانَ وَأَنْتَ فِي ٱلصَّلَاةِ .. فَتَمِّمِ ٱلصَّلَاةَ ، ثُمَّ تَدَارَكِ ٱلْجَوَابَ بَعْدَ ٱلسَّلَامِ عَلَىٰ وَجْهِهِ .

فَإِذَا أَحْرَمَ ٱلْإِمَامُ بِٱلْفَرْضِ .. فَلَا تَشْتَغِلْ إِلَّا بِٱلِٱقْتِدَاءِ

بِهِ ، وَصَلِّ رَكْعَتَيِ ٱلْفَرْضِ[1] كَمَا سَيُتْلَىٰ عَلَيْكَ فِي كَيْفِيَّةِ ٱلصَّلَاةِ وَآدَابِهَا .

فَإِذَا فَرَغْتَ .. فَقُلِ : (ٱللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ .

ٱللَّهُمَّ ؛ أَنْتَ ٱلسَّلَامُ ، وَمِنْكَ ٱلسَّلَامُ ، وَإِلَيْكَ يَعُودُ ٱلسَّلَامُ ، فَحَيِّنَا رَبَّنَا بِٱلسَّلَامِ ، وَأَدْخِلْنَا دَارَ ٱلسَّلَامِ ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ ، سُبْحَانَ رَبِّيَ ٱلْعَلِيِّ ٱلْأَعْلَى ٱلْوَهَّابِ ، لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، بِيَدِهِ ٱلْخَيْرُ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ أَهْلُ ٱلنِّعْمَةِ وَٱلْمِنَّةِ وَٱلْفَضْلِ وَٱلثَّنَاءِ ٱلْحَسَنِ ، لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ ، مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ) .

---

(١) أي : صلاة الصبح .

ثُمَّ ٱدْعُ بَعْدَ ذَٰلِكَ بِٱلْجَوَامِعِ ٱلْكَوَامِلِ ؛ وَهِيَ مِمَّا عَلَّمَهُ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَائِشَةَ رِضْوَانُ ٱللهِ عَلَيْهَا ، فَقُلِ : « (ٱللّٰهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ ٱلْخَيْرِ كُلِّهِ ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ، وَأَسْأَلُكَ ٱلْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ أَوِ ٱعْتِقَادٍ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ أَوِ ٱعْتِقَادٍ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَسْتَعِيذُكَ مِمَّا ٱسْتَعَاذَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ٱللّٰهُمَّ ؛ وَمَا قَضَيْتَ لِي مِنْ أَمْرٍ .. فَٱجْعَلْ عَاقِبَتَهُ رَشَداً) » [ق ٣٨٤٦ بنحوه] .

ثُمَّ ٱدْعُ بِمَا أَوْصَىٰ بِهِ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا ، وَقُلْ : « (يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ،

بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ ، لَا تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي وَلَا إِلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ) » [طص ١/ ٢٧٠] .

ثُمَّ قُلْ مَا قَالَهُ عِيسَىٰ ـ عَلَىٰ نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ـ : (ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَصْبَحْتُ لَا أَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَا أَكْرَهُ ، وَلَا أَمْلِكُ نَفْعَ مَا أَرْجُو ، وَأَصْبَحَ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُ بِيَدِ غَيْرِي ، وَأَصْبَحْتُ مُرْتَهَناً بِعَمَلِي ، فَلَا فَقِيرَ أَفْقَرُ مِنِّي .

ٱللَّهُمَّ ؛ لَا تُشْمِتْ بِي عَدُوِّي ، وَلَا تَسُؤْ بِي صَدِيقِي ، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتِي فِي دِينِي ، وَلَا تَجْعَلِ ٱلدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّي وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِي ، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ مَنْ لَا يَرْحَمُنِي) .

ثُمَّ ٱدْعُ بِمَا بَدَا لَكَ مِنَ ٱلدَّعَوَاتِ ٱلْمَأْثُورَاتِ وَٱحْفَظْهَا ؛ مِمَّا أَوْرَدْنَاهُ فِي كِتَابِ (ٱلدَّعَوَاتِ) مِنْ كِتَابِ « إِحْيَاءِ عُلُومِ ٱلدِّينِ » .

وَلْتَكُنْ أَوْقَاتُكَ بَعْدَ ٱلصَّلَاةِ إِلَىٰ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ مُوَزَّعَةً عَلَىٰ أَرْبَعِ وَظَائِفَ :

ـ وَظِيفَةٍ فِي ٱلدَّعَوَاتِ .

ـ وَوَظِيفَةٍ فِي ٱلْأَذْكَارِ وَٱلتَّسْبِيحَاتِ، تُكَرِّرُهَا فِي سُبْحَةٍ .

ـ وَوَظِيفَةٍ فِي قِرَاءَةِ ٱلْقُرْآنِ .

ـ وَوَظِيفَةٍ فِي ٱلتَّفَكُّرِ .

وَتَفَكَّرْ فِي ذُنُوبِكَ وَخَطَايَاكَ ، وَتَقصِيرِكَ فِي عِبَادَةِ مَوْلَاكَ ، وَتَعَرُّضِكَ لِعِقَابِهِ ٱلْأَلِيمِ ، وَسَخَطِهِ ٱلْعَظِيمِ .

وَتُرَتِّبُ بِتَدْبِيرِكَ أَوْرَادَكَ فِي جَمِيعِ يَوْمِكَ ؛ لِتَتَدَارَكَ بِهِ مَا فَرَطَ مِنْ تَقصِيرِكَ .

وَتَتَحَرَّزَ بِهِ مِنَ ٱلتَّعَرُّضِ لِسَخَطِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي يَوْمِكَ .

وَتَنْوِي ٱلْخَيْرَ لِجَمِيعِ ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَتَعْزِمُ عَلَىٰ أَلَّا تَشْتَغِلَ فِي جَمِيعِ نَهَارِكَ إِلَّا بِطَاعَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَتُفَصِّلُ فِي قَلْبِكَ ٱلطَّاعَاتِ ٱلَّتِي تَقْدِرُ عَلَيْهَا ، وَتَخْتَارُ أَفْضَلَهَا ،

وَتَتَأَمَّلُ فِي تَهْيِئَةِ أَسْبَابِهَا لِتَشْتَغِلَ بِهَا .

وَلَا تَدَعْ عَنْكَ ٱلتَّفَكُّرَ فِي قُرْبِ ٱلْأَجَلِ وَحُلُولِ ٱلْمَوْتِ ٱلْقَاطِعِ لِلْأَمَلِ ، وَخُرُوجِ ٱلْأَمْرِ عَنِ ٱلِٱخْتِيَارِ ، وَحُصُولِ ٱلْحَسْرَةِ وَٱلنَّدَامَةِ بِطُولِ ٱلِٱغْتِرَارِ .

وَلْيَكُنْ مِنْ تَسْبِيحَاتِكَ وَأَذْكَارِكَ عَشْرُ كَلِمَاتٍ :

أَحَدُهَا : (لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ ٱلْخَيْرُ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

ٱلثَّانِيَةُ : (لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ) .

ٱلثَّالِثَةُ : (لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ ، رَبُّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ) .

ٱلرَّابِعَةُ : (سُبْحَانَ ٱللهِ ، وَٱلْحَمْدُ لِلهِ ، وَلَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ، وَٱللهُ أَكْبَرُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْعَظِيمِ) .

وَٱلْخَامِسَةُ : (سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ ٱلْمَلَائِكَةِ وَٱلرُّوحِ) .

وَٱلسَّادِسَةُ : (سُبْحَانَ ٱللهِ ٱلْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ) .

وَٱلسَّابِعَةُ : (أَسْتَغْفِرُ ٱللهَ ٱلْعَظِيمَ ٱلَّذِي لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ، وَأَسْأَلُهُ ٱلتَّوْبَةَ وَٱلْمَغْفِرَةَ) .

ٱلثَّامِنَةُ : (ٱللَّٰهُمَّ ؛ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلَا رَادَّ لِمَا قَضَيْتَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا ٱلْجَدِّ مِنْكَ ٱلْجَدُّ) .

وَٱلتَّاسِعَةُ : (ٱللَّٰهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ) .

وَٱلْعَاشِرَةُ : (بِٱسْمِ ٱللهِ ٱلَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ ٱسْمِهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ ، وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ) .

فَكَرِّرْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْكَلِمَاتِ فِي سُبْحَةٍ ، إِمَّا

(مِئَةَ مَرَّةٍ) أَوْ (سَبْعِينَ مَرَّةً) ، أَوْ (عَشْرَ مَرَّاتٍ) وَهُوَ أَقَلُّهَا ؛ لِيَكُونَ ٱلْمَجْمُوعُ (مِئَةَ مَرَّةٍ) .

وَلَازِمْ هَـٰذِهِ ٱلْأَوْرَادَ ، وَلَا تَتَكَلَّمْ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ ؛ فَفِي ٱلْخَبَرِ : « إِنَّ ذَٰلِكَ أَفْضَلُ مِنْ إِعْتَاقِ ثَمَانِي رِقَابٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ » عَلَىٰ نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ـ أَعْنِي : ٱلِٱشْتِغَالَ بِٱلذِّكْرِ إِلَىٰ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَخَلَّلَهُ كَلَامٌ .

فَٱعْلَمْ ذَٰلِكَ تُوَفَّقْ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَىٰ .

* * *

آدابُ مَا بعدَ طُلُوعِ الشَّمسِ الى الزَّوال

فَإِذَا طَلَعَتِ ٱلشَّمْسُ ، وَٱرْتَفَعَتْ قِيْدَ رُمْحٍ[1] .. فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ ، وَذَٰلِكَ عِنْدَ زَوَالِ وَقْتِ ٱلْكَرَاهَةِ لِلصَّلَاةِ ؛ فَإِنَّهَا مَكْرُوهَةٌ مِنْ بَعْدِ فَرِيضَةِ ٱلصُّبْحِ إِلَى ٱرْتِفَاعِ ٱلشَّمْسِ .

فَإِذَا أَضْحَى ٱلنَّهَارُ ، وَمَضَىٰ مِنْهُ قَرِيبٌ مِنْ رُبُعِهِ .. فَصَلِّ صَلَاةَ ٱلضُّحَىٰ (أَرْبَعاً) أَوْ (سِتّاً) أَو (ثَمَانِيَ) ؛ مَثْنَىٰ ، مَثْنَىٰ ، فَقَدْ نُقِلَتْ هَـٰذِهِ ٱلْأَعْدَادُ كُلُّهَا عَنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَٱلصَّلَاةُ خَيْرٌ كُلُّهَا ، فَمَنْ شَاءَ .. فَلْيَسْتَكْثِرْ ، وَمَنْ شَاءَ .. فَلْيَسْتَقْلِلْ .

وَلَيْسَ بَيْنَ ٱلطُّلُوعِ وَٱلزَّوَالِ رَاتِبَةٌ مِنَ ٱلصَّلَوَاتِ إِلَّا

---

(١) أي : قَدْرَ رمحٍ .

سيد محمد طويل العلوي

هَـٰذِهِ، فَمَا فَضَلَ عَنْهُ مِنْ أَوْقَاتِكَ .. فَلَكَ فِيهِ أَرْبَعُ حَالَاتٍ :

ٱلْأُولَىٰ ـ وَهِيَ ٱلْأَفْضَلُ ـ : أَنْ تَصْرِفَهُ إِلَىٰ طَلَبِ ٱلْعِلْمِ ٱلنَّافِعِ فِي ٱلدِّينِ ، دُونَ ٱلْفُضُولِ ٱلَّذِي أَكَبَّ ٱلنَّاسُ عَلَيْهِ وَسَمَّوْهُ عِلْماً .

وَٱلْعِلْمُ ٱلنَّافِعُ مَا يَزِيدُ فِي خَوْفِكَ مِنَ ٱللهِ تَعَالَىٰ[1] ،

---

(١) جاء في هامش (أ) : (وأما الخوف من عذاب الله : فمندوب إليه في قوله تعالىٰ : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ . . . ﴾ الآية .

فمن خاف مولاه في دنياه .. كان ناجياً في عقباه ، وكانت الجنة مأواه .

وقال : من كان بالله أعرف .. كان من الله أخوف .

وأصل هـٰذا الكلام من كتاب الله تعالىٰ حيث قال : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ .

وقيل لأبي طارق الصيرفي : ما الخوف؟ فقال : إنما خوف الخائف من يوم ينادىٰ فيه ألا إن فلان بن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً ، ألا إن فلان بن فلان قد سعِد سعادة لا يشقىٰ بعدها أبداً .

« رياض الأنس » [(خ) روضة الأنس للخائفين] .

وممّا ناجى الله به عز وجل موسىٰ عليه السّلام : قال تعالىٰ : =

وَيَزِيدُ فِي بَصِيرَتِكَ بِعُيُوبِ نَفْسِكَ ، وَيَزِيدُ فِي مَعْرِفَتِكَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَيُقَلِّلُ مِنْ رَغْبَتِكَ فِي ٱلدُّنْيَا ، وَيَزِيدُ فِي رَغْبَتِكَ فِي ٱلْآخِرَةِ ، وَيَفْتَحُ بَصِيرَتَكَ بِآفَاتِ أَعْمَالِكَ حَتَّىٰ تَتَحَرَّزَ مِنْهَا ، وَيُطْلِعُكَ عَلَىٰ مَكَائِدِ ٱلشَّيْطَانِ وَغُرُورِهِ وَكَيْفِيَّةِ تَلْبِيسِهِ عَلَى ٱلْعُلَمَاءِ ٱلسُّوءِ حَتَّىٰ عَرَّضَهُمْ لِمَقْتِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسَخَطِهِ ، حَيْثُ أَكَلُوا ٱلدُّنْيَا بِٱلدِّينِ ، وَٱتَّخَذُوا ٱلْعِلْمَ وَسِيلَةً إِلَىٰ أَخْذِ ٱلْأَمْوَالِ مِنَ ٱلسَّلَاطِينِ ، وَأَكْلِ أَمْوَالِ ٱلْأَوْقَافِ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ ، وَصَرَفَ هِمَّتَهُمْ طُولَ نَهَارِهِمْ إِلَىٰ طَلَبِ ٱلْجَاهِ وَٱلْمَنْزِلَةِ فِي قُلُوبِ ٱلْخَلْقِ ، وَٱضْطَرَّهُمْ ذَٰلِكَ إِلَى ٱلْمُرَاءَاةِ وَٱلْمُمَارَاةِ ، وَٱلْمُنَافَسَةِ وَٱلْمُبَاهَاةِ .

= يا موسىٰ خف الذي يعلم سرك وجهرك ، وارج من يملك الدنيا والآخرة ، وثق بمولىً لا يخلف وعده ، واحذر من يأخذك متىٰ شاء وحيث شاء . منه [(خ) روضة الأنس للذاكرين]) .

وَهَـٰذَا ٱلْفَنُّ مِنَ ٱلْعِلْمِ ٱلنَّافِعِ قَدْ جَمَعْنَاهُ فِي كِتَابِ « إِحْيَاءِ عُلُومِ ٱلدِّينِ » .

فَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِهِ .. فَحَصِّلْهُ وَٱعْمَلْ بِهِ ، ثُمَّ عَلِّمْهُ وَٱدْعُ إِلَيْهِ ، فَمَنْ عَلِمَ ذَٰلِكَ وَعَمِلَ بِهِ وَدَعَا ٱلنَّاسَ إِلَيْهِ .. فَذَٰلِكَ يُدْعَىٰ عَظِيماً فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَاوَاتِ بِشَهَادَةِ عِيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ .

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ ذَٰلِكَ كُلِّهِ وَفَرَغْتَ مِنْ إِصْلَاحِ نَفْسِكَ ظَاهِراً وَبَاطِناً ، وَفَضَلَ شَيْءٌ مِنْ أَوْقَاتِكَ .. فَلَا بَأْسَ أَنْ تَشْتَغِلَ بِعِلْمِ ٱلْمَذْهَبِ مِنَ ٱلْفِقْهِ ؛ لِتَعْرِفَ بِهِ ٱلْفُرُوعَ ٱلنَّادِرَةَ فِي ٱلْعِبَادَاتِ ، وَطَرِيقَ ٱلتَّوَسُّطِ بَيْنَ ٱلْخَلْقِ فِي ٱلْخُصُومَاتِ عِنْدَ إِكْبَابِهِمْ عَلَى ٱلشَّهَوَاتِ ، فَذَٰلِكَ أَيْضاً بَعْدَ ٱلْفَرَاغِ مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْمُهِمَّاتِ مِنْ جُمْلَةِ فُرُوضِ ٱلْكِفَايَاتِ .

فَإِنْ دَعَتْكَ نَفْسُكَ إِلَىٰ تَرْكِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ ٱلْأَوْرَادِ وَٱلْأَذْكَارِ ٱشْتِغَالاً بِذَٰلِكَ .. فَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلشَّيْطَانَ ٱللَّعِينَ قَدْ

دَسَّ إِلَىٰ قَلْبِكَ ٱلدَّاءَ ٱلدَّفِينَ ، وَهُوَ حُبُّ ٱلْمَالِ وَٱلْجَاهِ ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِهِ فَتَكُونَ ضُحْكَةً لَهُ فَيُهْلِكَكَ ، ثُمَّ يَسْخَرَ مِنْكَ .

وَإِنْ جَرَّبْتَ نَفْسَكَ مُدَّةً فِي ٱلْأَوْرَادِ وَٱلْعِبَادَاتِ ، وَكَانَتْ لَا تَسْتَثْقِلُهَا كَسَلاً عَنْهَا ، وَلَـٰكِنْ ظَهَرَتْ رَغْبَتُكَ فِي تَحْصِيلِ ٱلْعِلْمِ ٱلنَّافِعِ ، وَلَمْ تُرِدْ بِهِ إِلَّا وَجْهَ ٱللهِ تَعَالَىٰ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ .. فَذَٰلِكَ أَفْضَلُ مِنْ نَوَافِلِ ٱلْعِبَادَاتِ مَهْمَا صَحَّتْ لَكَ ٱلنِّيَّةُ ، **وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّأْنَ فِي صِحَّةِ ٱلنِّيَّةِ** .

فَإِذَا لَمْ تَصِحَّ .. فَهِيَ مَعْدِنُ غُرُورِ ٱلْجُهَّالِ ، وَمَزَلَّةُ أَقْدَامِ ٱلرِّجَالِ .

ٱلْحَالَةُ ٱلثَّانِيَةُ : أَنْ لَا تَقْدِرَ عَلَىٰ تَحْصِيلِ ٱلْعِلْمِ ٱلنَّافِعِ ، وَلَـٰكِنْ تَشْتَغِلُ بِوَظَائِفِ ٱلْعِبَادَاتِ مِنَ ٱلذِّكْرِ وَٱلْقِرَاءَةِ وَٱلتَّسْبِيحَاتِ وَٱلصَّلَوَاتِ ، فَذَٰلِكَ مِنْ دَرَجَاتِ ٱلْعَابِدِينَ وَسِيَرِ ٱلصَّالِحِينَ ، وَتَكُونُ بِذَٰلِكَ أَيْضاً مِنَ ٱلْفَائِزِينَ .

ٱلْحَالَةُ ٱلثَّالِثَةُ : أَنْ تَشْتَغِلَ بِمَا تُوصِلُ بِهِ خَيْراً إِلَى ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَتُدْخِلُ مِنْهُ سُرُوراً عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، أَوْ تُيَسِّرُ بِهِ ٱلْأَعْمَالَ ٱلصَّالِحَةَ لِلصَّالِحِينَ ؛ كَخِدْمَةِ ٱلْفُقَهَاءِ وَٱلصُّوفِيَّةِ ٱلْمُحَقِّقِينَ وَأَهْلِ ٱلدِّينِ وَٱلتَّرَدُّدِ فِي أَشْغَالِهِمْ ، وَٱلسَّعْيِ فِي إِطْعَامِ ٱلْفُقَرَاءِ وَٱلْمَسَاكِينِ[1] ، وَٱلتَّرَدُّدِ عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ بِٱلْعِيَادَةِ ، وَعَلَى ٱلْجَنَائِزِ بِٱلتَّشْيِيعِ ؛ فَكُلُّ ذَٰلِكَ أَفْضَلُ مِنَ ٱلنَّوَافِلِ ، فَإِنَّ هَـٰذِهِ عِبَادَاتٌ ، وَفِيهَا رِفْقٌ بِٱلْمُسْلِمِينَ .

ٱلْحَالَةُ ٱلرَّابِعَةُ : أَنْ لَا تَقْوَىٰ عَلَىٰ ذَٰلِكَ ، وَٱشْتَغَلْتَ بِحَاجَتِكَ ٱكْتِسَاباً عَلَىٰ نَفْسِكَ وَعَلَىٰ عِيَالِكَ[2] ، وَقَدْ سَلِمَ

---

(١) جاء في هامش (أ) : (وينبغي أن يغتنم خدمة الإخوان ويقدمها علىٰ النوافل ؛ فقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ما رئي رسول الله صلى ٱلله عليه وسلم فارغاً في أهله؛ إما أن يخصف نعلاً لمسكين، أو يخيط ثوباً لأرملة [صفة ١/ ٢٠٠]. « آداب المريدين » [ص٥٧]) .

(٢) جاء في هامش (أ) : (قال صلى ٱلله عليه وسلم : « إن الله =

ٱلْمُسْلِمُونَ مِنْكَ وَأَمِنُوا مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ ، وَسَلِمَ لَكَ دِينُكَ ، إِذْ لَمْ تَرْتَكِبْ مَعْصِيَةً ، فَتَنَالَ بِذَٰلِكَ دَرَجَاتِ أَصْحَابِ ٱلْيَمِينِ ، إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ أَهْلِ ٱلتَّرَقِّي إِلَىٰ مَقَامَاتِ

= يحب المؤمن المحترف » [طس ٨٩٣٤] .

وقال صلى ٱلله عليه وسلم : « علّم الله آدم عليه السلام ألف حرفة من الحرف ، وقال له : قل لذريتك ولولدك إن لم يصبروا . . فليطلبوا الدنيا بهٰذه الحرف ولا يطلبوها بالدّين ؛ فإن الدّين لي وحدي خالصاً ، وويل لمن طلب الدنيا بالدين ويل له » [فر ٤١٠٥] .

وقال صلى ٱلله عليه وسلم : « أَصلحوا دنياكم واعملوا لآخرتكم » [شهاب ٧١٦] .

وقد كان لكل واحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حرفة يعيش بها ، فكان آدم حرّاثاً وحائكاً ، وكانت حواء غزالة ، وكان إدريس خياطاً وخطاطاً ، وكان نوح نجاراً ، وزكريا نجاراً أيضاً ، وهود وصالح تاجرين ، وإبراهيم زراعاً ونجاراً ، وأيوب زراعاً ، وداوود زراداً ، وسليمان خوّاصاً ، وكان موسىٰ وشعيب ومحمد صلى ٱلله عليه وسلم ، وسائر الأنبياء صلى ٱلله عليهم وسلم رعاة . اهـ « البركة » [٦] .

قال في « التحفة » [٩/٣٨٩] : وأفضل المكاسب : الزراعة ؛ لأنها أعم نفعاً ، وأقرب إلى التوكل ، وأسلم من الغش . ثم : الصناعة ؛ لأن فيها إتعاب النفس لطلب الحلال . ثم : التجارة) .

ٱلسَّابِقِينَ ، وَهَـٰذِهِ أَقَلُّ ٱلدَّرَجَاتِ فِي مَقَامَاتِ ٱلدِّينِ ، وَمَا بَعْدَهَا فَهِيَ مِنْ مَرَاتِعِ ٱلشَّيَاطِينِ ، وَذَٰلِكَ بِأَنْ تَشْتَغِلَ ـ وَٱلْعِيَاذُ بِٱللهِ ـ بِمَا يَهْدِمُ دِينَكَ ، أَوْ تُؤْذِي عَبْداً مِنْ عِبَادِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، فَهَـٰذِهِ رُتْبَةُ ٱلْهَالِكِينَ ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ فِي هَـٰذِهِ ٱلطَّبَقَةِ .

وَٱعْلَمْ : أَنَّ ٱلْعَبْدَ فِي حَقِّ دِينِهِ عَلَىٰ ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ :

ـ إِمَّا سَالِمٌ : وَهُوَ ٱلْمُقْتَصِرُ عَلَىٰ أَدَاءِ ٱلْفَرَائِضِ وَتَرْكِ ٱلْمَعَاصِي .

ـ أَوْ رَابِحٌ : وَهُوَ ٱلْمُتَطَوِّعُ بِٱلْقُرُبَاتِ وَٱلنَّوَافِلِ .

ـ أَوْ خَاسِرٌ : وَهُوَ ٱلْمُقَصِّرُ عَنِ ٱللَّوَازِمِ .

فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ أَنْ تَكُونَ رَابِحاً .. فَٱجْتَهِدْ أَنْ تَكُونَ سَالِماً ، وَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ خَاسِراً .

وَٱلْعَبْدُ فِي حَقِّ سَائِرِ ٱلْعِبَادِ لَهُ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ :

ٱلْأُولَىٰ : أَنْ يَنْزِلَ فِي حَقِّهِمْ مَنْزِلَةَ ٱلْكِرَامِ ٱلْبَرَرَةِ مِنَ

ٱلْمَلَائِكَةِ ، وَهُوَ أَنْ يَسْعَىٰ فِي أَغْرَاضِهِمْ رِفْقاً بِهِمْ ، وَإِدْخَالاً لِلسُّرُورِ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ .

ٱلثَّانِيَةُ : أَنْ يَنْزِلَ مَنْزِلَةَ ٱلْبَهَائِمِ وَٱلْجَمَادَاتِ فِي حَقِّهِمْ ؛ فَلَا يَنَالُهُمْ خَيْرُهُ ، وَلَـٰكِنْ يَكُفُّ عَنْهُمْ شَرَّهُ .

ٱلثَّالِثَةُ : أَنْ يَنْزِلَ فِي حَقِّهِمْ مَنْزِلَةَ ٱلْعَقَارِبِ وَٱلْحَيَّاتِ وَٱلسِّبَاعِ ٱلضَّارِيَاتِ ، لَا يُرْجَىٰ خَيْرُهُ ، وَيُتَّقَىٰ شَرُّهُ .

فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ عَلَىٰ أَنْ تَلْتَحِقَ بِأُفُقِ ٱلْمَلَائِكَةِ .. فَٱحْذَرْ أَنْ تَنْزِلَ عَنْ دَرَجَةِ ٱلْبَهَائِمِ وَٱلْجَمَادَاتِ إِلَىٰ مَرَاتِبِ ٱلْعَقَارِبِ وَٱلْحَيَّاتِ .

فَإِنْ رَضِيتَ لِنَفْسِكَ ٱلنُّزُولَ مِنْ أَعْلَىٰ عِلِّيِّينَ .. فَلَا تَرْضَ لَهَا بِٱلْهَوِيِّ إِلَىٰ أَسْفَلِ سَافِلِينَ ، فَلَعَلَّكَ أَنْ تَنْجُوَ كَفَافاً لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ .

فَعَلَيْكَ فِي بَيَاضِ نَهَارِكَ أَنْ لَا تَشْتَغِلَ إِلَّا بِمَا يَنْفَعُكَ فِي

مَعَادِكَ وَمَعَاشِكَ ٱلَّذِي لَا تَسْتَغْنِي عَنِ ٱلِٱسْتِعَانَةِ بِهِ عَلَىٰ مَعَادِكَ .

فَإِنْ عَجَزْتَ عَنِ ٱلْقِيَامِ بِحَقِّ دِينِكَ مَعَ مُخَالَطَةِ ٱلنَّاسِ وَكُنْتَ لَا تَسْلَمُ .. فَٱلْعُزْلَةُ أَوْلَىٰ بِكَ ، فَعَلَيْكَ بِهَا ، فَفِيهَا ٱلسَّلَامَةُ(١) .

فَإِنْ كَانَتِ ٱلْوَسَاوِسُ فِي ٱلْعُزْلَةِ تُجَاذِبُكَ إِلَىٰ مَا لَا يُرْضِي ٱللهَ تَعَالَىٰ وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَىٰ قَمْعِهَا بِوَظَائِفِ

---

(١) جاء في هامش (أ) : (فإن خلطتهم في هـٰذا الزمان سم قاتل ، وشغل عن الله شاغل .

وقال الثوري : هـٰذا زمان السكوت ولزوم البيوت ، وأنشد :

زمـانـك ذا زمـان لـزوم بيـتٍ ... وحفظ للسانِ وخفض صوتِ

وقال أبو ذر : نِعمَ صومعة الرجل بيته ؛ يكف فيها بصره وسمعه وقلبه وفرجه ، أفضل المجالس حيثُ : لا تُرىٰ ولا تَرىٰ ، والله لقد وجبت العزلة .

[فإذا كان هـٰذا وهُم على الحق أعوان ، وفي ذات الله إخوان ، فكيف في هـٰذا الزمان؟! الله المستعان] « البركة »[٢١]) .

ٱلْعِبَادَاتِ .. فَعَلَيْكَ بِٱلنَّوْمِ[1] .

فَهَـٰذَا أَحْسَنُ أَحْوَالِكَ وَأَحْوَالِنَا ، إِذَا عَجَزْنَا عَنِ ٱلْغَنِيمَةِ .. فَرَضِينَا بِٱلسَّلَامَةِ فِي ٱلْهَزِيمَةِ ، وَأَخْسِسْ بِحَالِ مَنْ سَلَامَةُ دِينِهِ فِي تَعْطِيلِ حَيَاتِهِ ، إِذِ ٱلنَّوْمُ أَخُو ٱلْمَوْتِ ، وَهُوَ تَعْطِيلٌ لِلْحَيَاةِ ، وَٱلْتِحَاقٌ بِٱلْجَمَادَاتِ .

فَٱعْلَمْ ذَٰلِكَ تُوَفَّقْ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَىٰ .

* * *

---

(١) جاء في هامش (أ) : (وروي أن أم سليمان قالت لسليمان : يا بني ؛ لا تكثر النوم بالليل ، فإن كثرة النوم تدع الرجل فقيراً يوم القيامة .

وقالت ابنة الربيع بن خيثم لأبيها : يا أبتاه ؛ ما لي أرى الناس رقوداً ولا تنام .. فقال : يا ابنتاه ؛ إن أباك يخاف البيات ثم إن لم تقدر علىٰ مقاساة السهر .. فاعمل بطاعة الله رب البشر ؛ كما بلغنا عن أبي الدرداء أنه اشتكىٰ إلىٰ سلمان رضي الله عنه كثرة النوم .. فقال له : نم ما شئت فإذا استيقظت .. فاتق الله . « رياض الأنس » [(خ) روضة الأنس للخائفين]) .

آدَابُ الاسْتِعْدَادِ لِسَائِرِ الصَّلَوَاتِ

يَنْبَغِي أَنْ تَسْتَعِدَّ قَبْلَ ٱلزَّوَالِ لِصَلَاةِ ٱلظُّهْرِ ؛ فَتُقَدِّمَ ٱلْقَيْلُولَةَ إِنْ كَانَ لَكَ قِيَامٌ بِٱللَّيلِ ، أَوْ سَهَرٌ فِي ٱلْخَيْرِ ، فَإِنَّ فِيهَا مَعُونَةً عَلَىٰ قِيَامِ ٱللَّيْلِ ، كَمَا أَنَّ فِي ٱلسُّحُورِ مَعُونَةً عَلَىٰ صِيَامِ ٱلنَّهَارِ ، وَٱلْقَيْلُولَةُ مِنْ غَيْرِ قِيَامٍ بِٱللَّيْلِ كَٱلسُّحُورِ مِنْ غَيْرِ صَوْمٍ بِٱلنَّهَارِ .

فَٱجْتَهِدْ أَنْ تَسْتَيْقِظَ قَبْلَ ٱلزَّوَالِ[١] ، وَتَتَوَضَّأَ وَتَحْضُرَ ٱلْمَسْجِدَ وَتُصَلِّيَ ٱلتَّحِيَّةَ ، وَتَنْتَظِرَ ٱلْمُؤَذِّنَ وَتُجِيبَهُ ، ثُمَّ تَقُومَ فَتُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ عَقِيبَ ٱلزَّوَالِ ، وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطَوِّلُهُنَّ وَيَقُولُ : « هَـٰذَا وَقْتٌ تُفْتَحُ

---

(١) أي : من نوم القيلولة إذا قِلْتَ .

فِيهِ أَبْوَابُ ٱلسَّمَاءِ ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ لِي فِيهِ عَمَلٌ صَالِحٌ » [طب ٤٠٣٨] .

وَهَـٰذِهِ ٱلْأَرْبَعُ قَبْلَ ٱلظُّهْرِ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ ، فَفِي ٱلْخَبَرِ : « أَنَّ مَنْ صَلَّاهُنَّ وَأَحْسَنَ رُكُوعَهُنَّ وَسُجُودَهُنَّ .. صَلَّىٰ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ إِلَى ٱللَّيْلِ » .

ثُمَّ صَلِّ ٱلْفَرْضَ مَعَ ٱلْإِمَامِ .

ثُمَّ صَلِّ بَعْدَ ٱلْفَرْضِ رَكْعَتَيْنِ ؛ فَهُمَا مِنَ ٱلرَّوَاتِبِ ٱلثَّابِتَةِ .

وَلَا تَشْتَغِلْ إِلَى ٱلْعَصْرِ إِلَّا بِتَعَلُّمِ عِلْمٍ أَوْ إِعَانَةِ مُسْلِمٍ ، أَوْ قِرَاءَةِ قُرْآنٍ ، أَوْ سَعْيٍ فِي مَعَاشٍ تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَىٰ دِينِكَ .

ثُمَّ صَلِّ أَرْبَعاً قَبْلَ ٱلْعَصْرِ ؛ فَهِيَ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ ، فَقَدْ قَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رَحِمَ ٱللهُ عَبْداً صَلَّىٰ أَرْبَعاً قَبْلَ ٱلْعَصْرِ » [خز ١١٩٣] .

فَٱجْتَهِدْ أَنْ يَنَالَكَ دُعَاؤُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَلَا تَشْتَغِلْ بَعْدَ ٱلْعَصْرِ إِلَّا بِمِثْلِ مَا سَبَقَ قَبْلَهُ .

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ أَوْقَاتُكَ مُهْمَلَةً ، فَتَشْتَغِلَ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِمَا ٱتَّفَقَ كَيْفَ ٱتَّفَقَ ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تُحَاسِبَ نَفْسَكَ ، وَتُرَتِّبَ وَظَائِفَكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ ، وَتُعَيِّنَ لِكُلِّ وَقْتٍ شُغْلاً لَا يَتَعَدَّاهُ وَلَا تُؤْثِرُ فِيهِ سِوَاهُ ، فَبِهِ تَظْهَرُ بَرَكَةُ ٱلْأَوْقَاتِ .

فَأَمَّا مَنْ تَرَكَ نَفْسَهُ مُهْمَلاً سُدىً إِهْمَالَ ٱلْبَهَائِمِ ، لَا يَدْرِي بِمَا يَسْتَقْبِلُ كُلَّ وَقْتٍ .. فَتَنْقَضِي أَكْثَرُ أَوْقَاتِهِ ضَائِعَةً .

وَأَوْقَاتُكَ عُمْرُكَ ، وَعُمْرُكَ رَأْسُ مَالِكَ ، وَعَلَيْهِ تِجَارَتُكَ ، وَبِهِ وُصُولُكَ إِلَىٰ نَعِيمِ ٱلْأَبَدِ فِي جِوَارِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، فَكُلُّ نَفَسٍ مِنْ أَنْفَاسِكَ جَوْهَرٌ لَا قِيمَةَ لَهُ ، إِذْ لَا بَدَلَ لَهُ ، فَإِذَا فَاتَ فَلَا عَوْدَةَ لَهُ .

فَلَا تَكُنْ كَٱلْحَمْقَى ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ فِي كُلِّ يَوْمٍ بِزِيَادَةِ أَمْوَالِهِمْ مَعَ نُقْصَانِ أَعْمَارِهِمْ .

فَأَيُّ خَيْرٍ فِي مَالٍ يَزِيدُ وَعُمْرٍ يَنْقُصُ ؟!

فَلَا تَفْرَحْ إِلَّا بِزِيَادَةِ عِلْمٍ أَوْ عَمَلٍ ، فَإِنَّهُمَا رَفِيقَاكَ يَصْحَبَانِكَ فِي ٱلْقَبْرِ ، حَيْثُ يَتَخَلَّفُ عَنْكَ أَهْلُكَ وَمَالُكَ وَوَلَدُكَ وَأَصْدِقَاؤُكَ .

ثُمَّ إِذَا ٱصْفَرَّتِ ٱلشَّمْسُ .. فَٱجْتَهِدْ أَنْ تَعُودَ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ قَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ، وَتَشْتَغِلَ بِٱلتَّسْبِيحِ وَٱلِٱسْتِغْفَارِ ؛ فَإِنَّ فَضْلَ هَٰذَا ٱلْوَقْتِ كَفَضْلِ مَا قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ .

قَالَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ .

وَٱقْرَأْ قَبْلَ غُرُوبِ ٱلشَّمْسِ : (وَٱلشَّمْسِ وَضُحَاهَا) ، وَ(وَٱللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ) ، وَ(ٱلْمُعَوِّذَتَيْنِ) .

وَلْتَغْرُبْ عَلَيْكَ ٱلشَّمْسُ وَأَنْتَ فِي ٱلِٱسْتِغْفَارِ .

فَإِذَا سَمِعْتَ ٱلْأَذَانَ .. فَأَجِبْ ، وَقُلْ بَعْدَهُ : (ٱللَّهُمَّ ؛

إِنِّي أَسْأَلُكَ عِنْدَ إِقْبَالِ لَيْلِكَ ، وَإِدْبَارِ نَهَارِكَ ، وَحُضُورِ صَلَاتِكَ ، وَأَصْوَاتِ دُعَاتِكَ .. أَنْ تُؤْتِيَ مُحَمَّداً ٱلْوَسِيلَةَ . . .) ، وَٱلدُّعَاءُ كَمَا سَبَقَ .

ثُمَّ صَلِّ ٱلْفَرْضَ بَعْدَ جَوَابِ ٱلْإِقَامَةِ .

وَصَلِّ بَعْدَ ذَٰلِكَ قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ رَكْعَتَيْنِ ، فَإِنَّهُمَا رَاتِبَةُ ٱلْمَغْرِبِ .

وَإِنْ صَلَّيْتَ بَعْدَهُمَا أَرْبَعاً تُطِيلُهَا .. فَهِيَ أَيْضاً سُنَّةٌ .

وَإِنْ أَمْكَنَكَ أَنْ تَنْوِيَ ٱلِاعْتِكَافَ إِلَى ٱلْعِشَاءِ ، وَتُحْيِيَ مَا بَيْنَ ٱلْعِشَاءَيْنِ بِٱلصَّلَاةِ .. فَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ ذَٰلِكَ مَا لَا يُحْصَىٰ ؛ وَهِيَ نَاشِئَةُ ٱللَّيْلِ ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ نَشْئِهِ ، وَهِيَ صَلَاةُ ٱلْأَوَّابِينَ[1] .

وَسُئِلَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِ ٱللهِ تَعَالَىٰ :

---

(١) أي : الصلاة في هٰذا الوقت تسمىٰ صلاة الأوابين .

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ .. فَقَالَ : « هِيَ ٱلصَّلَاةُ بَيْنَ ٱلْعِشَاءَيْنِ ؛ إِنَّهَا لَتَذْهَبُ بِمَلَاغَاتِ ٱلنَّهَارِ ، وَتُهَذِّبُ آخِرَهُ » .

وَ(ٱلْمَلَاغَاتُ) ـ جَمْعُ مَلْغَاةٍ ـ وَهُوَ : مِنَ ٱللَّغْوِ .

فَإِذَا دَخَلَ وَقْتُ ٱلْعِشَاءِ .. فَصَلِّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَبْلَ ٱلْفَرْضِ إِحْيَاءً لِمَا بَيْنَ ٱلْأَذَانَيْنِ فَفَضْلُ ذَٰلِكَ كَثِيرٌ . وَفِي ٱلْخَبَرِ : « إِنَّ ٱلدُّعَاءَ بَيْنَ ٱلْأَذَانِ وَٱلْإِقَامَةِ لَا يُرَدُّ » .

ثُمَّ صَلِّ ٱلْفَرْضَ ، وَصَلِّ ٱلرَّاتِبَةَ رَكْعَتَيْنِ ، وَٱقْرَأْ فِيهِمَا بِسُورَةِ (آلم) ٱلسَّجْدَةَ . وَ(تَبَارَكَ) ٱلْمُلْكُ ، أَوْ سُورَةَ (يس) وَ(ٱلدُّخَانُ) ، فَذَٰلِكَ مَأْثُورٌ عَنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَصَلِّ بَعْدَهُمَا أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ؛ فَفِي ٱلْخَبَرِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ عِظَمِ فَضْلِهِ .

ثُمَّ صَلِّ ٱلْوِتْرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ (ثَلَاثاً) بِتَسْلِيمَتَيْنِ أَوْ بِتَسْلِيمَةٍ

وَاحِدَةٍ ، وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِيهِنَّ بِـ(سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَىٰ) ، وَ(قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ) ، وَسُورَةِ (ٱلْإِخْلَاصِ) وَ (ٱلْمُعَوِّذَتَيْنِ) .

وَإِنْ كُنْتَ عَازِماً عَلَىٰ قِيَامِ ٱللَّيْلِ .. فَأَخِّرِ ٱلْوِتْرَ ؛ لِيَكُونَ آخِرَ صَلَاتِكَ بِٱللَّيْلِ .

ثُمَّ ٱشْتَغِلْ بَعْدَ ذَٰلِكَ بِمُذَاكَرَةِ عِلْمٍ أَوْ مُطَالَعَةِ كِتَابٍ ، وَلَا تَشْتَغِلْ بِٱللَّهْوِ وَٱللَّعِبِ فَيَكُونَ ذَٰلِكَ خَاتِمَةَ أَعْمَالِكَ قَبْلَ نَوْمِكَ فَإِنَّمَا ٱلْأَعْمَالُ بِخَوَاتِمِهَا .

* * *



آدابُ النَّوم

فَإِذَا أَرَدْتَ ٱلنَّوْمَ .. فَٱبْسُطْ فِرَاشَكَ مُسْتَقْبِلَ ٱلْقِبْلَةِ ، وَنَمْ عَلَىٰ يَمِينِكَ كَمَا يُضْجَعُ ٱلْمَيِّتُ فِي لَحْدِهِ .

وَٱعْلَمْ : أَنَّ ٱلنَّوْمَ مِثْلُ ٱلْمَوْتِ ، وَٱلْيَقَظَةَ مِثْلُ ٱلْبَعْثِ ، وَلَعَلَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ يَقْبِضُ رُوحَكَ فِي لَيْلَتِكَ ، فَكُنْ مُسْتَعِدّاً لِلِقَائِهِ بِأَنْ تَنَامَ عَلَىٰ طَهَارَةٍ ، وَتَكُونَ وَصِيَّتُكَ مَكْتُوبَةً تَحْتَ وِسَادَتِكَ ، وَتَنَامَ تَائِباً عَنِ ٱلذُّنُوبِ مُسْتَغْفِراً ، عَازِماً عَلَىٰ أَنْ لَا تَعُودَ إِلَىٰ مَعْصِيَةٍ أَبَداً ، وَٱعْزِمْ عَلَى ٱلْخَيْرِ لِجَمِيعِ ٱلنَّاسِ إِنْ بَعَثَكَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ .

وَتَذَكَّرْ أَنَّكَ سَتُضْجَعُ فِي ٱلْقَبْرِ كَذَٰلِكَ وَحِيداً فَرِيداً ، لَيْسَ مَعَكَ إِلَّا عَمَلُكَ ، وَلَا تُجْزَىٰ إِلَّا بِسَعْيِكَ .

وَلَا تَسْتَجْلِبِ ٱلنَّوْمَ تَكَلُّفاً بِتَمْهِيدِ ٱلْفُرُشِ ٱلْوَطِيئَةِ ، فَإِنَّ ٱلنَّوْمَ تَعْطِيلُ ٱلْحَيَاةِ ، إِلَّا إِذَا كَانَتْ يَقَظَتُكَ وَبَالاً عَلَيْكَ ، فَنَوْمُكَ أَسْلَمُ لِدِينِكَ .

وَٱعْلَمْ : أَنَّ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ سَاعَةً ، فَلَا يَكُونَنَّ نَوْمُكَ بِٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ أَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِي سَاعَاتٍ ، فَيَكْفِيكَ إِنْ عِشْتَ سِتِّينَ سَنَةً أَنْ تُضَيِّعَ مِنْهَا عِشْرِينَ سَنَةً ، وَهُوَ ٱلثُّلُثُ .

وَأَعِدَّ عِنْدَ ٱلنَّوْمِ سِوَاكَكَ وَطَهُورَكَ ، وَٱعْزِمْ عَلَىٰ قِيَامِ ٱللَّيْلِ ، وَعَلَى ٱلْقِيَامِ قَبْلَ ٱلصُّبْحِ .

فَرَكْعَتَانِ فِي جَوْفِ ٱللَّيْلِ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ ٱلْبِرِّ ، فَٱسْتَكْثِرْ مِنْ كُنُوزِكَ لِيَوْمِ فَقْرِكَ ، فَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكَ كُنُوزُ ٱلدُّنْيَا إِذَا مِتَّ[1] .

---

(١) جاء في هامش (أ) : (وفي الحديث : « اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل =

وَقُلْ عِندَ نَوْمِكَ[1] :

(بِٱسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي ، وَبِٱسْمِكَ أَرْفَعُهُ .. فَٱغْفِرْ لِي ذَنْبِي .

ٱللَّهُمَّ ؛ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ .

ٱللَّهُمَّ ؛ بِٱسْمِكَ أَحْيَا وَأَمُوتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ، إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .

أَنْتَ ٱلْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ ٱلْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ ٱلظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ

= فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » [ك ٤/٣٠٦]) .

(١) ومما ينبغي للمسلم المحافظةُ عليه عند النوم من الأذكار :

ـ أن يقول : الله أكبر (٣٤ مرة) ، وسبحان الله (٣٣ مرة) ، والحمد لله (٣٣ مرة) ؛ وهـٰذا مما أوصىٰ به النبي صلى الله عليه وسلم سيدنا علياً كرم الله وجهه وسيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها .

ـ ثم النفث في اليدين عند قراءة الإخلاص والمعوذتين وأن يمسح بهما جسده . (٣ مرات) .

ٱلْبَاطِنُ فلَيْسَ دَوْنَكَ شَيْءٌ .. ٱقْضِ عَنِّي ٱلدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ ٱلْفَقْرِ .

ٱللّٰهُمَّ ؛ أَنْتَ خلقْتَ نفْسِي ، وَأَنْتَ تتَوَفَّاهَا ، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا ، إِنْ أَمَتَّهَا .. فَٱغْفِرْ لَهَا ، وَإِنْ أَحْيَيْتَهَا .. فَٱحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ ٱلصَّالِحِينَ .

ٱللّٰهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ ٱلْعَفْوَ وَٱلْعَافِيَةَ .

ٱللّٰهُمَّ ؛ أَيْقِظْنِي فِي أَحَبِّ ٱلسَّاعَاتِ إِلَيْكَ ، وَٱسْتَعْمِلْنِي بِأَحَبِّ ٱلْأَعْمَالِ إِلَيْكَ ؛ لِتُقَرِّبَنِي إِلَيْكَ زُلْفَىٰ ، وَتُبْعِدَنِي مِنْ سَخَطِكَ بُعْداً ، أَسْأَلُكَ فَتُعْطِيَنِي ، وَأَسْتَغْفِرُكَ فَتَغْفِرَ لِي ، وَأَدْعُوكَ فَتَسْتَجِيبَ لِي) .

ثُمَّ ٱقْرَأْ (آيَةَ ٱلْكُرْسِيِّ) ، وَ(آمَنَ ٱلرَّسُولُ) إِلَىٰ آخِرِ ٱلسُّورَةِ ، وَ(ٱلْإِخْلَاصَ) ، وَ(ٱلْمُعَوِّذَتَيْنِ) ، وَسُورَةَ (تَبَارَكَ) ٱلْمُلْكَ .

وَلْيَأْخُذْكَ ٱلنَّوْمُ وَأَنْتَ عَلَىٰ ذِكْرِ ٱللهِ تَعَالَىٰ وَعَلَى

ٱلطَّهَارَةِ ، فَمَنْ فَعَلَ ذَٰلِكَ .. عُرِجَ بِرُوحِهِ إِلَى ٱلْعَرْشِ ، وَكُتِبَ مُصَلِّياً حَتَّىٰ يَسْتَيْقِظَ .

فَإِذَا ٱسْتَيْقَظْتَ .. فَٱرْجِعْ إِلَىٰ مَا قَدْ عَرَّفْتُهُ أَوَّلاً ، وَدَاوِمْ عَلَىٰ هَـٰذَا ٱلتَّرْتِيبِ بَقِيَّةَ عُمْرِكَ[1] .

فَإِنْ شَقَّ عَلَيْكَ ٱلْمُدَاوَمَةُ .. فَٱصْبِرْ صَبْرَ ٱلْمَرِيضِ عَلَىٰ

---

(١) جاء في هامش (أ) : (قال صلى ٱلله عليه وسلم : « كأنك في الدنيا لم تكن وفي الآخرة لم تزل » .

ومن « رياض الأنس » [(خ) روضة الأنس للخائفين] : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل النور القلب.. انفسح وانشرح » ، فقيل : يا رسول الله ؛ وهل لذٰلك من علامة؟ قال : « نعم ؛ التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلىٰ دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله » [ك ٤/٣١١] .

وسئل بعضهم عن الاستعداد للموت فقال : ثلاثة أشياء : اكتساب المكارم ، واجتناب المحارم ، والصبر علىٰ المكاره .

وقال بعضهم : كلنا قد أَيقن بالجنة وما نرىٰ لها طالباً ، وكلنا قد أيقن بالنار ولا نرىٰ منها هارباً ، وكلنا قد أيقن بالموت ولا نرىٰ له مستعداً . « رياض » [(خ) روضة الأنس للخائفين]) .

مَرَارَةِ ٱلدَّوَاءِ ٱنْتِظَاراً لِلشِّفَاءِ ، وَتَفَكَّرْ فِي قِصَرِ عُمْرِكَ ، وَإِنْ عِشْتَ مِئَةَ سَنَةٍ .

فَذَٰلِكَ بِٱلْإِضَافَةِ إِلَىٰ مُقَامِكَ فِي ٱلدَّارِ ٱلْآخِرَةِ وَهِيَ أَبَدُ ٱلْآبَادِ .. قَلِيلٌ .

وَتَأَمَّلْ أَنَّكَ كَيْفَ تَتَحَمَّلُ ٱلْمَشَقَّةَ وَٱلذُّلَّ فِي طَلَبِ ٱلدُّنْيَا شَهْراً أَوْ سَنَةً رَجَاءَ أَنْ تَسْتَرِيحَ بِهَا عِشْرِينَ سَنَةً مَثَلاً ! !

فَكَيْفَ لَا تَتَحَمَّلُ ذَٰلِكَ أَيَّاماً قَلَائِلَ رَجَاءَ ٱلِٱسْتِرَاحَةِ أَبَدَ ٱلْآبَادِ ؟ !

وَلَا تُطَوِّلْ أَمَلَكَ فَيَثْقُلَ عَلَيْكَ عَمَلُكَ ، وَقَدِّرْ قُرْبَ ٱلْمَوْتِ ، وَقُلْ فِي نَفْسِكَ إِنِّي أَتَحَمَّلُ ٱلْمَشَقَّةَ ٱلْيَوْمَ ؛ فَلَعَلِّي أَمُوتُ ٱللَّيْلَةَ ، وَأَصْبِرُ ٱللَّيْلَةَ فَلَعَلِّي أَمُوتُ غَداً ، فَإِنَّ ٱلْمَوْتَ لَا يَهْجُمُ فِي وَقْتٍ مَخْصُوصٍ وَسِنٍّ مَخْصُوصٍ وَحَالٍ مَخْصُوصٍ (١) .

---

(١) جاء في هامش (أ) : (في الحديث : « عجبت لغافل لا يغفل =

وَلَا بُدَّ مِنْ هُجُومِهِ .

فَٱلِٱسْتِعْدَادُ لَهُ أَوْلَىٰ مِنَ ٱلِٱسْتِعْدَادِ لِلدُّنْيَا ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَبْقَىٰ فِيهَا إِلَّا مُدَّةً يَسِيرَةً ، وَلَعَلَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ أَجَلِكَ إِلَّا نَفَسٌ ، أَوْ سَاعَةٌ ، أَوْ يَوْمٌ وَاحِدٌ .. فَقَدِّرْ هَـٰذَا فِي قَلْبِكَ كُلَّ يَوْمٍ ، وَكَلِّفْ نَفْسَكَ ٱلصَّبْرَ عَلَىٰ طَاعَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ يَوْماً فَيَوْماً ، فَإِنَّكَ لَوْ قَدَّرْتَ ٱلْبَقَاءَ خَمْسِينَ سَنَةً ، وَأَلْزَمْتَهَا ٱلصَّبْرَ عَلَىٰ طَاعَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ .. نَفَرَتْ وَٱسْتَصْعَبَتْ عَلَيْكَ .

فَإِنْ فَعَلْتَ ذَٰلِكَ .. فَرِحْتَ عِنْدَ ٱلْمَوْتِ فَرَحاً لَا آخِرَ لَهُ ، وَإِنْ سَوَّفْتَ وَتَسَاهَلْتَ .. جَاءَكَ ٱلْمَوْتُ فِي وَقْتٍ لَا تَحْتَسِبُهُ ، وَتَحَسَّرْتَ تَحَسُّراً لَا آخِرَ لَهُ .

وَعِنْدَ ٱلصَّبَاحِ يَحْمَدُ ٱلْقَوْمُ ٱلسُّرَىٰ ، وَعِنْدَ ٱلْمَوْتِ يَأْتِيكَ ٱلْخَبَرُ ٱلْيَقِينُ ، ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينِۭ ﴾ .

= عنه ، وعجبت لمؤمل دنيا والموت يطلبه ، وعجبت لضاحك مِلءَ فيه ولا يدري أأرضى الله أم أسخطه » [شهاب ٥٩٤]) .

وَإِذْ قَدْ أَرْشَدْنَاكَ إِلَىٰ تَرْتِيبِ ٱلْأَوْرَادِ .. فَلْنَذْكُرْ كَيْفِيَّةَ ٱلصَّلَاةِ وَٱلصِّيَامِ ، وَآدَابَهُمَا ، وَآدَابَ ٱلْإِمَامَةِ ، وَٱلْقُدْوَةِ ، وَٱلْجُمْعَةِ .

* * *

آدابُ الصَّلاة

فَإِذا فَرَغْتَ مِنْ طَهَارَةِ ٱلْحَدَثِ ، وَطَهَارَةِ ٱلْخَبَثِ فِي ٱلْبَدَنِ وَٱلثِّيَابِ وَٱلْمَكَانِ ، وَمِنْ سَتْرِ ٱلْعَوْرَةِ مِنَ ٱلسُّرَّةِ إِلَى ٱلرُّكْبَةِ .. فَٱسْتَقْبِلِ ٱلْقِبْلَةَ قَائِماً مُرَاوِحاً بَيْنَ قَدَمَيْكَ ؛ بِحَيْثُ لَا تَضُمُّهُمَا[1] ، وَٱسْتَوِ قَائِماً[2] ، وَٱقْرَأْ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ) تَحَصُّناً مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ، وَأَحْضِرْ قَلْبَكَ ، وَفَرِّغْهُ مِنَ ٱلْوَسَاوِسِ ، وَٱنْظُرْ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ تَقُومُ وَمَنْ تُنَاجِي ، وَٱسْتَحْيِ أَنْ تُنَاجِيَ مَوْلَاكَ بِقَلْبٍ غَافِلٍ وَصَدْرٍ

---

(١) **مُراوِحاً** : مفرقاً ، ندباً بين قدميك قدر شبر بحيث لا تضمهما .

(٢) جاء في هامش (أ) : (وليكن علىٰ ذكرك هـٰهنا خطر المقام بين يدي الله في هول المطلع عند التعرُّض للسؤال ، والإطراق أقرب للخشوع وأغض للبصر . « إحياء »[١/١٥٢]) .

مَشْحُونٍ بِوَسَاوِسِ ٱلدُّنْيَا وَخَبَائِثِ ٱلشَّهَوَاتِ(١) .

وَٱعْلَمْ : أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُطَّلِعٌ عَلَىٰ سَرِيرَتِكَ ، وَنَاظِرٌ إِلَىٰ قَلْبِكَ ، وَإِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللهُ صَلاَتَكَ بِقَدْرِ خُشُوعِكَ وَتَوَاضُعِكَ وَخُضُوعِكَ وَتَضَرُّعِكَ(٢) .

فَٱعْبُدْهُ فِي صَلَاتِكَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ .. فَإِنَّهُ يَرَاكَ .

---

(١) جاء في هامش (أ) : (وعند ذٰلك ينبغي أن يعرق جبينك من الخجلة ، وترتعد فرائصك من الهيبة ، ويصفرَّ وجهُك من الخوف . « إحياء » [١/١٦٦]) .

(٢) جاء في هامش (أ) : (فرع : يسن أن يشرع في الصلاة بنشاط وفراغ قلب والخشوع فيها ، وأن يديم نظر محل سجوده إلا عند إشارته في التشهد كما مر ، ولا يكره تغميض عينيه بلا خوف ضرر ، بل إن كان أجمع لقلبه .. فهو أولىٰ ، وأن يتفكر في تلاوته وأفعاله وذنوبه وأمر آخرته ، ويكره في دنياه ، والتثاؤب حتىٰ خارج الصلاة فليرده ما استطاع ، وسدل ثوبه ، ويسن الإصغاء لإمامه ، وأن يتأنى الإمام في قراءته وذكره ودعائه وأفعاله ليتمكن الضعيف منها . « العباب » [١/٢١٨]) .

فَـإِنْ لَـمْ يَحْضُـرْ قَلْبُـكَ .. فَهَـٰذَا لِقُصُـورِ مَعْـرِفَتِـكَ بِجَلَالِ ٱللهِ تَعَالَىٰ .

فَقَدِّرْ أَنَّ رَجُلاً صَالِحاً مِنْ وُجُوهِ أَهْلِ بَيْتِكَ يَنْظُرُ إِلَيْكَ ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ صَلَاتُكَ ، فَعِنْدَ ذَٰلِكَ يَحْضُرُ قَلْبُكَ ، وَتَسْكُنُ جَوَارِحُكَ!!

ثُمَّ ٱرْجِعْ عَلَىٰ نَفْسِكَ ، وَقُلْ : (أَلَا تَسْتَحْيِي مِنْ خَالِقِكِ وَمَوْلَاكِ؟! إِذْ قَدَّرْتِ ٱطِّلَاعَ عَبْدٍ ذَلِيلٍ مِنْ عِبَادِهِ عَلَيْـكِ ، وَلَيْـسَ بِيَـدِهِ ضَـرُّكِ وَلَا نَفْعُـكِ ، خَشَعَـتْ جَوَارِحُكِ ، وَحَسُنَتْ صَلَاتُكِ ، ثُمَّ إِنَّكِ تَعْلَمِينَ أَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَيْكِ ، وَلَا تَخْشَعِينَ لِعَظَمَتِهِ!!

أَهُوَ تَعَالَىٰ أَقَلُّ عِنْدَكِ مِنْ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ؟!

فَمَا أَشَدَّ طُغْيَانَكِ وَجَهْلَكِ ، وَمَا أَعْظَمَ عَدَاوَتَكِ لِنَفْسِكِ) .

فَعَالِجْ قَلْبَكَ بِهَـٰذِهِ ٱلْحِيَلِ ، فَعَسَاهُ أَنْ يَحْضُرَ مَعَكَ فِي

صَلَاتِكَ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ إِلَّا مَا عَقَلْتَ مِنْها .

وَأَمَّا مَا أَتَيْتَ بِهِ مَعَ ٱلْغَفْلَةِ .. فَهُوَ إِلَى ٱلِاسْتِغْفَارِ وَٱلتَّكْفِيرِ أَحْوَجُ .

فَإِذَا حَضَرَ قَلْبُكَ .. فَلَا تَتْرُكِ ٱلْإِقَامَةَ ، وَإِنْ كُنْتَ وَحْدَكَ .

وَإِنِ ٱنتَظَرْتَ حُضُورَ جَمَاعَةٍ .. فَأَذِّنْ ، ثُمَّ أَقِمْ .

فَإِذَا أَقَمْتَ .. فَٱنْوِ[1] بِقَلْبِكَ أَدَاءَ فَرْضِ ٱلظُّهْرِ لِلَّهِ تَعَالَىٰ ، وَلْيَكُنْ ذَٰلِكَ حَاضِراً فِي قَلْبِكَ عِنْدَ تَكْبِيرَةِ ٱلْإِحْرَامِ[2] ، وَلَا يَعْزُبُ ذَٰلِكَ عَنْكَ قَبْلَ ٱلْفَرَاغِ مِنَ ٱلتَّكْبِيرِ[3] ، وَٱرْفَعْ يَدَيْكَ عِنْدَ ٱلتَّكْبِيرِ بَعْدَ إِرْسَالِهِمَا أَوَّلاً

---

(١) جاء في هامش (أ) : (عازماً علىٰ إجابة الله في امتثال أمره في الصلاة) .

(٢) جاء في هامش (أ) : (فإنه هو النية ، والألفاظ مذكرات وأسباب لحضورها . « إحياء » [١/١٥٣]) .

(٣) جاء في هامش (أ) : (وإذا كبرت : فإن كان هواك أغلب عليك =

إِلَىٰ مَنْكِبَيْكَ وَهُمَا مَبْسُوطَتَانِ ، وَأَصَابِعُهُمَا مَنْشُورَةٌ ، وَلَا تَتَكَلَّفْ ضَمَّهُمَا وَلَا تَفْرِيجَهُمَا ، وَٱرْفَعْ بِحَيْثُ يُحَاذِي إِبْهَامُكَ شَحْمَةَ أُذُنِكَ وَرُؤُوسُ أَصَابِعِكَ أَعَالِيَ أُذُنَيْكَ ، وَتُحَاذِي بِكَفَّيْكَ مَنْكِبَيْكَ .

فَإِذَا ٱسْتَقَرَّتَا فِي مَقَرِّهِمَا .. فَكَبِّرْ ، ثُمَّ أَرْسِلْهُمَا بِرِفْقٍ وَلَا تَدْفَعْ يَدَيْكَ عِنْدَ ٱلرَّفْعِ وَٱلْإِرْسَالِ إِلَىٰ قُدَّامٍ دَفْعاً ، وَلَا إِلَىٰ خَلْفٍ ، وَلَا تَنْفُضْهُمَا يَمِيناً وَشِمَالاً .

فَإِذَا أَرْسَلْتَهُمَا .. فَٱسْتَأْنِفْ رَفْعَهُمَا إِلَىٰ صَدْرِكَ .

وَأَكْرِمِ ٱلْيَمِينَ بِوَضْعِهَا عَلَى ٱلشِّمَالِ ، وَٱنْشُرْ أَصَابِعَ ٱلْيُمْنَىٰ فِي طُولِ ذِرَاعِكَ ٱلْيُسْرَىٰ ، وَٱقْبِضْ بِهَا عَلَىٰ

= من أمر الله ، وأنت أطوع له منك لله . . فقد اتخذته إلٰهك وكبرته ، فيوشك أن يكون قولك : « الله أكبر » كلاماً باللسان المجرد ، وقد تخلف القلب عن مساعدته ، وما أعظم الخطر في ذٰلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله وعفوه . « إحياء » [١/١٦٦]) .

كُوعِهَا ، وَقُلْ بَعْدَ ٱلتَّكْبِيرِ : (ٱللهُ أَكبَرُ كَبِيراً ، وَٱلْحَمْدُ لِلهِ كَثِيراً ، وَسُبْحَانَ ٱللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) .

ثُمَّ ٱقْرَأْ : (وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ)[1] .

ثُمَّ قُلْ : (أَعُوذُ بِٱللهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ) .

ثُمَّ ٱقْرَأْ ٱلْفَاتِحَةَ بِتَشْدِيدَاتِهَا ، وَٱجْتَهِدْ فِي ٱلْفَرْقِ بَيْنَ ٱلضَّادِ وَٱلظَّاءِ ، وَقُلْ : (آمِينَ) ، وَلَا تَصِلْهُ بِقَوْلِكَ : (وَلَا ٱلضَّالِّينَ) وَصْلاً .

وَٱجْهَرْ بِٱلْقِرَاءَةِ فِي ٱلصُّبْحِ وَٱلْمَغْرِبِ وَٱلْعِشَاءِ ـ أَعْنِي

---

(١) جاء في هامش (أ) : (ثم يقول : سبحانك اللهم وبحمدك ، تبارك اسمك ، وتعالىٰ جدك ، ولا إلـٰه غيرك . « إحياء » [١/ ١٥٤]) .

فِي ٱلرَّكْعَتَيْنِ ٱلْأُولَيَيْنِ ـ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَأْمُوماً ، وَٱجْهَرْ بِٱلتَّأْمِينِ .

وَٱقْرَأْ فِي ٱلصُّبْحِ بَعْدَ ٱلْفَاتِحَةِ مِنَ ٱلسُّوَرِ طِوَالَ ٱلْمُفَصَّلِ ، وَفِي ٱلْمَغْرِبِ مِنْ قِصَارِهِ ، وَفِي ٱلظُّهْرِ وَٱلْعَصْرِ وَٱلْعِشَاءِ مِنْ أَوْسَاطِهِ ، نَحْوُ : (وَٱلسَّمَاءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ) وَمَا قَارَبَهَا . وَفِي ٱلصُّبْحِ فِي ٱلسَّفَرِ : (قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ) ، وَ(قُلْ هُوَ ٱللهُ أَحَدٌ) .

وَلَا تَصِلْ آخِرَ ٱلسُّورَةِ بِتَكْبِيرَةِ ٱلرُّكُوعِ ، وَلَـٰكِنِ ٱفْصِلْ بَيْنَهُمَا بِمِقْدَارِ قَوْلِكَ : (سُبْحَانَ ٱللهِ) .

وَكُنْ فِي جَمِيعِ قِيَامِكَ مُطْرِقاً قَاصِراً نَظَرَكَ عَلَىٰ مُصَلَّاكَ ، فَذَٰلِكَ أَجْمَعُ لِهَمِّكَ ، وَأَجْدَرُ لِحُضُورِ قَلْبِكَ[1] .

---

(١) جاء في هامش (أ) : (واعلم : أن من مكائد الشيطان أن يشغلك في الصلاة بفكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ؛ ليمنعك عن فهم=

وَإِيَّاكَ أَنْ تَلْتَفِتَ يَمِيناً وَشِمَالاً فِي صَلَاتِكَ .

ثُمَّ كَبِّرْ لِلرُّكُوعِ[1] ، وَٱرْفَعْ يَدَيْكَ كَمَا سَبَقَ ، وَمُدَّ ٱلتَّكْبِيرَ إِلَى ٱلِٱنْتِهَاءِ إِلَى ٱلرُّكُوعِ ، ثُمَّ ضَعْ رَاحَتَيْكَ عَلَىٰ

= ما تقرأ .. فاعلم : أن كل ما يشغلك عن معاني قراءتك .. فهو وسواس ، فإن حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها .

وأما القراءة : فالناس فيها ثلاثة :

رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل .

ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيسمع ويفهم منه كأنه يسمعه من غيره ، وهـٰذه درجة أصحاب اليمين .

ورجل يسبق قلبه إلى المعاني أولاً ، ثم يخدم اللسان قلبه فيترجمه .

ففرقٌ بين أن يكون اللسان ترجمان القلب ، أو يكون معلِّم القلب ، والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب . « إحياء » [١/١٦٧]) .

(١) جاء في هامش (أ) : (وينبغي أن تجدد عنده ذكر كبرياء الله ، وترفع يديك مستجيراً بعفو الله من عقابه ، ومتبعاً سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم تستأنف له ذلاً وتواضعاً بركوعك ، وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك ، وتستشعر ذٰلك وعزَّ مولاك واتضاعك وعلوّ ربك . « إحياء » [١/١٦٩]) .

رُكْبَتَيْكَ وَأَصَابِعُكَ مَنْشُورَةٌ ، وَٱنْصِبْ رُكْبَتَيْكَ وَمُدَّ ظَهْرَكَ وَعُنُقَكَ وَرَأْسَكَ مُسْتَوِياً كَٱلصَّفِيحَةِ ٱلْوَاحِدَةِ ، وَجَافِ مِرْفَقَيْكَ عَنْ جَنْبَيْكَ ـ وَٱلْمَرْأَةُ لَا تَفْعَلُ ذَٰلِكَ[1] ـ وَقُلْ : (سُبْحَانَ رَبِّيَ ٱلْعَظِيمِ) ثَلَاثاً .

وَإِنْ كُنْتَ مُنْفَرِداً وَأَرَدْتَ ٱلزِّيَادَةَ .. فَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَوْ عَشْراً ؛ فَإِنَّهُ حَسَنٌ .

ثُمَّ ٱرْفَعْ حَتَّىٰ تَعْتَدِلَ قَائِماً ، وَٱرْفَعْ يَدَيْكَ قَائِلاً : (سَمِعَ ٱللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ) .

فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ .. فَقُلْ : (رَبَّنَا لَكَ ٱلْحَمْدُ مِلْءَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَمِلْءَ ٱلْأَرْضِ وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ) .

وَإِنْ كُنْتَ مُنْفَرِداً فِي ٱلصُّبْحِ .. فَٱقْرَأْ ٱلْقُنُوتَ[2] فِي

---

(١) بل تضم بعضها إلىٰ بعض .

(٢) المروي بالإسناد الصحيح عن سيد شباب أهل الجنة الحسن بن علي رضي الله عنهما وهو : « اللهم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن=

ٱلرَّكْعَةِ ٱلثَّانِيَةِ فِي ٱعْتِدَالِكَ عَنِ ٱلرُّكُوعِ .

ثُمَّ ٱسْجُدْ مُكَبِّراً غَيْرَ رَافِعٍ يَدَيْكَ ، فَضَعْ أَوَّلاً عَلَى ٱلْأَرْضِ رُكْبَتَيْكَ ، ثُمَّ يَدَيْكَ ، ثُمَّ جَبْهَتَكَ مَكْشُوفَةً ، وَضَعِ ٱلْأَنْفَ مَعَ ٱلْجَبْهَةِ ، وَجَافِ مِرْفَقَيْكَ عَنْ جَنْبَيْكَ ، وَأَقِلَّ بَطْنَكَ عَنْ فَخِذَيْكَ ـ وَٱلْمَرْأَةُ لَا تَفْعَلُ ذَٰلِكَ ـ وَضَعْ يَدَيْكَ عَلَى ٱلْأَرْضِ حَذْوَ مَنْكِبَيْكَ ؛ وَلَا تَفْرُشْ ذِرَاعَيْكَ عَلَى ٱلْأَرْضِ ، وَقُلْ : (سُبْحَانَ رَبِّيَ ٱلْأَعْلَىٰ ، ثَلَاثاً ، أَوْ سَبْعاً ، أَوْ عَشْراً) إِنْ كُنْتَ مُنْفَرِداً[1] .

= عافيت ، وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضىٰ عليك ، وإنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت » [ت ٤٦٤] .

قال الترمذي : هٰذا حديث حسن ، ولا نعرف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في القنوت شيئاً أحسن من هٰذا .

قال النووي : واعلم أنه يستحب إذا كان المصلي إماماً أن يقول : (اللهم اهدنا) بلفظ الجمع وكذٰلك الباقي . اهـ « أذكار » [٨٨] .

(١) جاء في هامش (أ) : (والسجود أعلىٰ درجات الاستكانة ، =

ثُمَّ تَرْفَعُ مِنَ ٱلسُّجُودِ مُكَبِّراً حَتَّىٰ تَعْتَدِلَ جَالِساً ، وَٱجْلِسْ عَلَىٰ رِجْلِكَ ٱلْيُسْرَىٰ ، وَٱنْصِبْ قَدَمَكَ ٱلْيُمْنَىٰ ، وَضَعْ يَدَيْكَ عَلَىٰ فَخِذَيْكَ وَٱلْأَصَابِعُ مَنْشُورَةٌ ، وَقُلْ : (رَبِّ ٱغْفِرْ لِي ، وَٱرْحَمْنِي ، وَٱرْزُقْنِي ، وَٱهْدِنِي ، وَٱجْبُرْنِي ، وَعَافِنِي ، وَٱعْفُ عَنِّي) .

ثُمَّ ٱسْجُدْ سَجْدَةً ثَانِيَةً كَذَٰلِكَ .

ثُمَّ تَعْتَدِلُ جَالِساً لِلِاسْتِرَاحَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ لَا تَشَهُّدَ عَقِيبَهَا .

= فتمكِّن أعز أعضائك وهو الوجه من أذل الأشياء وهو التراب ، وإن أمكنك ألا تجعل بينهما حائلاً فتسجد على الأرض .. فافعل ، فإنه أجلب للخضوع ، وأدل على الذل . فإذا وضعت نفسك موضع الذل .. فاعلم أنك وضعتها موضعها ، ورددت الفرع إلىٰ أصله ، فإنك من التراب خلقت وإليه تعود ، فعند هـٰذا جدِّد علىٰ قلبك عظمة الله تعالىٰ ، وقل : « سبحان ربي الأعلىٰ » وأكده بالتكرار ؛ فإن الكَرَّة الواحدة ضعيفة الأثر . « إحياء »[١/١٦٩]) .

ثُمَّ تَقُومُ فَتَضَعُ ٱلْيَدَيْنِ عَلَى ٱلْأَرْضِ ، وَلَا تُقَدِّمْ إِحْدَىٰ رِجْلَيْكَ فِي حَالَةِ ٱلِٱرْتِفَاعِ ، وَٱبْتَدِئْ بِتَكْبِيرَةِ ٱلِٱرْتِفَاعِ عِنْدَ ٱلْقُرْبِ مِنْ حَدِّ جِلْسَةِ ٱلِٱسْتِرَاحَةِ ، وَمُدَّهَا إِلَىٰ مُنْتَصَفِ ٱرْتِفَاعِكَ إِلَىٰ قِيَامِكَ ، وَلْتَكُنْ هَـٰذِهِ ٱلْجِلْسَةُ جِلْسَةً مُخْتَطَفَةً خَفِيفَةً ، وَصَلِّ ٱلرَّكْعَةَ ٱلثَّانِيَةَ كَٱلْأُولَىٰ ، وَأَعِدِ ٱلتَّعَوُّذَ فِي ٱلِٱبْتِدَاءِ .

ثُمَّ تَجْلِسُ فِي ٱلرَّكْعَةِ ٱلثَّانِيَةِ لِلتَّشَهُّدِ ٱلْأَوَّلِ ، وَضَعِ ٱلْيَدَ ٱلْيُمْنَىٰ فِي جُلُوسِ ٱلتَّشَهُّدِ عَلَى ٱلْفَخِذِ ٱلْيُمْنَىٰ مَقْبُوضَةَ ٱلْأَصَابِعِ ، إِلَّا ٱلْمُسَبِّحَةَ وَٱلْإِبْهَامَ ، فَتُرْسِلُهُمَا ، وَأَشِرْ بِمُسَبِّحَةِ يُمْنَاكَ عِنْدَ قَوْلِكَ : (إِلَّا ٱللهُ) ، لَا عِنْدَ قَوْلِكَ : (لَا إِلَـٰهَ) ، وَضَعِ ٱلْيَدَ ٱلْيُسْرَىٰ مَنْشُورَةَ ٱلْأَصَابِعِ عَلَى ٱلْفَخِذِ ٱلْأَيْسَرِ ، وَٱجْلِسْ عَلَىٰ رِجْلِكَ ٱلْيُسْرَىٰ فِي هَـٰذَا ٱلتَّشَهُّدِ كَمَا بَيْنَ ٱلسَّجْدَتَيْنِ ، وَفِي ٱلتَّشَهُّدِ ٱلْأَخِيرِ مُتَوَرِّكاً .

وَتَسْتَكْمِلُ ٱلدُّعَاءَ ٱلْمَعْرُوفَ ٱلْمَأْثُورَ بَعْدَ ٱلصَّلَاةِ عَلَى

رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١] ، وَٱجْلِسْ فِيهِ عَلَىٰ وَرِكِكَ ٱلْأَيْسَرِ ، وَأَضْجِعْ رِجْلَكَ ٱلْيُسْرَىٰ خَارِجَةً مِنْ تَحْتِكَ ، وَٱنْصِبِ ٱلْقَدَمَ ٱلْيُمْنَىٰ .

ثُمَّ قُلْ بَعْدَ ٱلْفَرَاغِ : (ٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ ٱللهِ) مَرَّتَيْنِ مِنَ ٱلْجَانِبَيْنِ ، وَٱلْتَفِتْ بِحَيْثُ يَرَىٰ خَدَّيْكَ مَنْ بِجَانِبَيْكَ ، وَٱنْوِ ٱلسَّلَامَ عَلَىٰ مَنْ بِجَانِبَيْكَ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ وَٱلْمُسْلِمِينَ .

وَهَـٰذِهِ هَيْئَةُ صَلَاةِ ٱلْمُنْفَرِدِ .

وَعِمَادُ ٱلصَّلَاةِ : ٱلْخُشُوعُ[٢] ، وَحُضُورُ ٱلْقَلْبِ ، مَعَ

---

(١) جاء في هامش (أ) : (ثم ادع في آخر صلاتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع ، والضراعة والابتهال ، وصدق الرجاء في الإجابة ، وأشرك في دعائك أبويك وسائر المؤمنين . « إحياء » [١٦٩/١]) .

(٢) جاء في هامش (أ) : (قال بعضهم : ما دخلت في صلاة قط . . فأهمني [فيها] غير ما أقول . =

ٱلْقِرَاءَةِ وَٱلذِّكْرِ بِٱلْفَهْمِ(١) .

قَالَ ٱلْحَسَنُ ٱلْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ : (كُلُّ صَلَاةٍ لَا يَحْضُرُ فِيهَا ٱلْقَلْبُ .. فَهِيَ إِلَى ٱلْعُقُوبَةِ أَسْرَعُ) [فيض ٢/ ٣٣٤] .

وَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ ٱلْعَبْدَ لَيُصَلِّي ٱلصَّلَاةَ فَلَا يُكْتَبُ لَهُ سُدُسُهَا وَلَا عُشْرُهَا ، وَإِنَّمَا يُكْتَبُ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ .. مَا عَقَلَ مِنْهَا » [حلية ٧/ ٦١ بنحوه] .

* * *

= وقيل لعامر بن عبد الله : هل تجد في الصلاة شيئاً من أمور الدنيا؟ فقال : لأن تختلف عليَّ الأَسِنة .. أحبّ إلي من أن أجد في الصلاة ما تجدون .

وقيل لبعضهم : هل تحدث نفسك بشيء من الدنيا في الصلاة؟ فقال : لا في الصلاة ، ولا في غيرها . « عوارف »[٢/ ١٢٨]) .

(١) جاء في هامش (أ) : (وأما صلاة الغافلين .. فهي مخطرة إلا أن يتغمده الله برحمته . والرحمة واسعة والكرم فائض ، فنسأل الله تعالىٰ أن يغمرنا برحمته ، ويتغمدنا بمغفرته ؛ إذ لا وسيلة لنا إلا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته . « إحياء »[١/ ١٧٠]) .



آدَابُ الإِمَامَةِ وَالقُـدْوَة (١)

يَنْبَغِي لِلْإِمَامِ أَنْ يُخَفِّفَ ٱلصَّلَاةَ .

قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ : (مَا صَلَّيْتُ خَلْفَ أَحَدٍ أَخَفَّ صَلَاةً وَلَا أَتَمَّ .. مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) [م ٤٦٩/١٩٠] .

---

(١) جاء في هامش (أ) : (**فضيلة الجماعة** :

قال صلى الله عليه وسلم : « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » [خ ٦٤٥] .

وروىٰ أبو هريرة رضي الله عنه : أنه صلى الله عليه وسلم فقد ناساً في بعض الصلوات فقال : « لقد هممت أن آمر رجلاً أن يصلي بالناس ، ثم أُخالف إلىٰ رجال يتخلفون عنها ، فآمُرَ بِهِمْ ، فتحرق بحزم الحطب بيوتهم ، ولو علم أحدهم أنه يجد عظماً سميناً لشهدها . يعني : صلاة العشاء » [م ٦٥١] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من شهد العشاء . . فكأنما قام نصف ليلةٍ ، ومن شهد الصبح . . فكأنما قام ليلةً » [ط ٢٩٧] . =

. . . .

= وقال صلى الله عليه وسلم : « من صلى صلاة في جماعة .. فقد ملأ نحره عبادة » .

وقال سعيد بن المسيب : ما أذن مؤذن منذ عشرين سنة إلا وأنا في المسجد . وقال محمد بن واسع : ما أشتهي من الدنيا إلا ثلاثة : أخاً إن تعوجت أقامني ، وقوتاً من الرزق عفواً بغير تبعة ، وصلاة في جماعة يرفع عني سهوها ويكتب لي فضلها .

وروي أن أبا عبيدة بن الجراح أم قوماً مرة فلما انصرف .. قال : ما زال الشيطان بي آنفاً حتى رأيت أن لي فضلاً على غيري ، لا أؤم بعدها أبداً .

وقال الحسن : لا تصلوا خلف رجل لا يختلف إلى العلماء .

وقد قال النخعي : مثل الذي يؤم الناس بغير علم .. كمثل الذي يكيل الماء في البحر لا يدري زيادته من نقصانه .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : من سمعَ المنادي ثم لم يُجِبْ .. لم يُرِد خيراً ولم يُرَد به .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : لَأن تُملأ أُذن ابن آدم رصاصاً مذاباً .. خير له من أن يسمع النداء ثم لا يجيب .

ويروىٰ أن ميمون بن مهران أتى المسجد ، فقيل له : إن الناس قد انصرفوا فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ؛ لفضل هٰذه الصلوات أحب إلي مِن ولاية العراق . وقال صلى الله عليه وسلم : « من صلىٰ أربعين

وَلَا يُكَبِّرُ مَا لَمْ يَفْرُغِ ٱلْمُؤَذِّنُ مِنَ ٱلْإِقَامَةِ ، وَمَا لَمْ تَسْتَوِ ٱلصُّفُوفُ ، وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِٱلتَّكْبِيرَاتِ ، وَلَا يَرْفَعُ ٱلْمَأْمُومُ صَوْتَهُ إِلَّا قَدْرَ مَا يُسْمِعُ نَفْسَهُ .

وَيَنْوِي ٱلْإِمَامَةَ لِيَنَالَ ٱلْفَضْلَ .

فَإِنْ لَمْ يَنْوِ .. صَحَّتْ صَلَاةُ ٱلْمَأْمُومِينَ إِذَا نَوَوا ٱلِاقْتِدَاءَ بِهِ ، وَنَالُوا فَضْلَ ٱلْقُدْوَةِ .

وَيُسِرُّ بِدُعَاءِ ٱلِاسْتِفْتَاحِ وَٱلتَّعَوُّذِ كَٱلْمُنْفَرِدِ ، وَيَجْهَرُ بِٱلْفَاتِحَةِ وَٱلسُّورَةِ فِي جَمِيعِ ٱلصُّبْحِ ، وَأَوَّلَتَيِ ٱلْمَغْرِبِ وَٱلْعِشَاءِ ، وَكَذَٰلِكَ ٱلْمُنْفَرِدُ .

وَيَجْهَرُ بِقَوْلِهِ (آمِينَ) فِي ٱلْجَهْرِيَّةِ ، وَكَذَٰلِكَ ٱلْمَأْمُومُ ، وَيَقْرُنُ ٱلْمَأْمُومُ تَأْمِينَهُ بِتَأْمِينِ ٱلْإِمَامِ مَعاً ، لَا تَعْقِيباً .

= يوماً جماعة لا يفوته منها تكبيرة الإحرام .. كتبت له براءتان ؛ براءة من النفاق وبراءة من النار » [ت ٢٤١] . « إحياء علوم الدين » [١/١٤٨-١٤٩]) .

وَيَسْكُتُ ٱلْإِمَامُ سَكْتَةً عَقِيبَ ٱلْفَاتِحَةِ لِيَثُوبَ إِلَيْهِ نَفَسُهُ .

وَيَقْرَأُ ٱلْمَأْمُومُ ٱلْفَاتِحَةَ فِي ٱلْجَهْرِيَّةِ فِي هَـٰذِهِ ٱلسَّكْتَةِ ، لِيَتَمَكَّنَ مِنَ ٱلِٱسْتِمَاعِ عِنْدَ قِرَاءَةِ ٱلْإِمَامِ(١) .

---

(١) جاء في هامش (أ) : (فضيلة الخشوع : قال الله تعالىٰ : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ .

قيل سكارىٰ من كثرة الهمّ ، وقيل : من حبِّ الدنيا .

وقال وهب : إن المراد به ظاهره ، ففيه تنبيه علىٰ سكر الدنيا ؛ إذ بيَّن فيه العلّة فقال : ﴿ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ .

وكم من مصلٍّ لم يشرب الخمر وهو لا يعلم ما يقول في صلاته .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من صلىٰ ركعتين لم يُحَدِّث فيهما نفسه بشيءٍ من الدنيا .. غفر له ما تقدم من ذنبه » [خ ١٥٨] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إنما الصلاة تمسكنٌ وتواضع ، وتضرع وتباءس وتنادم ، وتضع يديك فتقول : اللهم إن لم يفعل . . =

. . . .

= فهي خداج » [ت ٣٨٥ بنحوه] .

وروي عن الله تعالىٰ في الكتب السالفة : « أن الله سبحانه وتعالىٰ يقول : ليس كلُّ مصلٍّ أتقبل صلاته ، إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ، ولم يتكبر علىٰ عبادي ، وأطعم الفقير الجائع لوجهي » [حلية ٤/ ١٨] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما فرضت الصلاة ، وأمر بالحج والطواف ، وأشعرت المناسك .. لإقامة ذكر الله تعالىٰ » [خز ٢٧٣٨ بنحوه] .

فإن لم يكن في قلبك للمذكور ـ الذي هو المقصود والمبتغىٰ ـ عظمة ولا هيبة .. فما قيمة ذكرك؟!

وقال صلى الله عليه وسلم للذي أوصاه : « إذا صليت .. فصلِّ صلاة مودِّع » [ق ٤١٧١] .

أي : مودع لنفسه ، مودع لهواه ، مودع لعمره ، سائر إلىٰ ربه ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُ ﴾ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر .. لم يزدد من الله إلا بعداً » [طب ١١/ ٥٤] . والصلاة مناجاة ؛ فكيف تكون مع الغفلة؟!

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان رسول الله صلى الله عليه =

وَلَا يَقْرَأُ ٱلْمَأْمُومُ ٱلسُّورَةَ فِي ٱلْجَهْرِيَّةِ إِلَّا إِذَا لَمْ يَسْمَعْ صَوْتَ ٱلْإِمَامِ .

= وسلم يحدثنا ونحدثه ، فإذا حضرت الصلاة .. فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه) اشتغالاً بعظمة الله .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا ينظر الله إلىٰ صلاة لم يُحضِرِ الرجل فيها قلبه مع بدنه » [نوادر ٢/ ١٧٤ بنحوه] .

وكان إبراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه إذا قام إلى الصلاة .. سمع وجيب قلبه على ميلين .

وكان سعيد التنوخي إذا صلىٰ .. لم تنقطع الدموع من خديه علىٰ لحيته .

ورأىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة، فقال : «لو خشع قلب هـٰذا .. لخشعت جوارحه » [ش ٦٧٨٧] .

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه إذا حضرت الصلاة يتزلزل ويتلون ، فقيل له : مالك يا أمير المؤمنين؟ فقال : جاء وقت أمانةٍ عرضها الله على السماوات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملتها أنا .

ويروىٰ عن علي بن الحسين رضي الله عنه : أنه إذا توضأ .. اصفرَّ لونه ، فيقول له أهله : ما هـٰذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فقال : أتدرون بين يَدَي من أريد أقوم؟! اهـ بحمد الله) .

وَلَا يَزِيدُ ٱلْإِمَامُ عَلَىٰ ٱلثَّلَاثِ فِي تَسْبِيحَاتِ ٱلرُّكُوعِ وَٱلسُّجُودِ .

وَلَا يَزِيدُ فِي ٱلتَّشَهُّدِ ٱلْأَوَّلِ بَعْدَ قَوْلِهِ : (ٱللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ) .

وَيَقْتَصِرُ فِي ٱلرَّكْعَتَيْنِ ٱلْأَخِيرَتَيْنِ عَلَى ٱلْفَاتِحَةِ ، وَلَا يُطَوِّلُ عَلَى ٱلْقَوْمِ ، وَلَا يَزِيدُ دُعَاءَهُ فِي ٱلتَّشَهُّدِ ٱلْأَخِيرِ عَلَىٰ قَدْرِ تَشَهُّدِهِ وَصَلَاتِهِ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَيَنْوِي ٱلْإِمَامُ عِنْدَ ٱلتَّسْلِيمِ ٱلسَّلَامَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ، وَيَنْوِي ٱلْقَوْمُ بِتَسْلِيمِهِمْ جَوَابَهُ .

وَيَثِبُ ٱلْإِمَامُ سَاعَةَ يَفْرُغُ مِنَ ٱلسَّلَامِ ، وَيُقْبِلُ عَلَى ٱلنَّاسِ بِوَجْهِهِ ، وَلَا يَثِبُ إِنْ كَانَ خَلْفَهُ ٱلنِّسَاءُ لِيَنْصَرِفْنَ أَوَّلاً ، وَلَا يَقُومُ أَحَدٌ مِنَ ٱلْقَوْمِ حَتَّىٰ يَقُومَ ٱلْإِمَامُ ،

وَيَنْصَرِفُ ٱلْإِمَامُ حَيْثُ شَاءَ عَنْ يَمِينِهِ أَوْ شِمَالِهِ ، وَٱلْيَمِينُ أَحَبُّ إِلَيَّ .

وَلَا يَخُصُّ ٱلْإِمَامُ نَفْسَهُ بِٱلدُّعَاءِ فِي قُنُوتِ ٱلصُّبْحِ ؛ بَلْ يَقُولُ : (ٱللَّهُمَّ ٱهْدِنَا) ، وَيَجْهَرُ بِهِ ، وَيُؤَمِّنُ ٱلْقَوْمُ ، وَلَا يَرْفَعُونَ ٱلْأَيْدِيَ فَلَمْ يَثْبُتْ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَخْبَارِ[1] ، وَيَقْرَأُ ٱلْمَأْمُومُ بَقِيَّةَ ٱلْقُنُوتِ مِنْ قَوْلِهِ : (فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَىٰ عَلَيْكَ) ، وَلَا يَقِفُ ٱلْمَأْمُومُ وَحْدَهُ بَلْ يَدْخُلُ ٱلصَّفَّ ، أَوْ يَجُرُّ إِلَىٰ نَفْسِهِ غَيْرَهُ[2] .

وَلَا يَنْبَغِي لِلْمَأْمُومِ أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَى ٱلْإِمَامِ فِي أَفْعَالِهِ أَوْ

---

(١) بحسب ما بلغ المصنف رضي الله عنه ، وإلا .. فالمعتمد : أنه يسن رفع اليدين فيه للإمام وغيره ، وفيه خبر ثابت عند الحاكم ، وكلام المصنف في كتاب « الإحياء » يخالف كلامه هنا ، ونصه : (وقد روي حديث في رفع اليدين في القنوت ، فإذا صح الحديث استُحِبَّ ذٰلك) .

(٢) ولا ينبغي للمأموم الواقف في الصف أن يتأخر عن موافقة جارِّه الخارج عن الصف وهو وحده ، وذٰلك بأن يحرم بالصلاة قبل جَرِّهِ؟! وذٰلك لأن موافقته سنة وهي من باب : (وتعاونوا على البر والتقوىٰ) .

يُسَاوِيَهُ ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَخَّرَ ، فَلَا يَهْوِي إِلَى ٱلرُّكُوعِ إِلَّا إِذَا ٱنْتَهَى ٱلْإِمَامُ إِلَىٰ حَدِّ ٱلرَّاكِعِينَ ، وَلَا يَهْوِي إِلَى ٱلسُّجُودِ مَا لَمْ تَصِلْ جَبْهَةُ ٱلْإِمَامِ إِلَى ٱلْأَرْضِ .

* * *

آدَابُ الجُمُعَةِ

ٱعْلَمْ : أَنَّ ٱلْجُمْعَةَ عِيدُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، وَهُوَ يَوْمٌ شَرِيفٌ قَدْ خصَّ ٱللهُ تَعَالَىٰ بِهِ هَـٰذِهِ ٱلْأُمَّةَ ، وَفِيهِ سَاعَةٌ مُبْهَمَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ ٱللهَ تَعَالَىٰ فِيهَا حَاجَةً .. إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهَا .

فَٱسْتَعِدَّ لَهَا يَوْمَ ٱلْخَمِيسِ بِتَنْظِيفِ ٱلثِّيَابِ ، وَبِكَثْرَةِ ٱلتَّسْبِيحِ وَٱلِاسْتِغْفَارِ عَشِيَّةَ ٱلْخَمِيسِ ، فَإِنَّهَا سَاعَةٌ تُوَازِي فِي ٱلْفَضْلِ سَاعَةَ يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ[1] .

---

(١) جاء في هامش (أ) : (قال بعض السَّلف : إنَّ لله تعالىٰ فضلاً سوىٰ أرزاق العباد ؛ لا يُعطىٰ من ذٰلك الفضل إلا من سأله عشيَّةَ الخميس ويوم الجمعة . « إحياء » [١/ ١٨٠]) .

وَٱنْوِ صَوْمَ يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ ، لَـٰكِنْ مَعَ ٱلسَّبْتِ أَوْ مَعَ ٱلْخَمِيسِ ، إِذْ فِي إِفْرَادِهَا نَهْيٌ .

فَإِذَا طَلَعَ عَلَيْكَ ٱلصُّبْحُ .. فَٱغْتَسِلْ ، فَإِنَّ غُسْلَ يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَىٰ كُلِّ مُحْتَلِمٍ ؛ أَيْ : ثَابِتٌ مُؤَكَّدٌ[1] .

ثُمَّ تَزَيَّنْ بِٱلثِّيَابِ ٱلْبِيضِ ، فَإِنَّهَا أَحَبُّ ٱلثِّيَابِ إِلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ .

وَٱسْتَعْمِلْ مِنَ ٱلطِّيبِ أَطْيَبَ مَا عِنْدَكَ ، وَبَالِغْ فِي تَنْظِيفِ بَدَنِكَ بِٱلْحَلْقِ وَٱلْقَصِّ وَٱلتَّقْلِيمِ وَٱلسِّوَاكِ وَسَائِرِ أَنْوَاعِ ٱلنَّظَافَةِ ، وَتَطْيِيبِ ٱلرَّائِحَةِ .

ثُمَّ بَكِّرْ إِلَى ٱلْجَامِعِ ، وَٱسْعَ إِلَيْهَا عَلَى ٱلْهَيْنَةِ

---

(١) جاء في هامش (أ) : (وبهـٰذا يتم أدب الاستقبال ، ويخرج عن زمرة الغافلين الذين إذا أصبحوا قالوا : ما هـٰذا اليوم؟
قال بعض السلف : أوفى الناس نصيباً من الجمعة : من انتظرها ورعاها من الأمس ، وأخفهم نصيباً : من إذا أصبح قال : أيش اليوم؟ . « إحياء » [١/ ١٨٠]) .

وَٱلسَّكِينَةِ ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ رَاحَ إِلَى ٱلْجُمُعَةِ فِي ٱلسَّاعَةِ ٱلْأُولَىٰ .. فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي ٱلسَّاعَةِ ٱلثَّانِيَةِ .. فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي ٱلسَّاعَةِ ٱلثَّالِثَةِ .. فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشاً ، وَمَنْ رَاحَ فِي ٱلسَّاعَةِ ٱلرَّابِعَةِ .. فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً ، ومَنْ رَاحَ فِي ٱلسَّاعَةِ ٱلْخَامِسَةِ .. فَكَأَنَّمَا أَهْدَىٰ بَيْضَةً ، فَإِذَا خَرَجَ ٱلْإِمَامُ .. طُوِيَتِ ٱلصُّحُفُ ، وَرُفِعَتِ ٱلْأَقْلَامُ ، وَٱجْتَمَعَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ٱلْمِنْبَرِ يَسْتَمِعُونَ ٱلذِّكْرَ » [خ ٨٨١] .

وَيُقَالُ : (إِنَّ ٱلنَّاسَ فِي قُرْبِهِمْ عِنْدَ ٱلنَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِ ٱللهِ تَعَالَىٰ .. عَلَىٰ قَدْرِ بُكُورِهِمْ إِلَى ٱلْجُمُعَةِ) .

ثُمَّ إِذَا دَخَلْتَ ٱلْجَامِعَ .. فَٱطْلُبِ ٱلصَّفَّ ٱلْأَوَّلَ ، وَإِذَا ٱجْتَمَعَ ٱلنَّاسُ .. فَلَا تَتَخَطَّ رِقَابَهُمْ[1] ، وَلَا تَمُرَّ بَيْنَ

---

(١) جاء في هامش (أ) : (فقد ورد فيه وعيد شديد وهو : أنه يُجعل جسراً يوم القيامة يتخطاه الناس . « إحياء » [١/ ١٨٢]) .

أَيْدِيهِمْ ، وَٱجْلِسْ بِقُرْبِ حَائِطٍ أَوْ أُسْطُوَانَةٍ حَتَّىٰ لَا يُمَرَّ بَيْنَ يَدَيْكَ(١) .

وَلَا تَقْعُدْ حَتَّىٰ تُصَلِّيَ ٱلتَّحِيَّةَ ، وَحَسَنٌ أَنْ تُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ؛ تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ بَعْدَ ٱلْفَاتِحَةِ سُورَةَ ٱلْإِخْلَاصِ خَمْسِينَ مَرَّةً ؛ فَفِي ٱلْخَبَرِ : « أَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَٰلِكَ .. لَمْ يَمُتْ حَتَّىٰ يَرَىٰ مَقْعَدَهُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ ، أَوْ يُرَىٰ لَهُ ذَٰلِكَ » [لسان ٥/ ٣٤] .

وَلَا تَتْرُكِ ٱلتَّحِيَّةَ وَإِنْ كَانَ ٱلْإِمَامُ يَخْطُبُ .

وَمِنَ ٱلسُّنَّةِ أَنْ تَقْرَأَ فِي أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ سُورَةَ (ٱلْأَنْعَامِ) ، وَ(ٱلْكَهْفِ) ، وَ(طٰهٰ) ، وَ(يٰس) ، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ ..

---

(١) جاء في هامش (أ) : (ففي **الحديث** : « لأن يكون الرجل رماداً أو رميماً تذروه الرياح .. خير له من أن يمر بين يدي المصلي » [ترغيب ٧٩٤] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه .. لكان أن يقف أربعين خير له من أن يمر بين يديه » . [خ ٥١٠] . « إحياء » [١/ ١٨٣]) .

فَسُورَةَ (يٓس) ، وَ(الٓمٓ ٱلسَّجْدَة) ، وَ(حمٓ ٱلدُّخَان) ، وَ(ٱلْمُلْكِ) .

وَلَا تَدَعْ قِرَاءَةَ هَـٰذِهِ ٱلسُّوَرِ لَيْلَةَ ٱلْجُمُعَةِ ، فَفِيهَا فَضْلٌ كَثِيرٌ .

وَمَنْ لَا يُحْسِنُ ذَٰلِكَ .. فَلْيُكْثِرْ قِرَاءَةَ سُورَةِ (ٱلْإِخْلَاصِ) .

وَأَكْثِرِ ٱلصَّلَاةَ عَلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَـٰذَا ٱلْيَوْمِ خَاصَّةً .

وَمَهْمَا خَرَجَ ٱلْإِمَامُ .. فَٱقْطَعِ ٱلصَّلَاةَ وَٱلْكَلَامَ ، وَٱشْتَغِلْ بِجَوَابِ ٱلْمُؤَذِّنِ ، ثُمَّ بِٱسْتِمَاعِ ٱلْخُطْبَةِ وَٱلِٱتِّعَاظِ بِهَا ، وَدَعِ ٱلْكَلَامَ رَأْساً فِي ٱلْخُطْبَةِ ، فَفِي ٱلْخَبَرِ : « أَنَّ مَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ وَٱلْإِمَامُ يَخْطُبُ : أَنْصِتْ أَوْ صَهْ .. فَقَدْ لَغَا ، وَمَنْ لَغَا .. فَلَا جُمُعَةَ لَهُ » أَيْ قَوْلُهُ : « أَنْصِتْ » .. كَلَامٌ .

فَيَنْبَغِي أَنْ يَنْهَىٰ غَيْرَهُ بِٱلْإِشَارَةِ لَا بِٱللَّفْظِ[1] .

ثُمَّ ٱقْتَدِ بِٱلْإِمَامِ كَمَا سَبَقَ .

فَإِذَا فَرَغْتَ وَسَلَّمْتَ .. فَٱقْرَأْ (ٱلْفَاتِحَةَ) قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، وَ(ٱلْإِخْلَاصَ) سَبْعاً ، وَ(ٱلْمُعَوِّذَتَيْنِ) سَبْعاً ، سَبْعاً ؛ فَذَٰلِكَ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلْجُمُعَةِ إِلَى ٱلْجُمُعَةِ ، وَيَكُونُ حِرْزاً لَكَ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ، وَقُلْ بَعْدَ ذَٰلِكَ : (ٱللَّٰهُمَّ ؛ يَا غَنِيُّ يَا حَمِيدُ ، يَا مُبْدِئُ يَا مُعِيدُ ، يَا رَحِيمُ يَا وَدُودُ .. أَغْنِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ ، وَبِطَاعَتِكَ عَنْ مَعْصِيَتِكَ ، وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ) .

ثُمَّ صَلِّ بَعْدَ ٱلْجُمُعَةِ رَكْعَتَيْنِ أَوْ أَرْبَعاً أَوْ سِتّاً ، فَكُلُّ ذَٰلِكَ مَرْوِيٌّ فِي أَحْوَالٍ مُخْتَلِفَةٍ .

---

(١) جاء في هامش (أ) : (روي عن عثمان وعلي رضي الله عنهما : من استمع وأنصت .. فله أجران ، ومن لم يستمع وأنصت .. فله أجر ، ومن سمع ولغا .. فعليه وِزران ، ومن لم يستمع ولغا .. فعليه وزر واحد) .

ثُمَّ لَازِمِ ٱلْمَسْجِدَ إِلَى ٱلْمَغْرِبِ أَوْ إِلَى ٱلْعَصْرِ ، وَكُنْ حَسَنَ ٱلْمُرَاقَبَةِ لِلسَّاعَةِ ٱلشَّرِيفَةِ ؛ فَإِنَّهَا مُبْهَمَةٌ فِي جَمِيعِ ٱلْيَوْمِ ، فَعَسَاكَ أَنْ تُدْرِكَهَا وَأَنْتَ خَاشِعٌ لِلهِ تَعَالَىٰ ، مُتَضَرِّعٌ .

وَلَا تَحْضُرْ فِي ٱلْجَامِعِ ٱلْحِلَقَ وَلَا تُجَالِسِ ٱلْقُصَّاصَ ؛ بَلْ مَجْلِسَ ٱلْعِلْمِ ٱلنَّافِعِ ، وَهُوَ ٱلَّذِي يَزِيدُ فِي خَوْفِكَ مِنَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَيَنْقُصُ مِنْ رَغْبَتِكَ فِي ٱلدُّنْيَا ، فَكُلُّ عِلْمٍ لَا يَدْعُوكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا إِلَى ٱلْآخِرَةِ .. فَٱلْجَهْلُ أَعْوَدُ عَلَيْكَ مِنْهُ ، فَٱسْتَعِذْ بِٱللهِ تَعَالَىٰ مِنْ عَلْمٍ لَا يَنْفَعُ (١) .

وَأَكْثِرِ ٱلدُّعَاءَ عِنْدَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ ، وَعِنْدَ ٱلزَّوَالِ ،

---

(١) جاء في هامش (أ) : (ولا ينبغي أن يتكلم في الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا .

قال صلى الله عليه وسلم : « يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم بأمر دنياهم ليس لله فيهم حاجة فلا تجالسوهم » [ش ٨/٢٦٨] . « إحياء » [١/١٨٥]) .

وَعِنْدَ ٱلْغُرُوبِ ، وَعِنْدَ ٱلْإِقَامَةِ ، وَعِنْدَ صُعُود ٱلْخَطِيبِ ٱلْمِنْبَرَ ، وَعِنْدَ قِيَامِ ٱلنَّاسِ إِلَى ٱلصَّلَاةِ ، فَيُوشِكُ أَنْ تَكُونَ ٱلسَّاعَةُ ٱلشَّرِيفَةُ فِي بَعْضِ هَـٰذِهِ ٱلْأَوْقَاتِ .

وَٱجْتَهِدْ أَنْ تَتَصَدَّقَ فِي هَـٰذَا ٱلْيَوْمِ بِمَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ[1] ، فَتَجْمَعَ بَيْنَ ٱلصَّلَاةِ وَٱلصَّدَقَةِ وَٱلصَّوْمِ وَٱلْقِرَاءَةِ وَٱلذِّكْرِ وَٱلِٱعْتِكَافِ .

وَٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلْأُسْبُوعِ خَاصَّةً لِآخِرَتِكَ ، فَعَسَاهُ أَنْ يَكُونَ كَفَّارَةً لِبَقِيَّةِ ٱلْأُسْبُوعِ .



❊ ❊ ❊

---

(١) جاء في هامش (أ) : (ومن العلماء من كره الصدقة على سُؤَّال الجامع الذين يتخطون رقاب الناس ؛ إلا أن يسأل قائماً أو قاعداً في مكانٍ من غير تخطٍّ . « إحياء »[١/١٨٨]) .

آدَابُ الصِّيَامِ[1]

لَا يَنْبَغِي أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَىٰ صِيَام رَمَضَانَ ، فَتَتْرُكَ ٱلتِّجَارَةَ بِٱلنَّوَافِلِ وَكَسْبِ ٱلدَّرَجَاتِ ٱلْعَالِيَةِ فِي ٱلْفَرَادِيسِ ، فَتَتَحَسَّرَ

---

(١) جاء في هامش (أ) : (الحمد لله ، أما الواجبات الظاهرة . . فستة :

الأول : مراقبة أول شهر رمضان ، وذٰلك يكون برؤيته الهلال ، فإن غُمَّ . . فباستكمال شعبان ثلاثين ، ونعني بالرؤية : العلم ، ويحصل ذٰلك بقول عدل ، ولا يثبت هلال شعبان إلا بقول عدلين احتياطاً للعبادة .

ومن سمع عدلاً ووثق بقوله وغلب علىٰ ظنه صدقه . . لزمه الصوم ، وإن لم يقض القاضي به . . فليتبع كل عبد من عبادته موجب ظنه .

وإذا رئي الهلال ببلدة ولم يُرَ بأخرىٰ وكان بينهما أقل من مرحلتين . . وجب الصوم على الكل ، وإن كان أكثر كان لكل بلدة حكمها ولا يتعدى الوجوب . « إحياء » معنىً [١/ ٣٣٢]) .

إِذَا نَظَرْتَ إِلَى ٱلصَّائِمِينَ كَمَا تَنْظُرُ إِلَى الْكَوْكَبِ ٱلدُّرِّيِّ وَهُمْ فِي أَعْلَىٰ عِلِّيِّينَ .

وَٱلْأَيَّامُ ٱلْفَاضِلَةُ ٱلَّتِي شَهِدَتِ ٱلْأَخْبَارُ بِشَرَفِهَا ، وَجَزِيلِ ٱلثَّوَابِ فِي صِيَامِهَا : يَوْمُ عَرَفَةَ ، وَيَوْمُ عَاشُورَاءَ ، وَٱلْعَشْرُ ٱلْأُوَلُ مِنْ ذِي ٱلْحِجَّةِ ، وَٱلْعَشْرُ ٱلْأُوَلُ مِنَ ٱلْمُحَرَّمِ ، وَرَجَبٌ ، وَشَعْبَانُ .

وَصَوْمُ ٱلْأَشْهُرِ ٱلْحُرُمِ مِنَ ٱلْفَضَائِلِ ، وَهِيَ : ذُو ٱلْقَعْدَةِ وَذُو ٱلْحِجَّةِ وَٱلْمُحَرَّمُ وَرَجَبٌ ، وَاحِدٌ فَرْدٌ وَثَلَاثَةٌ سَرْدٌ ، وَهَـٰذَا فِي ٱلسَّنَةِ .

وَأَمَّا فِي ٱلشَّهْرِ : فَأَوَّلُهُ وَأَوْسَطُهُ وَآخِرُهُ . وَٱلْأَيَّامُ ٱلْبِيضُ وَهِيَ : ٱلثَّالِثَ عَشَرَ وَٱلرَّابِعَ عَشَرَ وَٱلْخَامِسَ عَشَرَ .

وَأَمَّا فِي ٱلْأُسْبُوعِ : فَٱلْإِثْنَيْنُ وٱلْخَمِيسُ وَٱلْجُمُعَةُ ، فَكَفِّرْ ذُنُوبَ ٱلْأُسْبُوعِ بِيَوْمِ ٱلْإِثْنَيْنِ وَٱلْخَمِيسِ وَٱلْجُمُعَةِ .

وَكَفِّرْ ذُنُوبَ ٱلشَّهْرِ بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَوَّلِ مِنَ ٱلشَّهْرِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَوْسَطِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْأَيَّامِ ٱلْبِيضِ .

وَكَفِّرْ ذُنُوبُ ٱلسَّنَةِ بِصِيَامِ هَـٰذِهِ ٱلْأَيَّامِ وَٱلْأَشْهُرِ ٱلْمَذْكُورَةِ .

وَلَا تَظُنَّنَّ إِذَا صُمْتَ أَنَّ ٱلصَّوْمَ هُوَ تَرْكُ ٱلطَّعَامِ وَٱلشَّرَابِ وَٱلْوِقَاعِ ؛ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَمْ مِنْ صَائِمٍ .. لَيْسٍ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا ٱلْجُوعُ وَٱلْعَطَشُ » [حم ٢/ ٤٤١] .

بَلْ تَمَامُ ٱلصِّيَامِ بِكَفِّ ٱلْجَوَارِحِ كُلِّهَا عَمَّا يَكْرَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ ، فَيَنْبَغِي أَنْ تَحْفَظَ ٱلْعَيْنَ عَنِ ٱلنَّظَرِ إِلَى ٱلْمَكَارِهِ ، وَٱللِّسَانَ عَنِ ٱلنُّطْقِ بِمَا لَا يَعْنِيكَ ، وَٱلْأُذُنَ عَنِ ٱلِٱسْتِمَاعِ إِلَىٰ مَا حَرَّمَهُ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنَّ ٱلْمُسْتَمِعَ شَرِيكُ ٱلْقَائِلِ وَهُوَ أَحَدُ ٱلْمُغْتَابِيْنِ .

وَكَذَٰلِكَ تَكُفُّ جَمِيعَ ٱلْجَوَارِحِ كَمَا تَكُفُّ ٱلْبَطْنَ

وَٱلْفَرْجَ[1] ، فَفِي ٱلْخَبَرِ : « خَمْسٌ يُفَطِّرْنَ ٱلصَّائِمَ :

---

(١) جاء في هامش (أ) : (فإن قلت : فمن اقتصر على كفِّ شهوة البطن والفرج وترك هـٰذه المعاني ، فقد قال الفقهاء : صومه صحيح ، فما معناه؟ . . فاعلم : أن فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر بأدلة هي أضعف من هـٰذه الأدلة التي أوردناها في هـٰذه الشروط الباطنة ، لا سيما الغيبة وأمثالها .

ولـٰكن ليس إلىٰ فقهاء الظاهر من التكليفات إلا ما يتيسر علىٰ عموم الغافلين المقبلين على الدنيا الدخول تحته .

وأما علماء الآخرة . . فيعنون بالصحة : القبول . وبالقبول : الوصول إلى المقصود . ويفهمون أنَّ المقصود من الصوم : التخلّق بخلق من أخلاق الله عزَّ وجلَّ ؛ وهو : الصمدية ، والاقتداء بالملائكة في الكفِّ عن الشهوات بحسب الإمكان ، فإنهم منزّهون عن الشهوات .

والإنسان رتبته فوق رتبة البهائم ؛ لقدرته بنور العقل علىٰ كسر شهوته ، ودون [رتبة] الملائكة ؛ لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلىً بمجاهدتها ، فكلما انهمك في الشهوات .. انحطَّ إلىٰ أسفل سافلين ، والتحق بغمار البهائم ، وكلّما قمع الشهوات .. ارتفع إلىٰ أعلىٰ علِّيين ، والتحق بأفق الملائكة .

والملائكةُ مقرَّبون من الله عزَّ وجلَّ ، والذي يقتدي بهم ويتشبَّه بأخلاقهم .. يقرب من الله عزَّ وجلَّ كقربهم ؛ فإنَّ الشبيه من القريب قريبٌ ، وليس القرب ثمَّ بالمكان بل بالصفات ، وإذا كان هـٰذا سرَّ =

ٱلْكَذِبُ ، وَٱلْغِيبَةُ ، وَٱلنَّمِيمَةُ ، وَٱلْيَمِينُ ٱلْكَاذِبَةُ ، وَٱلنَّظَرُ بِشَهْوَةٍ » [فر ٢٩٧٩] .

وَقَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّمَا ٱلصَّوْمُ جُنَّةٌ ، فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِماً .. فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ ؛ فَإِنِ ٱمْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ .. فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ » [حم ٢/٣٠٦] .

ثُمَّ ٱجْتَهِدْ أَنْ تُفْطِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ حَلَالٍ ، وَلَا تَسْتَكْثِرْ

= الصَّوم عند أرباب الألباب وأصحاب القلوب .. فأيُّ جدوىٰ لتأخير أكلة وجمع أكلتين عند العشاء مع الانهماك في الشهوات الأُخَر طول النهار ، ولو كان لمثله جدوىً .. فأيُّ معنىً لقوله صلى الله عليه وسلم : « كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش » [حم ٢/٤٤١] .

ولهٰذا قال أبو الدرداء رضي الله عنه : يا حبذا نوم الأكياس وفطرهم ! كيف يغبنون صوم الحمقىٰ وسهرهم!! ولَذَرَّةٌ من ذي يقين وتقوىٰ .. أفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترين .

ولذٰلك قال بعض العلماء : كم من صائم مفطر ، وكم من مفطر صائم ، والمفطر الصائم هو الذي يحفظ جوارحه عن الآثام ، ويأكل ويشرب ، والصائم المفطر هو الذي يجوع ويعطش ويطلق جوارحه .
« إحياء » المؤلف [١/٣٣٦]) .

فَتَزِيدَ عَلَىٰ مَا تَأْكُلُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ ، فَلَا فَرْقَ إِذَا ٱسْتَوْفَيْتَ مَا تَعْتَادُهُ .. أَن تَأْكُلَهُ دَفْعَةً وَاحِدَةً أَوْ دَفْعَتَيْنِ ، وَإِنَّمَا ٱلْمَقْصُودُ كَسْرُ شَهْوَتِكَ ، وَضَعْفُ قُوَّتِكَ ؛ لِتَقْوَىٰ بِهَا عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ(١) .

فَإِذَا أَكَلْتَ عَشِيَّةً مَا تَدَارَكْتَ بِهِ مَا فَاتَكَ ضَحْوَةً .. فَلَا فَائِدَةَ فِي صَوْمِكَ وَقَدْ ثَقَّلْتَ عَلَىٰ مَعِدَتِكَ ، وَمَا مِنْ وِعَاءٍ أَبْغَضَ إِلَى ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ بَطْنٍ مُلِئَ مِنْ حَلَالٍ .

فَإِذَا عَرَفْتَ مَعْنَى ٱلصَّوْمِ .. فَٱسْتَكْثِرْ مِنْهُ مَا ٱسْتَطَعْتَ ، فَإِنَّهُ أَسَاسُ ٱلْعِبَادَاتِ ، وَمِفْتَاحُ ٱلْقُرُبَاتِ .

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَالَ ٱللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ ، إِلَّا

---

(١) جاء في هامش (أ) : (ومن آداب الطعام : أن يتحدثوا في حالة أكله بالمعروف ، ويتحدثوا بحكايات الصالحين في الأطعمة وغيرها . « إحياء » [٢/٧]) .

ٱلصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ » [ت ٦٩٥] .

وَقَالَ رَسُول ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ لَخُلُوفُ فَمِ ٱلصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ ٱللهِ مِنْ رِيحِ ٱلْمِسْكِ ، يَقُولُ ٱللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : إِنَّمَا يَذَرُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي ، فَٱلصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ »[1] [حم ٢/ ٤٦٥] .

---

(١) جاء في هامش (أ) : (فلما كان الصبر على الصوم على الخصوص قمعاً للشيطان ، وسدّاً لمسالكه ، وتضييقاً لمجاريه .. استحق التخصيص بالنسبة إلى الله .

ففي قمع عدو الله نصرة الله ، ونصرة الله موقوفة على النصرة له .

قال الله تعالىٰ : ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ .

فالبداية : بالجهد من العبد ، والجزاء : بالهداية من الله تعالىٰ ؛ ولذلك قال تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾ .

وإنما التغير كسر الشهوات فهي مراتع الشياطين ومرعاهم ، فما دامت مخصبة .. لم يزالوا يترددون إليها ، وما داموا يترددون إليها .. فلا ينكشف للعبد جلال الله سبحانه ، وكان محجوباً عن لقائه .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لولا أن الشياطين يحومون على =

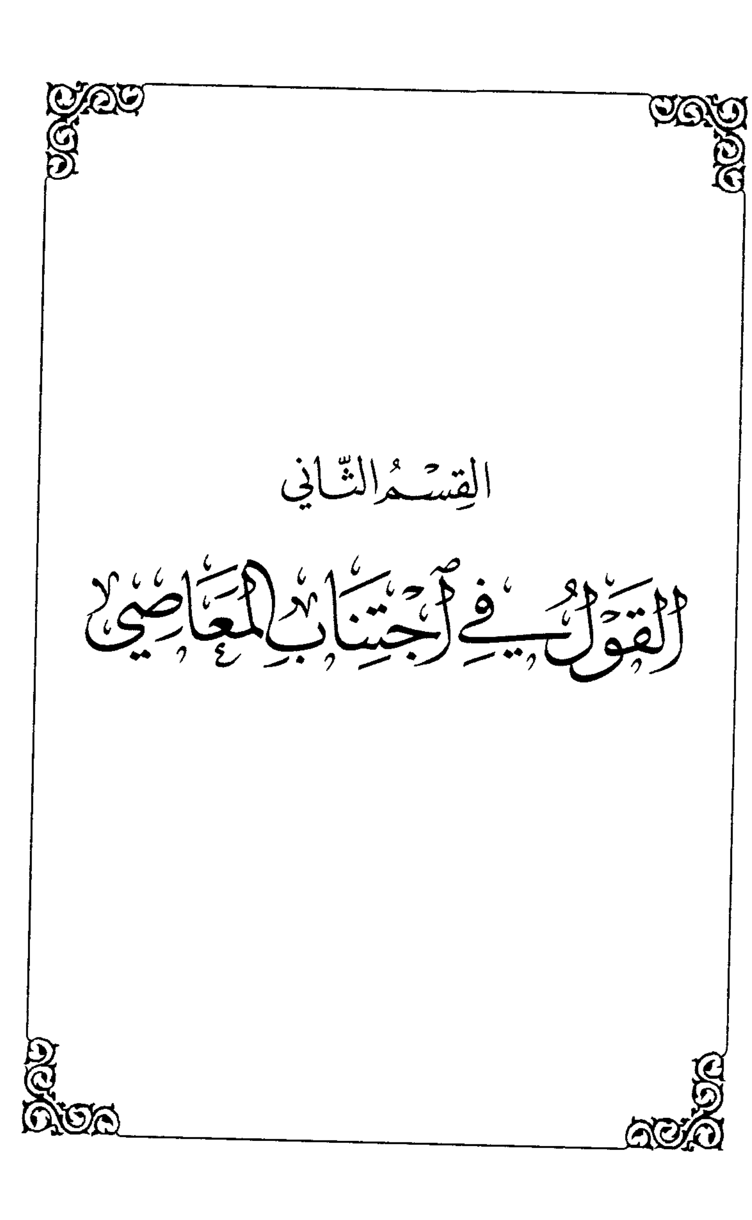
وَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لِلْجَنَّةِ بَابٌ يُقَالُ لَهُ : ٱلرَّيَّانُ ، لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا ٱلصَّائِمُونَ ، فَإِذَا دَخَلُوهُ .. أُغْلِقَ » [طب ٦/ ١٨٤] .

فَهَـٰذَا ٱلْقَدْرُ مِنْ شَرْحِ ٱلطَّاعَاتِ يَكْفِيكَ فِي بِدَايَةِ ٱلْهِدَايَةِ .

فَإِنِ ٱحْتَجْتَ إِلَى ٱلزَّكَاةِ أَوِ ٱلْحَجِّ أَوْ إِلَىٰ مَزِيدٍ فِي شَرْحِ ٱلصَّلَاةِ وَٱلصِّيَامِ .. فَٱطْلُبْهُ مِمَّا أَوْرَدْنَاهُ فِي كِتَابِ « إِحْيَاءِ عُلُومِ ٱلدِّينِ » تَجِدْهُ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَىٰ .

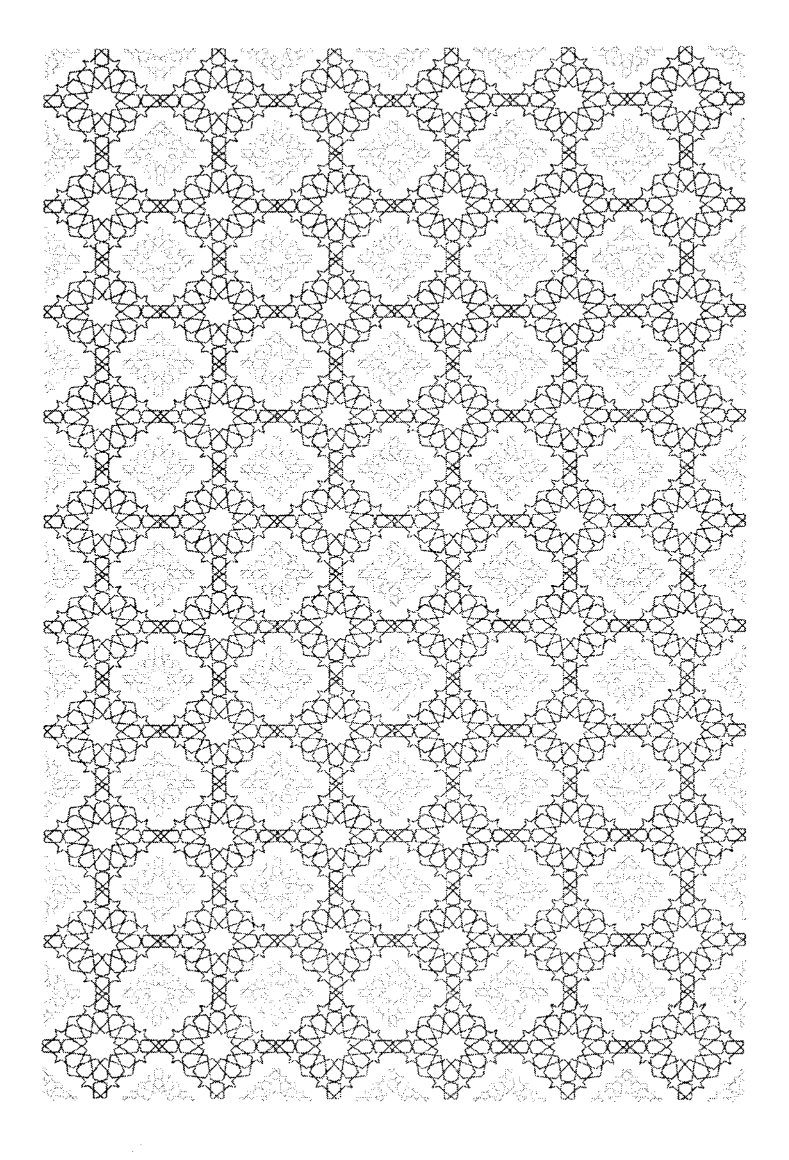
* * *

= قلوب بني آدم .. لنظروا إلىٰ ملكوت السماوات » [حم ٢/ ٣٥٣] .
« إحياء » [١/ ٢٣٢]) .



القسم الثاني

القول في اجتناب المعاصي



القِسمُ الثّاني

القَولُ في ٱجتِنابِ المَعاصي

ٱعْلَمْ : أَنَّ ٱلدِّينَ شَطْرَانِ :

أَحَدُهُمَا : تَرْكُ ٱلْمَعَاصِي . وٱلْآخَرُ : فِعْلُ ٱلطَّاعَاتِ . وَتَرْكُ ٱلْمَنَاهِي هُوَ ٱلْأَشَدُّ .

فَٱلطَّاعَةُ يَقْدِرُ عَلَيْهَا كُلُّ أَحَدٍ ، وَتَرْكُ ٱلشَّهَوَاتِ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا ٱلصِّدِّيقُونَ ؛ وَلِذَٰلِكَ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ٱلْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ ٱلسُّوءَ ، وَٱلْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ هَوَاهُ » [حم ٢/٢٠٦ بنحوه] .

وَٱعْلَمْ : أَنَّكَ إِنَّمَا تَعْصِي ٱللهَ تَعَالَىٰ بِجَوَارِحِكَ ، وَهِيَ نِعْمَةٌ مِنَ ٱللهِ عَلَيْكَ وَأَمَانَةٌ لَدَيْكَ ، فَٱسْتِعَانَتُكَ بِنِعْمَةِ ٱللهِ

تَعَالَىٰ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ غَايَةُ ٱلْكُفْرَانِ ، وَخِيَانَتُكَ فِي أَمَانَةٍ أَوْدَعَكَهَا ٱللهُ غَايَةُ ٱلطُّغْيَانِ ، فَإِنَّ أَعْضَاءَكَ رَعَايَاكَ ، فَٱنْظُرْ كَيْفَ تَرْعَاهَا .

فَكُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ .

وَٱعْلَمْ : أَنَّ جَمِيعَ أَعْضَائِكَ سَتَشْهَدُ عَلَيْكَ فِي عَرَصَاتِ ٱلْقِيَامَةِ بِلِسَانٍ ذَلِقٍ[1] ، يَفْضَحُكَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ مَلَأٍ مِنَ ٱلْخَلَائِقِ .

قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ .

فَٱحْفَظْ جَمِيعَ بَدَنِكَ ، وَخُصُوصاً أَعْضَاءَكَ ٱلسَّبْعَةَ ؛

---

(١) ذَلِقٍ : فصيح .

فَإِنَّ جَهَنَّمَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ، لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ، وَلَا يَتَعَيَّنُ لِتِلْكَ ٱلْأَبْوَابِ إِلَّا مَنْ عَصَى ٱللهَ تَعَالَىٰ بِهَـٰذِهِ ٱلْأَعْضَاءِ ، وَهِيَ : ٱلْعَيْنُ ، وَٱلْأُذُنُ ، وَٱللِّسَانُ ، وَٱلْبَطْنُ ، وَٱلْفَرْجُ ، وَٱلْيَدُ ، وَٱلرِّجْلُ .

أَمَّا ٱلْعَيْنُ : فَإِنَّمَا خُلِقَتْ لَكَ لِتَهْتَدِيَ بِهَا فِي ٱلظُّلُمَاتِ ، وَتَسْتَعِينَ بِهَا فِي ٱلْحَاجَاتِ ، وَتَنْظُرَ بِهَا إِلَىٰ عَجَائِبِ مَلَكُوتِ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَاوَاتِ[1] ، وَتَعْتَبِرَ بِمَا فِيهَا مِنَ ٱلْآيَاتِ .

---

(١) جاء في هامش (أ) : (قال قتادة رحمه الله : ملكوت السماوات : الشمس والقمر والنجوم ، وملكوت الأرض : الجبال والأشجار والبحار .

والملكوت بمنزلة الملك ، إلا أن التاء زيدت للمبالغة ؛ كالرغبوت والرهبوت . « واحدي » .

وليس المراد النظر إلى الدنيا بعين الاختيار ، وإنما أراد النظر إليها بعين الاعتبار كما حكي أن يوسف بن أسباط أتي له بجوهرة فأخذها ، وقبّلها ، ووضعها علىٰ عينيه ، ثم وضعها بين يديه ، وقال : إن الدنيا لم تخلق لننظر إليها إنّما خلقت لننظر بها إلى الآخرة . « رياض الأنس » [(خ) روضة الأنس للمنيبين معنىً]) .

فَٱحْفَظْهَا عَنْ ثَلَاثَةٍ :

ـ أَنْ تَنْظُرَ بِهَا إِلَىٰ غَيْرِ مَحْرَمٍ ، وَإِلَىٰ صُورَةٍ مَلِيحَةٍ بِشَهْوَةِ نَفْسٍ .

ـ أَوْ تَنْظُرَ بِهَا إِلَىٰ مُسْلِمٍ بِعَيْنِ ٱلِٱحْتِقَارِ .

ـ أَوْ تَطَّلِعَ بِهَا إِلَىٰ عَيْبِ مُسْلِمٍ .

❊ ❊ ❊

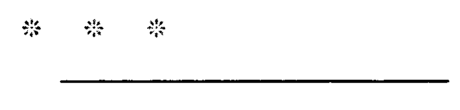
وَأَمَّا ٱلْأُذُنُ : فَٱحْفَظْهَا عَنْ أَنْ تُصْغِيَ بِهَا إِلَى ٱلْبِدْعَةِ أَوِ ٱلْغِيبَةِ أَوِ ٱلْفُحْشِ ، أَوِ ٱلْخَوْضِ فِي ٱلْبَاطِلِ ، أَوْ ذِكْرِ مَسَاوِئِ ٱلنَّاسِ ؛ فَإِنَّمَا خُلِقَتْ لَكَ لِتَسْمَعَ بِهَا كَلَامَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَسُنَّةَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَحِكْمَةَ أَوْلِيَائِهِ ، وَتَتَوَصَّلَ بِهَا إِلَى ٱسْتِفَادَةِ ٱلْعِلْمِ ؛ لِتَنَالَ بِهَا ٱلْمُلْكَ ٱلْمُقِيمَ وَٱلنَّعِيمَ ٱلدَّائِمَ .

فَإِذَا أَصْغَيْتَ بِهَا إِلَىٰ شَيْءٍ مِنَ ٱلْمَكَارِهِ .. صَارَ مَا كَانَ

لَكَ عَلَيْكَ ، وَٱنْقَلَبَ مَا كَانَ سَبَبَ فَوْزِكَ .. فَصَارَ سَبَبَ هَلَاكِكَ .

وَهَـٰذَا غَايَةُ ٱلْخُسْرَانِ .

وَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ ٱلْإِثْمَ يَخْتَصُّ بِهِ ٱلْقَائِلُ دُونَ ٱلْمُسْتَمِعِ ، فَفِي ٱلْخَبَرِ : (إِنَّ ٱلْمُسْتَمِعَ شَرِيكُ ٱلْقَائِلِ ، وَهُوَ أَحَدُ ٱلْمُغْتَابَيْنِ)[1] [فيض ٣/ ٤٦٠] .



(١) جاء في هامش (أ) : (قال بعضهم :

تحـرَّ مـن الطـرق أوسـاطها … وعـدِّ عـن الجانـب المشتبه
وسمعك صُن عن سماع القبيح … كصون اللِّسان عن النطق به
فـإنـك عنـد سمـاع القبيـح … شـريـك لقـائلـه فـانتبه

وروي عن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه : أنه دعي إلىٰ وليمة ، فحضر ، فذكروا رجلاً لم يأتهم ، فقالوا : إنه ثقيل . فقال إبراهيم : أنا فعلت هـٰذا بنفسي ؛ حيث حضرت موضعاً يُغتاب فيه الناس . فخرجَ ولم يأكل ثلاثة أيام . « أذكار » [٤٢٢-٤٢٣]) .

وَأَمَّا ٱللِّسَانُ(١) : فَإِنَّمَا خُلِقَ لَكَ لِتُكْثِرَ بِهِ ذِكْرَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَتِلَاوَةَ كِتَابِهِ ، وَتُرْشِدَ بِهِ خَلْقَ ٱللهِ تَعَالَىٰ إِلَىٰ

---

(١) جاء في هامش (أ) : (قال صلى الله عليه وسلم : « إنّ العبد لَيتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً . . يرفعه الله بها درجات ، وإن العبد لَيتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً . . يهوي بها في جهنم » [خ ٥٩٩٧] .

وقال : « سِباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر » [خ ٤٦] .

وقال : « إن العبد ليقول الكلمة ، لا يقولها إلا ليضحك بها الناس . . يهوي بها أبعد ما بين السماء والأرض ، وإنه ليزل عن لسانه أشد مما يزل علىٰ قدمه » [زهدمبا ٧٣٤] .

وقال : « كفىٰ بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع » [م ٥] .

وقال : « من صمت . . نجا » [ت ٢٥٠١] .

وقال عقبة بن عامر رضي الله عنه : لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : ما النجاة؟ قال : « يا عقبة ؛ أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابكِ علىٰ خطيئتك » [ت ٢٤٠٦] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا ميمونة ؛ تعوذي بالله من عذاب القبر ، [وإن من أشد عذاب القبر يا ميمونة] : الغيبة والبول » [هب ٦٧٣١] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن عذاب القبر من ثلاثة : الغيبة والنميمة والبول ، فإياكم وذلك ») .

طَرِيقِهِ ، وَتُظْهِرَ بِهِ مَا فِي ضَمِيرِكَ مِنْ حَاجَاتِ دِينِكَ وَدُنْيَاكَ .

فَإِذَا ٱسْتَعْمَلْتَهُ لِغَيْرِ مَا خُلِقَ لَكَ .. فَقَدْ كَفَرْتَ بِنِعْمَةِ ٱللهِ ، وَهُوَ أَغْلَبُ أَعْضَائِكَ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ سَائِرِ ٱلْخَلْقِ .

وَلَا يَكُبُّ ٱلنَّاسَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ[1] .

فَٱسْتَظْهِرْ عَلَيْهِ بِغَايَةِ قُوَّتِكَ حَتَّىٰ لَا يَكُبَّكَ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ ، فَفِي ٱلْحَدِيثِ : « إِنَّ ٱلرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِٱلْكَلِمَةِ ، فَيَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفاً » [ق ٣٩٧٠] .

وَقُتِلَ شَهِيدٌ فِي ٱلْمَعْرَكَةِ ، فَقَالَ قَائِلٌ : هَنِيئاً لَهُ

---

(١) قال [الشافعي رضي الله عنه] :

احـذر لسـانـك أيهـا الإنسـان ... لا يلـدغنـك إنـه ثعبـان

كم في المقابر من قتيل لسانه ... كـانـت تهـاب لقـاءه الأقـران

ٱلْجَنَّةُ ، فَقَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَمَا يُدْرِيكَ ؛ لَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ ، وَيَبْخَلُ بِمَا لَا يُغْنِيهِ؟ » [هب ١٠٨٣٦] .

فَٱحْفَظْ لِسَانَكَ مِنْ ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ :

ٱلْأَوَّلُ : ٱلْكَذِبُ[١] .

فَٱحْفَظْ لِسَانَكَ مِنْهُ فِي ٱلْجِدِّ وَٱلْهَزْلِ ، وَلَا تُعَوِّدْ نَفْسَكَ ٱلْكَذِبَ هَزْلاً[٢] ؛ فَيَتَدَاعَىٰ إِلَى ٱلْجِدِّ ، فَٱلْكَذِبُ مِنْ

---

(١) جاء في هامش (أ) : (قال صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالصدق ؛ فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتىٰ يكتب عند الله صديقاً . وإياكم والكذب ؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتىٰ يكتب عند الله كذاباً » [م ٢٦٠٧] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا كذب العبد تباعد الملَك ميلاً من نتن ما جاء به » [ت ١٨٩٥]) .

(٢) جاء في هامش (أ) : (قال صلى الله عليه وسلم : « ويل لمن=

أُمَّهَاتِ ٱلْكَبَائِرِ ، ثُمَّ إِنَّكَ إِذَا عُرِفْتَ بِذَٰلِكَ .. سَقَطَتِ ٱلثِّقَةُ بِقَوْلِكَ ، وَتَزْدَرِيكَ ٱلْأَعْيُنُ وَتَحْتَقِرُكَ .

فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ قُبْحَ ٱلْكَذِبِ مِنْ نَفْسِكَ .. فَٱنْظُرْ إِلَىٰ كَذِبِ غَيْرِكَ وَإِلَىٰ نَفْرَةِ نَفْسِكَ عَنْهُ ، وَٱسْتِحْقَارِكَ لِصَاحِبِهِ ، وَٱسْتِقْبَاحِكَ لَهُ ، وَكَذَٰلِكَ فَٱفْعَلْ فِي جَمِيعِ عُيُوبِ نَفْسِكَ ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي قُبْحَ عُيُوبِكَ مِنْ نَفْسِكَ بَلْ مِنْ غَيْرِكَ ، فَمَا ٱسْتَقْبَحْتَهُ مِنْ غَيْرِكَ فَيَسْتَقْبِحُهُ غَيْرُكَ مِنْكَ لَا مَحَالَةَ ، فَلَا تَرْضَ لِنَفْسِكَ بِذَٰلِكَ .

ٱلثَّانِي : ٱلْخُلْفُ فِي ٱلْوَعْدِ .

فَإِيَّاكَ أَنْ تَعِدَ بِشَيْءٍ إِلَّا وَتَفِيَ بِهِ ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ إِحْسَانُكَ لِلنَّاسِ فِعْلاً بِلَا قَوْلٍ .

فَإِذَا ٱضْطُرِرْتَ إِلَى ٱلْوَعْدِ .. فَإِيَّاكَ أَنْ تُخْلِفَ إِلَّا لِعَجْزٍ

= يحدث فيكذب ؛ ليضحك القوم ، ويل له ، ويل له » [د ٤٩٥١]) .

أَوْ ضَرُورَةٍ ، فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ أَمَارَاتِ ٱلنِّفَاقِ وَخَبَائِثِ ٱلْأَخْلَاقِ[1] .

قَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ .. فَهْوَ مُنَافِقٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّىٰ[2] : مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا ٱؤْتُمِنَ خَانَ »[3] [حم ٢/٥٣٦] .

---

(١) جاء في هامش (أ) : (قال صلى الله عليه وسلم : « إذا وعد الرجل أخاه ومن نيته أن يفي له فلم يف ، ولم يجئ .. فلا إثم عليه » [د ٤٩٥٦]) .

(٢) جاء في هامش (أ) : (في الحديث : « أربعة جواهر في جسم ابن آدم يزيلها أربعة أشياء . أما الجواهر : فالعقل والدين والحياء والعمل الصالح .

فالفقر يزيل العقل ، والحسد يزيل الدين ، والطمع يزيل الحياء ، والغيبة تزيل العمل الصالح » والله أعلم) .

(٣) جاء في هامش (أ) : (الخَلق في الأمانة خمسة أصناف :

أحدهم : العلماء ؛ وأمانتهم : النصيحة للخلق مع قطع الطمع منهم .

الثاني : الأمراء ؛ وأمانتهم : العدل بين الناس .

الثالث : التجار ؛ وأمانتهم : إنصاف الناس من أنفسهم ، =

ٱلثَّالِثُ : ٱلْغِيبَةُ .

ٱحْفَظْ لِسَانَكَ مِنَ ٱلْغِيبَةِ(١) ، فَٱلْغِيبَةُ أَشَدُّ مِنْ ثَلَاثِينَ زَنْيَةً فِي ٱلْإِسْلَامِ ، كَذَٰلِكَ ٱلْخَبَرُ .

وَمَعْنَى ٱلْغِيبَةِ : أَنْ تَذْكُرَ إِنْسَاناً بِمَا يَكْرَهُهُ لَوْ سَمِعَهُ ، فَأَنْتَ مُغْتَابٌ ظَالِمٌ وَإِنْ كُنْتَ صَادِقاً(٢) .

= واجتناب النجش في مكايلهم وموازينهم .

الرابع : الفقراء ؛ وأمانتهم : كتمان الشدة ، وترك الشكاية للأغنياء .

الخامس : الأغنياء ؛ وأمانتهم : أداء الحقوق التي في أموالهم ، والشكر لله عز وجل في جميع الأحوال .

من « رياض الأنس » لأبي سعيد الحسن الواعظ نفع الله به [(خ روضة الأنس للمتوكلين]) .

(١) جاء في هامش (أ) : (قال صلى الله عليه وسلم : « من اغتاب جاره المسلم .. حول الله قلبه إلى دبره يوم القيامة » ، « بركة » [١٤٠]) .

(٢) جاء في هامش (أ) : (ويقال : البريء جريء ، والخائن خائف . ويقال : من خان .. فلا كان . =

وَإِيَّاكَ وَغِيبَةَ ٱلْقُرَّاءِ ٱلْمُرَائِينَ ، وَهُوَ : بِأَنْ تُفْهِمَ ٱلْمَقْصُودَ مِنْكَ مِنْ غَيْرِ تَصْرِيحٍ فَتَقُولَ : أَصْلَحَهُ ٱللهُ وَقَدْ سَاءَنِي مَا جَرَىٰ عَلَيْهِ وَغَمَّنِي ، فَأَسْأَلُ ٱللهَ أَنْ يُصْلِحَنَا وَإِيَّاهُ .

فَإِنَّ هَـٰذَا جَمْعٌ بَيْنَ خَبِيثَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : ٱلْغِيبَةُ ، إِذْ حَصَلَ بِهِ ٱلتَّفَهُّمُ .

وَٱلْآخَرُ : تَزْكِيَةُ ٱلنَّفْسِ وَٱلثَّنَاءُ عَلَيْهَا بِٱلتَّحَرُّجِ وَٱلصَّلَاحِ .

وَلَـٰكِنْ إِنْ كَانَ مَقْصُودُكَ مِنْ قَوْلِكَ : (أَصْلَحَهُ ٱللهُ) .. ٱلدُّعَاءَ ؛ فَٱدْعُ لَهُ فِي ٱلسِّرِّ .

وَإِنِ ٱغْتَمَمْتَ بِسَبَبِهِ .. فَعَلَامَتُهُ أَنَّكَ لَا تُرِيدُ فَضِيحَتَهُ وَإِظْهَارَ عَيْبِهِ[1] .

= وفي بعض الأخبار : « إياكم والخيانة ؛ فإنها بئست البطانة » ، منه [(خ) روضة الأنس للمتوكلين]) .

(١) جاء في هامش (أ) : (وأما الرحمة على إثمه .. فذلك حسن ، =

وَفِي إِظْهَارِكَ ٱلْغَمَّ بِعَيْبِهِ .. إِظْهَارٌ لِعَيْبِهِ ، وَيَكْفِيكَ زَاجِراً عَنِ ٱلْغِيبَةِ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ .

فَقَدْ شَبَّهَكَ ٱللهُ بِآكِلِ ٱلْمَيْتَةِ ! ! فَمَا أَجْدَرَكَ أَنْ تَحْتَرِزَ مِنْهَا .

وَيَمْنَعُكَ مِنْ غِيبَةِ ٱلْمُسْلِمِينَ أَمْرٌ لَوْ تَفَكَّرْتَ فِيهِ ؛ وَهُوَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَىٰ نَفْسِكَ : هَلْ فِيكَ عَيْبٌ ظَاهِرٌ أَوْ بَاطِنٌ ، وَهَلْ

= ولٰكن حسدك إبليس فاستنطقك بما ينقل من حسناتك إليه ما هو أكثر من رحمتك له فيخرج عن كونه مرحوماً ، وتنقلب أنت مستحقاً لأن تكون مرحوماً ؛ إذ أُحبط أجرك ونقص من حسناتك .

وكذٰلك الغضب لله لا يوجب الغيبة فإنما الشيطان حبب إليك الغيبة ؛ ليحبط أجر غضبك وتصير معرَّضاً لغضب الله تعالىٰ بالغيبة .

وأما التعجب إذا أخرجك إلى الغيبة : فينبغي أن تتعجب من نفسك أنت ، كيف أهلكت دينك بدين غيرك أو بدنياه ، وأنت مع ذٰلك لا تأمن عقوبة الدنيا ؛ وهو أن يهتك الله سترك كما هتكت ستر أخيك بالتعجب . « إحياء » [٣/ ١٥٠]) .

أَنْتَ مُقَارِفٌ مَعْصِيَةً سِرّاً أَوْ جَهْراً؟

فَإِنْ عَرَفْتَ ذَٰلِكَ مِنْ نَفسِكَ .. فَٱعْلَمْ أَنَّ عَجْزَهُ عَنِ ٱلتَّنَزُّهِ عَمَّا نَسَبْتَهُ إِلَيْهِ كَعَجْزِكَ ، وَعُذْرَهُ كَعُذْرِكَ .

وَكَمَا تَكْرَهُ أَنْ تُفْضَحَ وَتُذْكَرَ عُيُوبُكَ .. فَهُوَ أَيْضاً يَكْرَهُهُ .

فَإِنْ سَتَرْتَهُ .. سَتَرَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْكَ .

وَإِنْ فَضَحْتَهُ .. سَلَّطَ ٱللهُ عَلَيْكَ أَلْسِنَةً حِدَاداً ، يُمَزِّقُونَ عِرْضَكَ فِي ٱلدُّنْيَا ، ثُمَّ يَفْضَحُكَ ٱللهُ تَعَالَىٰ فِي ٱلْآخِرَةِ عَلَىٰ رُؤُوسِ ٱلْمَلَأ(١) .

---

(١) جاء في هامش (أ) : (قال صلى الله عليه وسلم : « من اغتيب عنده أخوه المسلم ، وهو يقدر على نصره فنصره .. نصره الله في الدنيا والآخرة ، فإن لم ينصره وهو يقدر علىٰ نصره .. أدركه الله بها في الدنيا والآخرة » [خد ٧٣٤ بنحوه] .

وقال : « ما من امرئٍ يخذل امرأً مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمته ، وينتقص فيه من عرضه .. إلا خذله الله تعالىٰ في موطن يحب=

وَإِنْ نَظَرْتَ إِلَىٰ ظَاهِرِكَ وَبَاطِنِكَ فَلَمْ تَطَّلِعْ فِيهِمَا عَلَىٰ عَيْبٍ وَنَقْصٍ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا .. فَٱعْلَمْ أَنَّ جَهْلَكَ بِعُيُوبِ نَفْسِكَ أَقْبَحُ أَنْوَاعِ ٱلْحَمَاقَةِ ، وَلَا عَيْبَ أَعْظَمُ مِنَ ٱلْحُمْقِ .

وَلَوْ أَرَادَ ٱللهُ تَعَالَىٰ بِكَ خَيْراً .. لَبَصَّرَكَ بِعُيُوبِ نَفْسِكَ ، فَرُؤْيَتُكَ نَفْسَكَ بِعَيْنِ ٱلرِّضَا غَايَةُ غَبَاوَتِكَ وَمُنْتَهَىٰ جَهْلِكَ .

ثُمَّ إِنْ كُنْتَ صَادِقاً فِي ظَنِّكَ .. فَٱشْكُرِ ٱللهَ تَعَالَىٰ

= فيه نصرته ، وما من امرئ مسلم ينصر مسلماً في موضعٍ ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته .. إلا نصره الله تعالىٰ في موطن يحب فيه نصرته » [د ٤٨٥٠] .

وقال : « من رأىٰ عورة فسترها .. كان كمن أحيا موءودة » [د ٤٨٥٥] .

وقال : « من حمىٰ مؤمناً من منافق يعيبه .. بعث الله ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم ، ومن رمىٰ مسلماً بشيءٍ يريد شينه .. حبسه الله علىٰ جسر جهنم حتىٰ يخرج مما قال » [د ٤٨٤٩ ـ حم ٣/ ٤٤١] . « مصابيح » [٣/ ٣٧٢ـ٣٧٤]) .

عَلَيْهِ ، وَلَا تُفْسِدْهُ بِثَلْبِ ٱلنَّاسِ وَٱلتَّمَضْمُضِ بِأَعْرَاضِهِمْ ؛ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ أَعْظَمِ ٱلْعُيُوبِ .

ٱلرَّابِعُ : ٱلْمِرَاءُ وَٱلْجِدَالُ وَمُنَاقَشَةُ ٱلنَّاسِ فِي ٱلْكَلَامِ .

فَذَٰلِكَ فِيهِ إِيذَاءٌ لِلْمُخَاطَبِ ، وَتَجْهِيلٌ لَهُ ، وَطَعْنٌ فِيهِ ، وَفِيهِ ثَنَاءٌ عَلَى ٱلنَّفْسِ وَتَزْكِيَةٌ لَهَا بِمَزِيدِ ٱلْفِطْنَةِ وَٱلْعِلْمِ .

ثُمَّ هُوَ مُشَوِّشٌ لِلْعَيْشِ ؛ لِأَنَّكَ إِنْ مَارَيْتَ سَفِيهاً .. آذَاكَ ، وَإِنْ مَارَيْتَ حَلِيماً .. قَلَاكَ وَحَقَدَ عَلَيْكَ ؛ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ تَرَكَ ٱلْمِرَاءَ وَهُوَ مُبْطِلٌ .. بَنَى ٱللهُ لَهُ بَيْتاً فِي رَبَضِ ٱلْجَنَّةِ ، وَمَنْ تَرَكَ ٱلْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ بَنَى ٱللهُ لَهُ بَيْتاً فِي أَعْلَى ٱلْجَنَّةِ » [ق ٥١ بنحوه] .

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْدَعَكَ ٱلشَّيْطَانُ وَيَقُولَ لَكَ : أَظْهِرِ ٱلْحَقَّ وَلَا تُدَاهِنْ فِيهِ ، فَإِنَّ ٱلشَّيْطَانَ أَبَداً يَسْتَجِرُّ ٱلْحَمْقَىٰ إِلَى ٱلشَّرِّ فِي مَعْرِضِ ٱلْخَيْرِ ، فَلَا تَكُنْ ضُحْكَةً لِلشَّيْطَانِ

يَسْخَرُ بِكَ ، فَإِظْهَارُ ٱلْحَقِّ .. حَسَنٌ مَعَ مَنْ يَقْبَلُ مِنْكَ ، وَذَٰلِكَ بِطَرِيقِ ٱلنَّصِيحَةِ فِي ٱلْحَقِيقَةِ لَا بِطَرِيقِ ٱلْمُمَارَاةِ[1] .

وَلِلنَّصِيحَةِ صِيغَةٌ وَهَيْئَةٌ ، وَيُحْتَاجُ فِيهَا إِلَى ٱلتَّلَطُّفِ ، وَإِلَّا .. صَارَتْ فَضِيحَةً ، وَكَانَ فَسَادُهَا أَكْثَرَ مِنْ صَلَاحِهَا .

وَمَنْ خَالَطَ مُتَفَقِّهَةَ ٱلْعَصْرِ .. غَلَبَ عَلَىٰ طَبْعِهِ ٱلْمِرَاءُ ، وَعَسُرَ عَلَيْهِ ٱلصَّمْتُ ، إِذْ أَلْقَىٰ إِلَيْهِمُ ٱلْعُلَمَاءُ ٱلسُّوءِ أَنَّ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ، وَأَنَّ ٱلْقُدْرَةَ عَلَى ٱلْمُجَادَلَةِ وَٱلْمُنَاقَشَةِ هُوَ ٱلَّذِي يُمْتَدَحُ بِهِ ، فَفِرَّ مِنْهُمْ فِرَارَكَ مِنَ ٱلْأَسَدِ ، وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلْمِرَاءَ سَبَبُ ٱلْمَقْتِ عِنْدَ ٱللهِ وَعِنْدَ ٱلْخَلْقِ .

ٱلْخَامِسُ : تَزْكِيَةُ ٱلنَّفْسِ .

فَقَدْ قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ .

---

(١) النصيحة تكونُ واجبةً إذا غلبَ علىٰ الظنِّ قبولها ، وتكونُ جائزةً عند توهُّمِهِ .

وَقِيلَ لِبَعْضِ ٱلْحُكَمَاءِ : مَا ٱلصِّدْقُ ٱلْقَبِيحُ؟ فَقَالَ : ثَنَاءُ ٱلْمَرْءِ عَلَىٰ نَفْسِهِ[1] .

فَإِيَّاكَ أَنْ تَتَعَوَّدَ ذَٰلِكَ .

وَٱعْلَمْ : أَنَّ ذَٰلِكَ يَنْقُصُ مِنْ قَدْرِكَ عِنْدَ ٱلنَّاسِ ، وَيُوجِبُ مَقْتَكَ عِنْدَ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ ثَنَاءَكَ عَلَىٰ نَفْسِكَ لَا يَزِيدُ فِي

---

(١) جاء في هامش (أ) : (اعلم أن ذكر محاسنه ضربان : مذموم ، ومحبوب .

فالمذموم : أن يذكره للافتخار ، وإظهار الارتفاع ، والتميز على الأقران ، وشبه ذٰلك .

والمحبوب : أن يكون فيه مصلحة دينية ؛ وذٰلك بأن يكون آمراً بمعروف ، أو ناهياً عن منكر ، أو ناصحاً ، أو مشيراً بمصلحة ، أو معلماً ، أو مؤدباً ، أو واعظاً ، أو مذكراً ، أو مصلحاً بين اثنين ، أو يدفع عن نفسه شراً ، أو نحو ذٰلك ؛ فيذكر محاسنه ناوياً بذٰلك أن يكون هٰذا أقرب إلى قبول قوله ، واعتماد ما يذكره ، أو أن هٰذا الكلام الذي أقوله لا تجدونه عند غيري ؛ فاحتفظوا به ، أو نحو ذٰلك . « أذكار » [٣٥٠]) .

قَدْرِكَ عِنْدَ غَيْرِكَ .. فَٱنْظُرْ إِلَىٰ أَقْرَانِكَ إِذَا أَثْنَوْا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِٱلْفَضْلِ وَٱلْجَاهِ وَٱلْمَالِ ، كَيْفَ يَسْتَنْكِرُهُ قَلْبُكَ ، وَيَسْتَثْقِلُهُ طَبْعُكَ ، وَكَيْفَ تَذُمُّهُمْ عَلَيْهِ إِذَا فَارَقْتَهُمْ .. فَٱعْلَمْ أَنَّهُمْ أَيْضاً فِي حَالِ تَزْكِيَتِكَ نَفْسَكَ يَذُمُّونَكَ بِقُلُوبِهِمْ ، وَيُظْهِرُونَهُ[1] بِأَلْسِنَتِهِمْ إِذَا فَارَقْتَهُمْ .

ٱلسَّادِسُ : ٱللَّعْنُ .

فَإِيَّاكَ أَنْ تَلْعَنَ شَيْئاً مِمَّا خَلَقَ ٱللهُ تَعَالَىٰ مِنْ حَيَوانٍ أَوْ طَعَامٍ أَوْ إِنْسَانٍ بِعَيْنِهِ[2] ، أَوْ تَقْطَعَ شَهَادَتَكَ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ

---

(١) في (أ) : (ويستظهرونه) .

(٢) جاء في هامش (أ) : (قال صلى الله عليه وسلم : « لعن المؤمن كقتله » [خ ٦١٠٥] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا ينبغي للصِّدِّيق أن يكون لعاناً » [م ٢٥٩٧] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من لعن شيئاً ليس له بأهل .. رجعت اللعنة عليه » [ت ١٩٧٨] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « لعن المؤمن كقتله » أي : في =

أَهْلِ ٱلْقِبْلَةِ بِشِرْكٍ أَوْ كُفْرٍ أَوْ نِفَاقٍ ، فَإِنَّ ٱلْمُطَّلِعَ عَلَى ٱلسَّرَائِرِ هُوَ ٱللهُ تَعَالَىٰ ، فَلَا تَدْخُلْ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ وَبَيْنَ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَٱعْلَمْ : أَنَّكَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ لَا يُقَالُ لَكَ : لِمَ لَمْ تَلْعَنْ فُلَاناً ، أَوْ لِمَ سَكَتَّ عَنْهُ ؟!

بَلْ لَوْ لَمْ تَلْعَنْ إِبْلِيسَ طُولَ عُمْرِكَ ، وَلَمْ تَشْغَلْ لِسَانَكَ بِذِكْرِهِ .. لَمْ تُسْأَلْ عَنْهُ .

وَإِذَا لَعَنْتَ أَحَداً .. طُولِبْتَ بِهِ ، وَسُئِلْتَ عَنْهُ !!

وَلَا تَذُمَّنَّ شَيْئاً مِنْ خَلْقِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، فَقَدْ كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَذُمُّ ٱلطَّعَامَ ٱلرَّدِيءَ قَطُّ ، وَكَانَ إِذَا ٱشْتَهَىٰ شَيْئاً .. أَكَلَهُ ، وَإِلَّا .. تَرَكَهُ . [م ٢٠٦٤] .

ٱلسَّابِعُ : ٱلدُّعَاءُ عَلَى ٱلْخَلْقِ .

= الإثم ؛ هـٰذا هو الأظهر كما ذكره في « شرح مسلم » [١٦/١٤٩]) .

ٱحْفَظْ لِسَانَكَ عَنِ ٱلدُّعَاءِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ؛ وَإِنْ ظَلَمَكَ[1] ، وَكِلْ أَمْرَهُ إِلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ ؛ فَفِي ٱلْحَدِيثِ : « إِنَّ ٱلْمَظْلُومَ لَيَدْعُو عَلَىٰ ظَالِمِهِ حَتَّىٰ يُكَافِئَهُ ، ثُمَّ يَبْقَىٰ لِلظَّالِمِ فَضْلٌ عِنْدَهُ يُطَالِبُهُ بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ » .

وَطَوَّلَ بَعْضُ ٱلنَّاسِ لِسَانَهُ فِي ٱلْحَجَّاجِ .. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ ٱلسَّلَفِ : (إِنَّ ٱللهَ لَيَنْتَقِمُ لِلْحَجَّاجِ مِمَّنْ تَعَرَّضَ لَهُ بِلِسَانِهِ ، كَمَا يَنْتَقِمُ مِنَ ٱلْحَجَّاجِ لِمَنْ ظَلَمَهُ) .

---

(١) جاء في هامش (أ) : (ويجوز الدعاء علىٰ من ظلمه ، أو ظَلَم غيره .

قال النووي : وعلىٰ من خالف الحكم الشرعي .

قلت : وترك الدعاء علىٰ من ظلمه أولىٰ ؛ قال صلى الله عليه وسلم : « من دعا علىٰ من ظلمه . . فقد انتصر » [فتح ٢/ ٢٤١] .

قلت : وشبيهٌ باللعن . . قولك : « قاتله الله » ، ونحوه .

ومن هـٰذا الفن : الدعاء على النفس والأهل والمال ؛ إذا خرج الدعاء من جِدٍّ ، فأما إذا سبق على اللسان من غير قلب . . فالرجوىٰ أنه من اللغو الذي لا يؤاخذ الله به . « بركة » معنىً) .

ٱلثَّـامِـنُ : ٱلْمِـزَاحُ[1] ، وَٱلسُّخْـرِيَـةُ ، وَٱلِٱسْتِهْـزَاءُ بِٱلنَّاسِ[2] .

---

(١) جاء في هامش (أ) : (المزح وأصله منهي عنه إلا قدراً يسيراً فيستثنىٰ منه . « إحياء » [٣/ ١٢٧]) .

وجاء في هامش (أ) أيضاً : (الذي فيه إفراط ويداوم عليه حتىٰ يورث الضحك والقسوة ، وقد يُؤَدِّكَ إلى الإيذاء والحقد ويسقط المهابة والوقار .

ولا بأس باليسير منه في بعض الأوقات سيما في السفر ، ومع النساء والصبيان ؛ تطييباً لقلوبهم ؛ فذٰلك سنة فعله النبي صلى الله عليه وسلم . « بركة » ملخصاً [ص ١٣٣ـ١٣٤]) .

(٢) جاء في هامش (أ) : (وهـٰذا محرم ما كان مؤذياً ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ﴾ الآية .

ومعنى السخرية : الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص علىٰ وجه الضحك منه ، وقد يكون ذٰلك بالمحاكاة في الفعل والقول ، وقد يكون بالإشارة والإيماء .

وإذا كان بحضرة المستهزَأ به . . لم يسمَّ ذٰلك غيبة ، وفيه معنى الغيبة .

وقال ابن عباس في قوله تعالىٰ : ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ ؛ الصغيرة : التبسم بالاستهزاء بالمؤمن ، =

فَٱحْفَظْ لِسَانَكَ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ يُرِيْقُ مَاءَ ٱلْوَجْهِ ، وَيُسْقِطُ ٱلْمَهَابَةَ ، وَيَسْتَجِرُّ ٱلْوَحْشَةَ ، وَيُؤْذِي ٱلْقُلُوبَ .

وَهُوَ مَبْدَأُ ٱللَّجَاجِ وَٱلتَّصَارُمِ ، وَمَغْرِسُ ٱلْحِقْدِ فِي ٱلْقُلُوبِ ، فَلَا تُمَازِحْ أَحَداً .

وَإِنْ مَازَحَكَ غَيْرُكَ .. فَلَا تُجِبْهُ ، وَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيْثٍ غَيْرِهِ .

وَكُنْ مِنَ ٱلَّذِينَ إِذَا مَرُّوا بِٱللَّغْوِ .. مَرُّوا كِرَاماً (١) .

= والكبيرة : القهقهة بذلك .

وهٰذا فيه الإشارة إلىٰ أن الضحك على الناس من الجرائم والذنوب . « إحياء » [٣/ ١٣١]) .

(١) جاء في هامش (أ) : (وقال عمر رضي الله عنه : « من كثر مزحه .. قلت هيبته ، ومن مزح .. استخف به ، ومن أكثر من شيء .. عُرف به ، ومن كثر كلامه .. كثر سقطه ، ومن كثر سقطه .. قلَّ حياؤه ، ومن قلَّ حياؤه .. قلَّ ورعُه ، ومن قلَّ ورعه .. مات قلبه » ؛ لأن الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لو تعلمون ما أعلم .. لبكيتم =

فَهَـٰذِهِ مَجَامِعُ آفَاتِ ٱللِّسَانِ ، وَلَا يُعِينُكَ عَلَيْهَا إِلَّا ٱلْعُزْلَةُ ، أَوْ مُلَازَمَةُ ٱلصَّمْتِ إِلَّا بِقَدْرِ ٱلضَّرُورَةِ ؛ فَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ يَضَعُ حَجَراً فِي فِيهِ يَمْنَعُهُ مِنَ ٱلْكَلَامِ لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ ، وَيُشِيرُ إِلَىٰ لِسَانِهِ وَيَقُولُ : (هَـٰذَا ٱلَّذِي أَوْرَدَنِي ٱلْمَوَارِدَ) [ط ١٨٥٥] .

فَٱحْتَرِزْ مِنْهُ غَايَةَ جَهْدِكَ ، فَإِنَّهُ أَقْوَىٰ أَسْبَابِ هَلَاكِكَ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ .

* * *

وَأَمَّا ٱلبَطْنُ : فَٱحْفَظْهُ عَنْ تَنَاوُلِ ٱلْحَرَامِ وَٱلشُّبْهَةِ ، وَٱحْرِصْ عَلَىٰ طَلَبِ ٱلْحَلَالِ .

فَإِذَا وَجَدْتَهُ .. فَٱحْرِصْ عَلَىٰ أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَىٰ مَا دُونَ ٱلشِّبَعِ ، فَإِنَّ ٱلشِّبَعَ يُقَسِّي ٱلْقَلْبَ وَيُفْسِدُ ٱلذِّهْنَ ، وَيُبْطِلُ

= كثيراً ، ولضحكتم قليلاً » [خ ٦٦٣١] . « إحياء » [١٢٨/٣]) .

ٱلْحِفْظَ ، وَيُثَقِّلُ ٱلْأَعْضَاءَ عَنِ ٱلْعِبَادَةِ وَٱلْعِلْمِ ، وَيُقَوِّي ٱلشَّهَوَاتِ ، وَيَنْصُرُ جُنُودَ ٱلشَّيْطَانِ ، وَٱلشِّبَعُ مِنْ ٱلْحَلَالِ مَبْدَأُ كُلِّ شَرٍّ ، **فَكَيْفَ مِنَ ٱلْحَرَامِ؟!**

وَطَلَبُ ٱلْحَلَالِ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ ، وَٱلْعِبَادَةُ وَٱلْعِلْمُ مَعَ أَكْلِ ٱلْحَرَامِ كَٱلْبِنَاءِ عَلَى ٱلسِّرْجِينِ - وَهُوَ ٱلزِّبْلُ(١) .

فَإِذَا قَنِعْتَ فِي ٱلسَّنَةِ بِقَمِيصٍ خَشِنٍ، وَفِي ٱلْيَوْمِ بِرَغِيفَيْنِ مِنَ ٱلْخُشْكَارِ(٢)، وَتَرَكْتَ ٱلتَّلَذُّذَ بِأَطَايِبِ ٱلْأُدُمِ(٣) .. لَمْ

---

(١) **الزِّبْل** : الروث . والمراد : البناء على النجس الذي لا تصح العبادة معه .

(٢) **ٱلخشكار** - كلمة فارسية معربة - وهي : دقيق لم تفصل عنه النخالة .

(٣) جاء في هامش (أ) : ([عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كان يأتي علينا الشهر ما نوقد] فيه ناراً ؛ إنما هو التمر والماء ، إلا أن يؤتىٰ باللَّحم . وقالت : ما شبع آل محمد من خبز بر إلا وأحدهما تمر . وقالت : ما شبع آل محمدٍ من خبز الشَّعير يومَينِ متتابعين حتىٰ =

يُعْوِزْكَ مِنَ ٱلْحَلَالِ مَا يَكْفِيكَ ، فَٱلْحَلَالُ كَثِيرٌ(١) .

= قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما شبعنا من الأسودين .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : خرج النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم من الدُّنيا وما شبع من خبز الشَّعير .

وقال النُّعمان بن بشير : ألستم في طعامٍ وشرابٍ ما شئتم؟! لقد رأيت نبيَّكم صلى الله عليه وسلم وما يجد من الدَّقل ما يملأ بطنه .

وعن أم هانىء رضي الله عنها قالت : دخل النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم فقال : « أعندكِ شيء؟ » قالت : لا ، إلا خبز يابس وخلّ ، فقال : « هاتي ، ما أقفر بيتٌ من أدمٍ فيه خلٌّ » [ت ١٨٤٢] .

وعن يوسف بن عبد الله بن سلام قال : رأيت النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم أخذ كسرةً من خبز الشَّعير فوضع عليها تمرةً وقال : « هـٰذه إدامُ هـٰذه » ، وأكَلَ . [د ٨٠] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وددت أن عندي خبزة بيضاء ، من بُرَّةٍ سمراءَ ، مُلَبَّقَةً بسمنٍ ولبنٍ » ، فقام رجل من القوم فاتخذه ، فجاء به ، فقال : « في أيِّ شيءٍ كان هـٰذا السَّمن؟ » ، قال : في عكَّةِ ضبٍّ ، قال : « ارفعه » [د ٢٨١٤] . « مصابيح » ملخصاً [٣/ ١٥٥ـ١٦٧]) .

(١) جاء في هامش (أ) : (وإنَّ الأرض لا تخلو من الحلال ؛ لأن الله تعالىٰ لم يطالبِ الخلق إلا بما يمكن حصولُه ، إلاّ أنَّه يكثُر في مواضعَ ، ويقلُّ في مواضعَ ، فمن كان ظاهره جميلاً .. فلا يُتَّهم في ماله =

وَلَيْسَ عَلَيْكَ أَنْ تَتَيَقَّنَ بَاطِنَ ٱلْأُمُورِ ، بَلْ عَلَيْكَ أَنْ تَحْتَرِزَ مِمَّا تَعْلَمُ أَنَّهُ حَرَامٌ ، أَوْ تَظُنُّ أَنَّهُ حَرَامٌ ظَنّاً(١) ، مَعَ مَا حَصَلَ مِنْ عَلَامَةٍ نَاجِزَةٍ لِعِلَّةٍ مَقْرُونَةٍ بِٱلْمَالِ .

فَأَمَّا ٱلْمَعْلُومُ : فَظَاهِرٌ .

وَأَمَّا ٱلْمَظْنُونُ بِعَلَامَةٍ : فَهُوَ مَالُ ٱلسُّلْطَانِ وَعُمَّالِهِ ، وَمَالُ مَنْ لَا كَسْبَ لَهُ إِلَّا مِنَ ٱلنِّيَاحَةِ أَوْ بَيْعِ ٱلْخَمْرِ أَوِ ٱلرِّبَا أَوِ ٱلْمَزَامِيرِ ، حَتَّىٰ عَلِمْتَ أَنَّ أَكْثَرَ مَالِهِ حَرَامٌ قَطْعاً فَمَا

= ومكسبه . ذكره السُّهْرُوَردي نفع الله به) .

(١) جاء في هامش (أ) : (قال السَّيد السَّمهوديُّ في « فتاويه » : المنقول في المذهب : كراهة الأكل من يد المتلطِّخ بالحرام ، ومجرّد الكراهة لا يقتضي المؤاخذة في الآخرة مع عدم العلم ودلالة اليد على الملك ، وقد استدلَّ في « شرح المهذَّب » وغيره بدلالة اليد على الملك كما نقله الأصحاب من أنَّ من أكثر ماله الحرام إذا لم نتحقق أنَّ ما باعه من الحرام .. لا تحرم مبايعته ؛ لإمكان الحلال وعدم دليل ، ولكن يكره خوفاً من الوقوع في الحرام . « فتاوى ابن زياد » . نفع الله به [بغية ١٢٦ـ١٢٧]) .

تَأْخُذُهُ مِنْ يَدِهِ ، وَإِنْ أَمْكَنَ أَنْ يَكُونَ حَلاَلاً نَادِراً .. فَهُوَ حَرَامٌ ؛ لِأَنَّهُ ٱلْغَالِبُ عَلَى ٱلظَّنِّ .

وَمِنَ ٱلْحَرَامِ ٱلْمَحْضِ : مَا يُؤْكَلُ مِنَ ٱلْأَوْقَافِ مِنْ غَيْرِ شَرْطِ ٱلْوَاقِفِ ، فَمَنْ لَمْ يَشْتَغِلْ بِٱلتَّفَقُّهِ .. فَمَا يَأْخُذُهُ مِنَ ٱلْمَدَارِسِ حَرَامٌ ، وَمَنِ ٱرْتَكَبَ مَعْصِيَةً تُرَدُّ بِهَا ٱلشَّهَادَةُ .. فَمَا يَأْخُذُهُ بِٱسْمِ ٱلصُّوفِيَّةِ مِنْ وَقْفٍ أَوْ غَيْرِهِ حَرَامٌ .

وَقَدْ ذَكَرْنَا مَدَاخِلَ ٱلشُّبُهَاتِ وَٱلْحَلاَلِ وَٱلْحَرَامِ فِي كِتَابٍ مُفْرَدٍ مِنْ كُتُبِ « إِحْيَاءِ عُلُومِ ٱلدِّينِ » ، فَعَلَيْكَ بِطَلَبِهِ ؛ فَإِنَّ مَعْرِفَةَ ٱلْحَلاَلِ وَطَلَبَهُ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ كَٱلصَّلَوَاتِ ٱلْخَمْسِ .

❊ ❊ ❊

وَأَمَّا ٱلْفَرْجُ : فَٱحْفَظْهُ عَنْ كُلِّ مَا حَرَّمَ ٱللهُ تَعَالَىٰ ، وَكُنْ كَمَا قَالَ ٱللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ

حَافِظُونَ ۞ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ .

وَلَا تَصِلُ إِلَىٰ حِفْظِ ٱلْفَرْجِ إِلَّا بِحِفْظِ ٱلْعَيْنِ عَنِ ٱلنَّظَرِ ، وَحِفْظِ ٱلْقَلْبِ عَنِ ٱلْفِكْرِ ، وَحِفْظِ ٱلْبَطْنِ عَنِ ٱلشُّبْهَةِ وَعَنِ ٱلشِّبَعِ ، فَإِنَّ هَـٰذِهِ مُحَرِّكَاتُ ٱلشَّهْوَةِ وَمَغَارِسُهَا .

* * *

وَأَمَّا ٱلْيَدَانِ : فَٱحْفَظْهُمَا عَنْ أَنْ تَضْرِبَ بِهِمَا مُسْلِماً ، أَوْ تَتَنَاوَلَ بِهِمَا مَالاً حَرَاماً ، أَوْ تُؤْذِيَ بِهِمَا أَحَداً مِنْ خَلْقِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، أَوْ تَخُونَ بِهِمَا مُسْلِماً فِي أَمَانَةٍ أَوْ وَدِيعَةٍ ، أَوْ تَكْتُبَ بِهِمَا مَا لَا يَجُوزُ ٱلنُّطْقُ بِهِ ؛ فَإِنَّ ٱلْقَلَمَ أَحَدُ ٱللِّسَانَيْنِ ، فَٱحْفَظِ ٱلْقَلَمَ عَمَّا يَجِبُ حِفْظُ ٱللِّسَانِ عَنْهُ .

* * *

وَأَمَّا ٱلرِّجْلَانِ : فَٱحفَظْهُمَا عَنْ أَنْ تَمْشِيَ بِهِمَا إِلَىٰ حَرَامٍ ، أَوْ تَسْعَىٰ بِهِمَا إِلَىٰ بَابِ سُلْطَانٍ ظَالِمٍ ، فَٱلْمَشْيُ إِلَى ٱلسَّلَاطِينِ ٱلظَّلَمَةِ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ وَإِرْهَاقٍ[١] .. مَعْصِيَةٌ ، فَإِنَّهُ تَوَاضُعٌ وَإِكْرَامٌ لَهُمْ ، وَقَدْ أَمَرَ ٱللهُ تَعَالَىٰ بِٱلْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ[٢] .

وَهُوَ تَكْثِيرٌ لِسَوَادِهِمْ ، وَإِعَانَةٌ لَهُمْ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ، فَإِنْ كَانَ ذَٰلِكَ سَبَباً لِطَلَبِ أَمْوَالِهِمْ .. فَهُوَ سَعْيٌ إِلَىٰ حَرَامٍ ، وَقَدْ قَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ تَوَاضَعَ لِغَنِيٍّ صَالِحٍ لِغِنَاهُ .. ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ » [هب ١٠٠٤٣] .

وَهَٰذَا فِي غَنِيٍّ صَالِحٍ ، فَمَا ظَنُّكَ بِٱلْغَنِيِّ ٱلظَّالِمِ؟!

---

(١) إرهاق : أي ضرورة لزمته وحملته علىٰ غشيان السلاطين الظلمة أو نوابهم .

(٢) في مثل قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا ﴾ .

وَعَلَى ٱلْجُمْلَةِ : فَحَرَكَاتُكَ وَسَكَنَاتُكَ بِأَعْضَائِكَ نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ ٱللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْكَ ، فَلَا تُحَرِّكْ شَيْئاً مِنْهَا فِي مَعْصِيَةِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَصْلاً ، وَٱسْتَعْمِلْهَا فِي طَاعَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ .

وَٱعْلَمْ : أَنَّكَ إِنْ قَصَّرْتَ .. فَإِلَيْكَ يَرْجِعُ وَبَالُهُ ، وَإِنْ شَمَّرْتَ .. فَإِلَيْكَ تَعُودُ ثَمَرَتُهُ ، وَٱللهُ غَنِيٌّ عَنْكَ وَعَنْ عَمَلِكَ ، وَإِنَّمَا كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ .

وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ : إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ كَرِيمٌ رَحِيمٌ يَغْفِرُ ذُنُوبَ ٱلْعُصَاةِ ، فَإِنَّ هَـٰذِهِ كَلِمَةُ حَقٍّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ ، وَصَاحِبُهَا مُلَقَّبٌ بِٱلْحَمَاقَةِ بِتَلْقِيبِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ : « ٱلْكَيِّسُ : مَنْ دَانَ نَفْسَهُ ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ ٱلْمَوْتِ . وَٱلْأَحْمَقُ : مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، وَتَمَنَّىٰ عَلَى ٱللهِ ٱلْأَمَانِيَّ » [ت ٢٤٥٩] .

وَٱعْلَمْ : أَنَّ قَوْلَكَ هَـٰذَا يُضَاهِي قَوْلَ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَصِيرَ

فَقِيهاً فِي عُلُومِ ٱلدِّينِ وَٱشْتَغَلَ بِٱلْبَطَالَةِ وَقَالَ : (إِنَّ ٱللهَ كَرِيمٌ رَحِيمٌ ، قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُفِيضَ عَلَىٰ قَلْبِي مِنَ ٱلْعُلُومِ مَا أَفَاضَهُ عَلَىٰ قُلُوبِ أَنْبِيَائِهِ مِنْ غَيْرِ جُهْدٍ وَتَكْرَارٍ وَتَعْلِيقٍ) ، فَهُوَ كَقَوْلِ مَنْ يُرِيدُ مَالاً ؛ وَتَرَكَ ٱلْحِرَاثَةَ وَٱلتِّجَارَةَ وَٱلْكَسْبَ وَتَعَطَّلَ وَقَالَ : (إِنَّ ٱللهَ كَرِيمٌ ، وَلَهُ خَزَائِنُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُطْلِعَنِي عَلَىٰ كَنْزٍ مِنَ ٱلْكُنُوزِ فَأَسْتَغْنِيَ بِهِ عَنِ ٱلْكَسْبِ ؛ فَقَدْ فَعَلَ ذَٰلِكَ بِبَعْضِ عِبَادِهِ) .

فَأَنْتَ إِذَا سَمِعْتَ كَلَامَ هَـٰذَيْنِ ٱلرَّجُلَيْنِ ٱسْتَحْمَقْتَهُمَا ، وَسَخِرْتَ مِنْهُمَا ، وَإِنْ كَانَ مَا وَصَفَاهُ مِنْ كَرَمِ ٱللهِ وَقُدْرَتِهِ حَقّاً وَصِدْقاً ، فَكَذَٰلِكَ يَضْحَكُ عَلَيْكَ أَرْبَابُ ٱلْبَصَائِرِ فِي ٱلدِّينِ إِذَا طَلَبْتَ ٱلْمَغْفِرَةَ مِنْ غَيْرِ سَعْيٍ لَهَا .

وَٱللهُ تَعَالَىٰ يَقُولُ لَكَ : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ .

وَيقُولُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

وَيقُولُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ .

وَإِذَا لَمْ يَتْرُكِ ٱلْإِنْسَانُ ٱلسَّعْيَ فِي طَلَبِ ٱلْعِلْمِ وَٱلْمَالِ ٱعْتِمَاداً عَلَىٰ كَرَمِهِ عَزَّ وَجَلَّ .. فَكَذَٰلِكَ لَا يَتْرُكُ ٱلتَّزَوُّدَ لِلْآخِرَةِ ، وَلَا تَغْتَرَّ فَإِنَّ رَبَّ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَاحِدٌ ، وَهُوَ فِيهِمَا كَرِيمٌ رَحِيمٌ ، وَلَيْسَ يَزِيدُ لَهُ كَرَمٌ بِمُؤْنِكَ ، وَإِنَّمَا كَرَمُهُ أَنْ يُسَهِّلَ عَلَيْكَ طَرِيقَ ٱلْوُصُولِ إِلَى ٱلْمُلْكِ ٱلْمُقِيمِ ، ٱلْمُخَلَّدِ بِٱلصَّبْرِ عَلَىٰ تَرْكِ ٱلشَّهَوَاتِ أَيَّاماً قَلَائِلَ ، وَهَٰذَا نِهَايَةُ ٱلْكَرَمِ ، فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِهَوْسَاتِ ٱلْبَطَّالِينَ ، وَٱقْتَدِ بِأُولِي ٱلْحَزْمِ وَٱلنُّهَىٰ مِنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلصَّالِحِينَ ، وَلَا تَطْمَعْ فِي أَنْ تَحْصُدَ مَا لَمْ تَزْرَعْ ، وَلَيْتَ مَنْ صَلَّىٰ وَصَامَ وَجَاهَدَ وَٱتَّقَىٰ .. غُفِرَ لَهُ .

وَهَٰذِهِ جُمَلُ مَا يَنْبَغِي أَنْ تَحْفَظَ عَنْهُ جَوَارِحَكَ

ٱلظَّاهِرَةَ ، وَأَعْمَالُ هَـٰذِهِ ٱلْجَوَارِحِ إِنَّمَا تَتَرَشَّحُ مِنْ صِفَاتِ ٱلْقَلْبِ[1] .

---

(١) جاء في هامش (أ) : (فإن قلت : فأين الغلط في قول العصاة والفجار : « إن الله كريم وإنا نرجو رحمته ومغفرته ، وقد قال : أنا عند ظن عبد بي . . فليظن بي خيراً » فما هـٰذا إلا كلام صحيح مقبول الظاهر في القلوب؟ . . فاعلم أن الشيطان لا يغوي الإنسان إلا بكلام مقبول الظاهر ، مردود الباطن ، ولولا حسن ظاهره . . لما انخدعت به القلوب ، ولـٰكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف فقال : « الكيس : من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنَّىٰ على الله » [حم ٤/ ١٢٤] .

وهـٰذا هو التمني على الله تعالىٰ ، غيَّر الشيطان اسمه فسماه : « رجاء » ، ثم خدع به الجهال .

وقد قال الله تعالىٰ في شرح الرجاء : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ يعني : أن الرجاء بهم يليق ، وهـٰذا لأنه دليل علىٰ أن ثواب الآخرة أجر وجزاء على الأعمال ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ .

قيل للحسن : قوم يقولون : نرجو الله ، ويضيعون العمل؟ فقال : هيهات هيهات ؛ تلك أمانيهم يترجحون فيها ، من رجا شيئاً . . =

فَإِنْ أَرَدْتَ حِفْظَ ٱلْجَوَارِحِ .. فَعَلَيْكَ بِتَطْهِيرِ ٱلْقَلْبِ ، فَهُوَ ٱلتَّقْوَىٰ ٱلْبَاطِنُ .

وَٱلْقَلْبُ هُوَ ٱلْمُضْغَةُ ٱلَّتِي إِذَا صَلَحَتْ .. صَلَحَ بِهَا سَائِرُ ٱلْجَسَدِ ، وَإِذَا فَسَدَتْ .. فَسَدَ بِهَا سَائِرُ ٱلْجَسَدِ ؛ فَٱشْتَغِلْ بِإِصْلَاحِهِ لِتُصْلِحَ بِهِ جَوَارِحَكَ .

= طلبه ، ومن خاف شيئاً . . هرب منه .

وكما أن الذي يرجو في الدنيا ولداً ، وهو بعد لم ينكح .. فهو معتوه ، فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن ، أو آمن ولم يعمل صالحاً ، أو عمل ولم يترك المعاصي .. فهو مغرور ، فكما أنه إذا نكح وجامع وأنزل بقي متردداً بين الخوف والرجاء في الولد ؛ يخاف ويرجو فضل الله في خلق الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن الأم إلىٰ أن يتم .. فهو كيِّس ، فكذٰلك إذا آمن وعمل الصالحات ، وترك السيئات ، وبقي متردداً بين الخوف والرجاء ؛ يخاف أن لا يقبل منه ، ولا يدوم عليه ، وأن يختم له بالسوء ، ويرجو من فضل الله تعالىٰ أن يثبته بالقول الثابت ، ويحفظ دينه من صواعق سكرات الموت حتىٰ يموت على التوحيد ، ويحرس قلبه عن الميل إلى الشهوات بقية عمره حتىٰ لا يميل إلى المعاصي .. فهو كيِّس ، وما عدا هـٰؤلاء .. فهم المغرورون .
« إحياء » ملخصاً [٣/ ٣٨٥]) .

ٱلقَوْلُ فِي مَعَاصِي ٱلقَلْبِ

ٱعْلَمْ : أَنَّ ٱلصِّفَاتِ ٱلْمَذْمُومَةَ فِي ٱلْقَلْبِ كَثِيرَةٌ ، وَطَرِيقُ تَطْهِيرِ ٱلْقَلْبِ مِنْ رَذَائِلِهَا طَوِيلَةٌ ، وَسَبِيلُ ٱلْعِلَاجِ فِيهَا غَامِضٌ ، وَقَدِ ٱنْدَرَسَ بِٱلْكُلِّيَّةِ عِلْمُهُ وَعَمَلُهُ لِغَفْلَةِ ٱلْخَلْقِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَٱشْتِغَالِهِمْ بِزَخَارِفِ ٱلدُّنْيَا .

وَقَدِ ٱسْتَقْصَيْنَا ذَٰلِكَ فِي كِتَابِ « إِحْيَاءِ عُلُومِ ٱلدِّينِ » فِي (رُبْعِ ٱلْمُهْلِكَاتِ) وَ(رُبْعِ ٱلْمُنْجِيَاتِ) .

وَلَـٰكِنَّا نُحَذِّرُكَ ٱلْآنَ ثَلَاثاً مِنْ خَبَائِثِ ٱلْقَلْبِ هِيَ ٱلْغَالِبَةُ عَلَىٰ مُتَفَقِّهَةِ ٱلْعَصْرِ ؛ لِتَأْخُذَ حِذْرَكَ مِنْهَا ، فَإِنَّهَا مُهْلِكَاتٌ فِي أَنْفُسِهَا ، وَهِيَ أُمَّهَاتٌ لِجُمْلَةٍ مِنَ ٱلْخَبَائِثِ سِوَاهَا ، وَهِيَ : (ٱلْحَسَدُ ، وَٱلرِّيَاءُ ، وَٱلْعُجْبُ) .

فَٱجْتَهِدْ فِي تَطْهِيرِ قَلْبِكَ مِنْهَا ، فَإِنْ قَدَرْتَ عَلَيْهَا .. فَتَعَلَّمْ كَيْفِيَّةَ ٱلْحَذَرِ مِنْ بَقِيَّتِهَا مِنْ (رُبْعِ ٱلْمُهْلِكَاتِ) ، فَإِنْ عَجَزْتَ عَنْ هَـٰذِهِ .. فَأَنْتَ عَنْ غَيْرِهَا أَعْجَزُ .

وَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّهُ تَسْلَمُ لَكَ نِيَّةٌ صَالِحَةٌ فِي تَعَلُّمِ ٱلْعِلْمِ وَفِي قَلْبِكَ شَيْءٌ مِنَ ٱلْحَسَدِ وَٱلرِّيَاءِ وَٱلْعُجْبِ ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ : شُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ ٱلْمَرْءِ بِنَفْسِهِ » [طس ٥٤٤٨] .

أَمَّا ٱلْحَسَدُ : فَهُوَ مُتَشَعِّبٌ مِنَ ٱلشُّحِّ ، فَإِنَّ ٱلْبَخِيلَ هُوَ ٱلَّذِي يَبْخَلُ بِمَا فِي يَدِهِ عَلَىٰ غَيْرِهِ ، وَٱلَّذِي يَبْخَلُ بِنِعْمَةِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ وَهِيَ فِي خِزَانَةِ قُدْرَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ لَا فِي خِزَانَتِهِ عَلَىٰ عِبَادِ ٱللهِ تَعَالَىٰ .. فَشُحُّهُ أَعْظَمُ .

وَٱلْحَسُودُ : هُوَ ٱلَّذِي يَشُقُّ عَلَيْهِ إِنْعَامُ ٱللهِ سُبْحَانَهُ مِنْ خِزَانَةِ قُدْرَتِهِ عَلَىٰ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ بِمَالٍ أَوْ عِلْمٍ أَوْ مَحَبَّةٍ فِي قُلُوبِ ٱلنَّاسِ ، أَوْ حَظٍّ مِنَ ٱلْحُظُوظِ ، حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيُحِبُّ

زَوَالَهَا عَنْهُ ، وَإِنْ لَمْ تَحْصُلْ لَهُ .. فَهَـٰذَا مُنْتَهَى ٱلْخُبْثِ ، وَلِـذَٰلِـكَ قَـالَ صَلَّـى ٱللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّـمَ : « ٱلْحَسَـدُ يَـأْكُـلُ ٱلْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ ٱلنَّارُ ٱلْحَطَبَ » [ق ٤٢١٠] .

وَٱلْحَسُودُ : هُوَ ٱلْمُعَذَّبُ ٱلَّذِي لَا يُرْحَمُ ، وَلَا يَزَالُ فِي عَذَابٍ دَائِمٍ ، فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا لَا تَخْلُو قَطُّ عَنْ خَلْقٍ كَثِيرٍ مِنْ أَقْرَانِهِ وَمَعَارِفِهِ مِمَّنْ أَنْعَمَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ أَوْ مَالٍ أَوْ جَاهٍ ، فَلَا يَزَالُ فِي عَذَابٍ دَائِمٍ فِي ٱلدُّنْيَا إِلَىٰ مَوْتِهِ ، وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَكْبَرُ .

بَلْ لَا يَصِلُ ٱلْعَبْدُ إِلَىٰ حَقِيقَةِ ٱلْإِيمَانِ مَا لَمْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ وَلِسَائِرِ ٱلْمُسْلِمِينَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ .

بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يُسَاهِمَ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي ٱلسَّرَّاءِ وَٱلضَّرَّاءِ .

وَٱلْمُسْلِمُونَ كَٱلْبُنْيَانِ ٱلْوَاحِدِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً ، وَكَٱلْجَسَدِ ٱلْوَاحِدِ إِذَا ٱشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ .. ٱشْتَكَىٰ سَائِرُ ٱلْجَسَدِ .

فَإِنْ كُنْتَ لَا تُصَادِفُ هَـٰذَا مِنْ قَلْبِكَ .. فَٱشْتِغَالُكَ بِطَلَبِ ٱلْمَخْلَصِ عَنِ ٱلْهَلَاكِ أَهَمُّ مِنِ ٱشْتِغَالِكَ بِنَوَادِرِ ٱلْفُرُوعِ وَعِلْمِ ٱلْخُصُومَاتِ .

وَأَمَّا ٱلرِّيَاءُ : فَهُوَ ٱلشِّرْكُ ٱلْخَفِيُّ ، وَهُوَ أَحَدُ ٱلشِّرْكَيْنِ ، وَذَٰلِكَ طَلَبُكَ ٱلْمَنْزِلَةَ فِي قُلُوبِ ٱلنَّاسِ لِتَنَالَ بِهِ ٱلْجَاهَ وَٱلْحِشْمَةَ ، وَحُبُّ ٱلْجَاهِ مِنَ ٱلْهَوَى ٱلْمُتَّبَعِ ٱلْمُهْلِكِ ، وَفِيهِ هَلَكَ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ ، فَمَا أَهْلَكَ ٱلنَّاسَ إِلَّا ٱلنَّاسُ .

وَلَوْ أَنْصَفَ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ .. لَعَلِمُوا أَنَّ أَكْثَرَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ ٱلْعُلُومِ وَٱلْعِبَادَاتِ فَضْلاً عَنْ أَعْمَالِ ٱلْعَادَاتِ .. لَيْسَ يَحْمِلُهُمْ عَلَيْهَا إِلَّا مُرَاعَاةُ ٱلنَّاسِ ، وَهِيَ مُحْبِطَاتُ ٱلْأَعْمَالِ ، حَتَّىٰ وَرَدَ فِي ٱلْأَخْبَارِ : « إِنَّ ٱلشَّهِيدَ يُؤْمَرُ بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِلَى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ٱسْتُشْهِدْتُ فِي سَبِيلِكَ ، فَيَقُولُ : أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ : إِنَّكَ شُجَاعٌ ، وَقَدْ قِيلَ

ذَٰلِكَ ، وَذَٰلِكَ أَجْرُكَ » [م ١٩٠٥] .

وَكَذَٰلِكَ يُقَالُ لِلْعَالِمِ وَٱلْحَاجِّ وَٱلْغَازِي وَٱلْقَارِئ .

وَأَمَّا ٱلْعُجْبُ وَٱلْكِبْرُ وَٱلْفَخْرُ : فَهُوَ ٱلدَّاءُ ٱلْعُضَالُ ، وَهُوَ نَظَرُ ٱلْعَبْدِ إِلَىٰ نَفْسِهِ بِعَيْنِ ٱلْعِزِّ وَٱلِٱسْتِعْظَامِ وَنَظَرُهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ بِعَيْنِ ٱلذُّلِّ وَٱلِٱسْتِحْقَارِ(١) .

وَنَتِيجَتُهُ عَلَى ٱللِّسَانِ أَنْ يَقُولَ : (أَنَا وَأَنَا) ، كَمَا قَالَ إِبْلِيسُ ٱللَّعِينُ : ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ .

---

(١) جاء في هامش (أ) : (روي عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَينتهينَّ أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا ، وإنما هم فحم من جهنم ، أو ليكوننَّ أهون على الله من الجُعَل الذي يُدَهْدِهُ الخُرء بأنفه ، إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء ، إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي ، الناس كلهم بنوا آدم ، وآدم من تراب » [ت ٣٩٥٥ بنحوه] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الحسب : المال ، والكرم : التقوىٰ » [ت ٣٢٧١] . « مصابيح » [٣/ ٣٤١-٣٤٢]) .

وَثَمَرَتُهُ فِي ٱلْمَجَالِسِ : ٱلتَّرَفُّعُ وَٱلتَّقَدُّمُ ، وَطَلَبُ ٱلتَّصَدُّرِ فِي ٱلْمَحَافِلِ .

وَفِي ٱلْمُحَاوَرَةِ : ٱلِٱسْتِنْكَافُ مِنْ أَنْ يُرَدَّ كَلَامُهُ عَلَيْهِ .

وَٱلْمُتَكَبِّرُ : هُوَ ٱلَّذِي إِذَا وُعِظَ أَنِفَ ، وَإِذَا وَعَظَ عَنَّفَ ، وَكُلُّ مَنْ يَرَىٰ نَفْسَهُ خَيْراً مِنْ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ .. فَهُوَ مُتَكَبِّرٌ ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ ٱلْخَيِّرَ مَنْ هُوَ خَيِّرٌ عِنْدَ ٱللهِ تَعَالَىٰ فِي ٱلدَّارِ ٱلْآخِرَةِ وَذَٰلِكَ غَيْبٌ ، وَهُوَ مَوْقُوفٌ عَلَى ٱلْخَاتِمَةِ .

وَٱعْتِقَادُكَ فِي نَفْسِكَ أَنَّكَ خَيْرٌ مِنْ غَيْرِكَ .. جَهْلٌ مَحْضٌ ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ لَا تَنْظُرَ إِلَىٰ أَحَدٍ إِلَّا وَتَرَىٰ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْكَ ، وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ لَهُ عَلَيْكَ وَتَزْدَرِي نَفْسَكَ .

فَإِنْ رَأَيْتَ صَغِيراً .. قُلْتَ : هَـٰذَا لَمْ يَعْصِ ٱللهَ وَأَنَا عَصَيْتُهُ ، فَلَا شَكَّ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنِّي .

وَإِنْ رَأَيْتَ كَبِيراً .. قُلْتَ : هَـٰذَا خَيْرٌ مِنِّي ، عَبَدَ ٱللهَ قَبْلِي .

وَإِنْ رَأَيْتَ عَالِماً .. قُلْتَ : هَـٰذَا قَدْ أُعْطِيَ مَا لَمْ أُعْطَ ، وَبَلَغَ مَا لَمْ أَبْلُغْ ، وَعَلِمَ مَا جَهِلْتُ ، فَكَيْفَ أَكُونُ مِثْلَهُ؟!

وَإِنْ كَانَ جَاهِلاً .. قُلْتَ : هَـٰذَا عَصَى ٱللهَ تَعَالَىٰ بِجَهْلٍ وَأَنَا عَصَيْتُ ٱللهَ بِعِلْمٍ ، فَحُجَّةُ ٱللهِ تَعَالَىٰ عَلَيَّ أَكْبَرُ ، وَما أَدْرِي بِمَ يُخْتَمُ لِي وَبِمَ يُخْتَمُ لَهُ؟!

وَإِنْ رَأَيْتَ كَافِراً .. قُلْتَ : لَا أَدْرِي ، عَسَىٰ أَنْ يُسْلِمَ وَيُخْتَمَ لَهُ بِخَيْرِ ٱلْعَمَلِ ، وَيَنْسَلَّ بِإِسْلَامِهِ مِنْ ذُنُوبِهِ كَمَا تَنْسَلُّ ٱلشَّعْرَةُ مِنَ ٱلْعَجِينِ ، وَأَمَّا أَنَا فَعَسَىٰ أَنْ يُضِلَّنِيَ ٱللهُ فَأَكْفُرَ ؛ فَيُخْتَمَ لِي بِسُوءِ ٱلْعَمَلِ ، فَيَكُونُ هُوَ غَداً مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ وَأَكُونُ أَنَا مِنَ ٱلْمُبْعَدِينَ .

فَلَا يَخْرُجُ ٱلْكِبْرُ مِنْ قَلْبِكَ إِلَّا بِأَنْ تَعْرِفَ أَنَّ ٱلْكَبِيرَ مَنْ

هُوَ كَبِيرٌ عِنْدَ ٱللهِ تعَالَىٰ ، وَذَٰلِكَ مَوْقُوفٌ عَلَى ٱلْخَاتِمَةِ ، وَهُوَ مَشْكُوكٌ فِيهِ ، فَيَشْغَلُكَ خَوْفُ سُوءِ ٱلْخَاتِمَةِ عَنْ أَنْ تَتَكَبَّرَ مَعَ ٱلشَّكِّ فِيهَا عَلَىٰ عِبَادِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَيَقِينُكَ وَإِيمَانُكَ فِي ٱلْحَالِ لَا يُنَاقِضُ تَجْوِيزَكَ ٱلتَّغْيِيرَ فِي ٱلِٱسْتِقْبَالِ ، فَإِنَّ ٱللهَ مُقَلِّبُ ٱلْقُلُوبِ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ .

وَٱلْأَخْبَارُ فِي ٱلْحَسَدِ وَٱلرِّيَاءِ وَٱلْكِبْرِ كَثِيرَةٌ ، وَيَكْفِيكَ مِنْهَا حَدِيثٌ وَاحِدٌ جَامِعٌ ، فَقَدْ رَوَى ٱبْنُ ٱلْمُبَارَكِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ رَجُلٍ أَنَّهُ قَالَ لِمُعَاذِ بنْ جَبَلٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ : يَا مُعَاذُ ؛ حَدِّثْنِي حَدِيثاً سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُول ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : فَبَكَىٰ مُعَاذٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَا يَسْكُتُ ، ثُمَّ سَكَتَ ، ثُمَّ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يَا مُعَاذُ ؛ إِنِّي مُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ إِنْ أَنْتَ حَفِظْتَهُ . . نَفَعَكَ ، وَإِنْ أَنْتَ ضَيَّعْتَهُ وَلَمْ

تَحْفَظْهُ .. ٱنْقَطَعَتْ حُجَّتُكَ عِنْدَ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ .

يَا مُعَاذُ ؛ إِنَّ ٱللهَ خَلَقَ سَبْعَةَ أَمْلَاكٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ ، ثُمَّ خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ ، فَجَعَلَ لِكُلِّ سَمَاءٍ مِنَ ٱلسَّبْعِ مَلَكاً بَوَّاباً عَلَيْهَا ، فَتَصْعَدُ ٱلْحَفَظَةُ بِعَمَلِ ٱلْعَبْدِ مِنْ حِينِ يُصْبِحُ إِلَىٰ حِينِ يُمْسِي ، لَهُ نُورٌ كَنُورِ ٱلشَّمْسِ ، حَتَّىٰ إِذَا صَعِدَتْ بِهِ إِلَىٰ سَمَاءِ ٱلدُّنْيَا .. زَكَّتْهُ وَكَثَّرَتْهُ ، فَيَقُولُ ٱلْمَلَكُ ٱلْمُوَكَّلُ بِهَا لِلْحَفَظَةِ : ٱضْرِبُوا بِهَـٰذَا ٱلْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، فَأَنَا صَاحِبُ ٱلْغِيبَةِ ؛ أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَ مَنِ ٱغْتَابَ ٱلنَّاسَ يُجَاوِزُنِي إِلَىٰ غَيْرِي .

قَالَ : ثُمَّ تَأْتِي ٱلْحَفَظَةُ بِعَمَلٍ صَالِحٍ مِنْ أَعْمَالِ ٱلْعَبْدِ فَتُزَكِّيهِ وَتُكَثِّرُهُ حَتَّىٰ تَبْلُغَ بِهِ إِلَى ٱلسَّمَاءِ ٱلثَّانِيَةِ ، فَيَقُولُ لَهُمُ ٱلْمَلَكُ ٱلْمُوَكَّلُ بِٱلسَّمَاءِ ٱلثَّانِيَةِ : قِفُوا وَٱضْرِبُوا بِهَـٰذَا ٱلْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، أَنَا مَلَكُ ٱلْفَخْرِ ، إِنَّهُ أَرَادَ بِعَمَلِهِ هَـٰذَا عَرَضَ ٱلدُّنْيَا ؛ أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَىٰ غَيْرِي ؛

إِنَّهُ كَانَ يَفْتَخِرُ عَلَى ٱلنَّاسِ فِي مَجَالِسِهِمْ .

قَالَ : وَتَصْعَدُ ٱلْحَفَظَةُ بِعَمَلِ ٱلْعَبْدِ يَبْتَهِجُ نُوراً مِنْ صَدَقَةٍ وَصِيَامٍ وَصَلَاةٍ قَدْ أَعْجَبَ ٱلْحَفَظَةَ ، فَيُجَاوِزُونَ بِهِ إِلَى ٱلسَّمَاءِ ٱلثَّالِثَةِ ، فَيَقُولُ لَهُمُ ٱلْمَلَكُ ٱلْمُوَكَّلُ بِهَا : قِفُوا وَٱضْرِبُوا بِهَـٰذَا ٱلْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، أَنَا مَلَكُ ٱلْكِبْرِ ؛ أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَىٰ غَيْرِي ؛ إِنَّهُ كَانَ يَتَكَبَّرُ عَلَى ٱلنَّاسِ فِي مَجَالِسِهِمْ .

قَالَ : وَتَصْعَدُ ٱلْحَفَظَةُ بِعَمَلِ ٱلْعَبْدِ يَزْهَرُ كَمَا يَزْهَرُ ٱلْكَوْكَبُ ٱلدُّرِّيُّ وَلَهُ دَوِيٌّ مِنْ تَسْبِيحٍ وَصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ حَتَّىٰ يُجَاوِزُوا بِهِ إِلَى ٱلسَّمَاءِ ٱلرَّابِعَةِ ، فَيَقُولُ لَهُمُ ٱلْمَلَكُ ٱلْمُوَكَّلُ بِهَا : قِفُوا وَٱضْرِبُوا بِهَـٰذَا ٱلْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ وَظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ ، أَنَا صَاحِبُ ٱلْعُجْبِ ؛ أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَىٰ غَيْرِي ، إِنَّهُ كَانَ إِذَا عَمِلَ عَمَلاً .. أَدْخَلَ ٱلْعُجْبَ فِيهِ .

قَالَ : وَتَصْعَدُ ٱلْحَفَظَةُ بِعَمَلِ ٱلْعَبْدِ حَتَّىٰ يُجَاوِزُوا بِهِ إِلَى ٱلسَّمَاءِ ٱلْخَامِسَةِ ، كَأَنَّهُ ٱلْعَرُوسُ ٱلْمَزْفُوفَةُ إِلَىٰ أَهْلِهَا ، فَيَقُولُ لَهُمُ ٱلْمَلَكُ ٱلْمُوَكَّلُ بِهَا : قِفُوا وَٱضْرِبُوا بِهَـٰذَا ٱلْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ وَظَهْرَهُ وَٱحْمِلُوهُ عَلَىٰ عَاتِقِهِ ، أَنَا مَلَكُ ٱلْحَسَدِ ، إِنَّهُ كَانَ يَحْسُدُ مَنْ يَتَعَلَّمُ وَيَعْمَلُ بِمِثْلِ عَمَلِهِ ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ يَأْخُذُ فَضْلاً مِنَ ٱلْعِبَادَاتِ .. كَانَ يَحْسُدُهُمْ وَيَقَعُ فِيهِمْ ؛ أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَىٰ غَيْرِي .

قَالَ : وَتَصْعَدُ ٱلْحَفَظَةُ بِعَمَلِ ٱلْعَبْدِ مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ ، وَزَكَاةٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ ، فَيُجَاوِزُونَ بِهِ إِلَى ٱلسَّمَاءِ ٱلسَّادِسَةِ ، فَيَقُولُ لَهُمُ ٱلْمَلَكُ ٱلْمُوَكَّلُ بِهَا : قِفُوا وَٱضْرِبُوا بِهَـٰذَا ٱلْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَرْحَمُ إِنْسَاناً قَطُّ مِنْ عِبَادِ ٱللهِ أَصَابَهُ بَلَاءٌ أَوْ ضُرٌّ ، بَلْ كَانَ يَشْمَتُ بِهِ ، أَنَا مَلَكُ ٱلرَّحْمَةِ ؛ أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَىٰ غَيْرِي[١] .

---

(١) جاء في هامش (أ) : (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قبّل=

. . . .

= رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن عليٍّ ومعه الأقرع بن حابس ، فقال الأقرع : إن لي عشرة أولاد ما قبَّلت منهم أحداً ، فنظر إليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال : « من لا يَرحم .. لا يُرحَم » [خ ٥٩٩٧] . « مصابيح » [٣/ ٢٨٠] .

وعن عائشة رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم أُتي بصبيٍّ فقبَّله ، وقال : « أما إنهم مبخلةٌ مجبنةٌ ، وإنهم من ريحان الله » [ق ٣٦٦٦ بنحوه] ، قوله : « ريحان الله » أي : رزقه تعالىٰ ، منه [٣/ ٢٨٥] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يرحم اللهُ .. من لا يرحم الناسَ » [خ ٧٣٧٦] .

وقال : « أنا وكافل اليتيم في الجنة » هٰكذا وأشار بإصبعيه [خ ٥٣٠٤] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أهل الجنّة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفَّق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربىٰ ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال » [م ٢٨٦٥] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تُنزع الرحمة إلا من شقي » [ت ١٩٢٣] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الراحمون يرحمهم الرحمـٰن ، ارحموا مَن في الأرض .. يرحمكم من في السماء » [ت ١٩٢١] . =

قَالَ : وَتَصْعَدُ ٱلْحَفَظَةُ بِعَمَلِ ٱلْعَبْدِ مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ ، وَنَفَقَةٍ وَجِهَادٍ وَوَرَعٍ ، لَهُ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ ٱلنَّحْلِ ، وَضَوْءٌ كَضَوْءِ ٱلشَّمْسِ ، مَعَهُ ثَلَاثَةُ آلَافِ مَلَكٍ ، فَيُجَاوِزُونَ بِهِ إِلَى ٱلسَّمَاءِ ٱلسَّابِعَةِ ، فَيَقُولُ لَهُمُ ٱلْمَلَكُ ٱلْمُوَكَّلُ بِهَا : قِفُوا وَٱضْرِبُوا بِهَـٰذَا ٱلْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، وَٱضْرِبُوا بِهِ جَوَارِحَهُ ، وَأَقْفِلُوا عَلَىٰ قَلْبِهِ ، إِنِّي أَحْجُبُ عَنْ رَبِّي كَلَّ عَمَلٍ لَمْ يُرِدْ بِهِ وَجْهَ رَبِّي ، إِنَّهُ أَرَادَ بِعَمَلِهِ غَيْرَ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، إِنَّهُ أَرَادَ بِهِ رِفْعَةً عِنْدَ ٱلْفُقَهَاءِ ، وَذِكْراً عِنْدَ

= وقال صلى الله عليه وسلم : « خير بيت في المسلمين : بيتٌ فيه يتيم يُحسن إليه ، وشرُّ بيت في المسلمين : بيتٌ فيه يتيم يُساءُ إليه » [طس ٥/٩٩] .

وقال : « مَن آوىٰ يتيماً إلىٰ طعامه وشرابه .. أوجب الله له الجنّة البتّة إلا أن يعمل ذنباً لا يُغفر » [يعلىٰ ١٢٤٥٧ بنحوه] .

وقال : « من كانت له أنثىٰ فلم يئدها ، ولم يُهنها ، ولم يؤثر ولده عليها ـ يعني : الذكور ـ .. أدخله الله الجنّة » [د٥١٠٣] . « مصابيح » ملخصاً [٢/ ٢٨١ـ٢٨٥] .

ٱلْعُلَمَاءِ ، وَصِيتاً فِي ٱلْمَدَائِنِ ؛ أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَىٰ غَيْرِي ، وَكُلُّ عَمَلٍ لَمْ يَكُنْ خَالِصاً لِلّٰهِ تَعَالَىٰ فَهُوَ رِيَاءٌ ، وَلَا يَقْبَلُ ٱللهُ عَمَلَ ٱلْمُرَائِينَ(١) .

---

(١) جاء في هامش (أ) : (والإخلاص : تصفية الأعمال عن رؤية الخلق ؛ فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يقول الله تعالىٰ : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري معي .. فأنا بريء منه ومن عمله » ، ولا يصح له الإخلاص إلا بمعرفة مقادير الخلق وضعفهم ، وقلة نفعهم وضرهم ، كما وصفه الخليل عليه السلام : ﴿ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـًٔا ﴾ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يجد أحدكم حلاوة الإيمان .. حتىٰ يعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن من ضعف الإيمان : أن تُرضيَ الناس بسخط الله ، وأَن تحمدهم على رزق الله ، وأن تذمهم علىٰ ما لم يؤتك الله ، إن رزق الله لا يجره حرص حريص ، ولا يدفعه كراهيةُ كاره » [طب ١٠/ ٢١٥] .

قال الله تعالىٰ : ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦ ﴾ . « آداب المريدين » معنىً [٥٨ـ ٥٩]) .

قَالَ : وَتَصْعَدُ ٱلْحَفَظَةُ بِعَمَلِ ٱلْعَبْدِ مِنْ صَلَاةٍ وَزَكَاةٍ ، وَصِيَامٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ ، وَخُلُقٍ حَسَنٍ ، وَصَمْتٍ وَذِكْرِ ٱللهِ ، وَتُشَيِّعُهُ مَلَائِكَةُ ٱلسَّمَاوَاتِ حَتَّىٰ يَقْطَعُوا ٱلْحُجُبَ كُلَّهَا إِلَى ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَيَقِفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَشْهَدُونَ لَهُ بِٱلْعَمَلِ ٱلصَّالِحِ ٱلْمُخْلِصِ لِلهِ تَعَالَىٰ ، فَيَقُولُ ٱللهُ عَزَّوجَلَّ : أَنْتُمُ ٱلْحَفَظَةُ عَلَىٰ عَمَلِ عَبْدِي ، وَأَنَا ٱلرَّقِيبُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ، إِنَّهُ لَمْ يُرِدْنِي بِهَـٰذَا ٱلْعَمَلِ ، وَأَرَادَ بِهِ غَيْرِي فَعَلَيْهِ لَعْنَتِي ، فَتَقُولُ ٱلْمَلَائِكَةُ كُلُّهَا : (عَلَيْهِ لَعْنَتُكَ وَلَعْنَتُنَا) ، وَتَلْعَنُهُ ٱلسَّمَاوَاتُ ٱلسَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ » .

قالَ مَعاذٌ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ أَنْتَ رَسُولُ ٱللهِ وَأَنَا مُعَاذٌ فَكَيفَ لِي بِٱلْخَلَاصِ وَٱلنَّجَاةِ؟

قَالَ : « ٱقْتَدِ بِي ، وَإِنْ كَانَ فِي عَمَلِكَ نَقْصٌ يَا مُعَاذُ .. فَٱحْفَظْ لِسَانَكَ مِنَ ٱلْوَقِيعَةِ فِي إِخْوَانِكَ مِنْ حَمَلَةِ ٱلْقُرْآنِ ، وَٱحْمِلْ ذُنُوبَكَ عَلَيْكَ وَلَا تَحْمِلْهَا عَلَيْهِمْ ، وَلَا

تُزَكِّ نفْسَكَ بِذَمِّهِمْ ، وَلَا تَرْفَعْ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ ، وَلَا تُدْخِلْ عَمَلَ ٱلدُّنْيَا فِي عَمَلِ ٱلْآخِرَةِ ، وَلَا تَتَكَبَّرْ فِي مَجْلِسِكَ لِكَيْ يَحْذَرَ ٱلنَّاسُ مِنْ سُوءِ خُلُقِكَ ، وَلَا تُنَاجِ رَجُلاً وَعِنْدَكَ آخَرُ ، وَلَا تَتَعَظَّمْ عَلَى ٱلنَّاسِ فَيَنْقَطِعَ عَنْكَ خَيْرُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ، وَلَا تُمَزِّقِ ٱلنَّاسَ بِلِسَانِكَ فَتُمَزِّقَكَ كِلَابُ ٱلنَّارِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فِي ٱلنَّارِ . قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴾ هَلْ تَدْرِي مَا هُنَّ يَا مُعَاذُ؟ » .

قَالَ : قُلْتُ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسولَ اللهِ ؛ مَا هُنَّ؟

قَالَ : « كِلَابٌ فِي ٱلنَّارِ تَنْشِطُ ٱللَّحْمَ مِنَ ٱلْعَظْمِ » .

قُلْتُ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ فَمَنْ يُطِيقُ هَٰذِهِ ٱلْخِصَالَ وَمَنْ يَنْجُو مِنْهَا؟

قَالَ : « يَا مُعَاذُ ، إِنَّهُ لَيَسِيرٌ لِمَنْ يَسَّرَهُ ٱللهُ عَلَيْهِ » .

قَالَ ٱلرَّاوِي : فَمَا رَأَيْتُ أَحَداً أَكْثَرَ تِلَاوَةً لِلْقُرْآنِ مِنْ مُعَاذٍ لِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ [زهد مبا ٤٥٢] .

فَتَأَمَّلْ أَيُّهَا ٱلرَّاغِبُ فِي طَلَبِ ٱلْعِلْمِ هَـٰذِهِ ٱلْخِصَالِ .

وَٱعْلَمْ : أَنَّ أَعْظَمَ ٱلْأَسْبَابِ فِي رُسُوخِ هَـٰذِهِ ٱلْخَبَائِثِ فِي ٱلْقَلْبِ طَلَبُ ٱلْعِلْمِ لِأَجْلِ ٱلْمُبَاهَاةِ وَٱلْمُنَافَسَةِ[1] ، وَٱلْعَامِّيُّ بِمَعْزِلٍ عَنْ أَكْثَرِ هَـٰذِهِ ٱلْخِصَالِ ، وَٱلْمُتَفَقِّهُ مُسْتَهْدَفٌ لَهَا وَهُوَ مُعَرَّضٌ لِلْهَلَاكِ بِسَبَبِهَا .

---

(١) جاء في هامش (أ) : (وأما علماء الدنيا .. فإنهم يتبعون غرائب التفريعات في الحكومات والأقضية ، ويتعبون في وضع صور تنقضي الدهور ولا تقع أبداً ، وإن وقعت فإنما تقع لغيرهم لا لهم ، وإذا وقعت كان في القائمين بها كثرة ، ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم آناء الليل والنهار في خواطرهم ووساوسهم وأعمالهم .

وما أبعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر إيثاراً للتقرب والقبول من الخلق علىٰ القرب من الله تعالىٰ ، وشرهاً في أن يسميه البطالون من أبناء الدنيا فاضلاً محققاً عالماً بالدقائق؟ وجزاء من الله أن لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق ، بل يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ، ثم يَرِدُ يوم القيامة مفلساً متحسراً علىٰ ما يشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين ، وذٰلك الخسران المبين « إحياء » المؤلف جزاه الله عنا وعن الدين أفضل الجزاء .. آمين آمين . [١/ ١٠٩]) .

فَٱنْظُرْ : هَلْ أَهَمُّ أُمُورِكَ أَنْ تَتَعَلَّمَ كَيْفِيَّةَ ٱلْحَذَرِ مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْمُهْلِكَاتِ ، وَتَشْتَغِلَ بِإِصْلَاحِ قَلْبِكَ وَعِمَارَةِ آخِرَتِكَ[1] ، أَمِ ٱلْأَهَمُّ أَنْ تَخُوضَ مَعَ ٱلْخَائِضِينَ ، وَتَطْلُبَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا هُوَ سَبَبُ زِيَادَةِ ٱلْكِبْرِ وَٱلرِّيَاءِ وَٱلْحَسَدِ وَٱلْعُجْبِ حَتَّىٰ تَهْلِكَ مَعَ ٱلْهَالِكِينَ ؟ !

وَٱعْلَمْ : أَنَّ هَـٰذِهِ ٱلْخِصَالَ ٱلثَّلَاثَةَ مِنْ أُمَّهَاتِ خَبَائِثِ ٱلْقَلْبِ ، وَلَهَا مَغْرِسٌ وَاحِدٌ وَهُوَ حُبُّ ٱلدُّنْيَا ، وَلِذَٰلِكَ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « حُبُّ ٱلدُّنْيَا .. رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ » [هب ١٠٥٠١] .

---

(١) جاء في هامش (أ) : (وعلى الجملة : فلا يميل أكثر الخلق إلا إلى الأسهل والأوفق لطباعهم ، فإن الحق مرّ ، والوقوف عليه صعب ، وإدراكه شديد وطرقه مستوعرة ، لا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الأخلاق المذمومة ، فإن ذٰلك نزع للروح على الدوام ، وصاحبه ينزل منزلة الشارب للدواء يصبر علىٰ مرارته رجاء الشفاء ، وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه فهو يقاسي الشدائد ليكون فطره عند الموت ، ومتىٰ تكثر الرغبة في مثل هٰذه الطريق . « إحياء علوم الدين » [١/ ١١٠] .

وَمَعَ هَـٰذَا فَٱلدُّنْيَا مَزْرَعَةُ ٱلْآخِرَةِ ، فَمَنْ أَخَذَ مِنَ ٱلدُّنْيَا بِقَدْرِ ٱلضَّرُورَةِ لِيَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى ٱلْآخِرَةِ .. فَٱلدُّنْيَا مَزْرَعَتُهُ(١)، وَمَنْ أَرادَ ٱلدُّنْيَا لِيَتَنَعَّمَ بِهَا .. فَٱلدُّنْيَا مَهْلَكَتُهُ(٢) .

فَهَـٰذِهِ نُبْذَةٌ يَسِيرَةٌ مِنْ ظَاهِرِ عِلْمِ ٱلتَّقْوَىٰ ، وَهِيَ بِدَايَةُ

---

(١) جاء في هامش (أ) : (قال أنس رضي الله عنه : ما أعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم رأىٰ رغيفاً مرققاً حتىٰ لحق بالله ، ولا رأىٰ شاةً سميطاً بعينه قط .

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : ما رأىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم النقي من حين ابتعثه الله تعالىٰ حتى قبضه الله . وقال : ما رأىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم منخلاً من حين ابتعثه الله تعالىٰ حتىٰ قبضه الله ، قيل : كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول؟ قال : كنا نطحنه وننفخه فيطير ما طار وما بقي ثريناه فأكلناه [خ ٥٤١٣] . « مصابيح » [٣/ ١٥٠]) .

(٢) وقد صدق المصنف في ذٰلك ؛ فالدنيا صفاؤها كدر ، وأهلها منها علىٰ حذر ؛ كما قال الشاعر ـ نسأل الله الاتعاظ والانتفاع ـ :

هي الدنيا تقول بِمَلءِ فيها   حذارِ حذارِ من بطشي وفتكي
فلا يغرركمُ مني ابتسام   فقولي مضحك والفعل مبكي

ٱلْهِدَايَةِ ، فَإِنْ جَرَّبْتَ فِيهَا نَفْسَكَ فَطَاوَعَتْكَ عَلَيْهَا .. فَعَلَيْكَ بِكِتَابِ « إِحْيَاءِ عُلُومِ ٱلدِّينِ » لِتَعْرِفَ كَيْفِيَّةَ ٱلْوُصُولِ إِلَىٰ بَاطِنِ ٱلتَّقْوَىٰ .

فَإِذَا عَمَرْتَ بِٱلتَّقْوَىٰ بَاطِنَ قَلْبِكَ .. فَعِنْدَ ذَٰلِكَ تَرْتَفِعُ ٱلْحُجُبُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَبِّكَ ، وَتَنْكَشِفُ لَكَ أَنْوَارُ ٱلْمَعَارِفِ ، وَتَتَفَجَّرُ مِنْ قَلْبِكَ يَنَابِيعُ ٱلْحِكْمَةِ ، وَتَتَّضِحُ لَكَ أَسْرَارُ ٱلْمُلْكِ وَٱلْمَلَكُوتِ ، وَيَتَيَسَّرُ لَكَ مِنَ ٱلْعُلُومِ مَا تَسْتَحْقِرُ بِهِ هَـٰذِهِ ٱلْعُلُومَ ٱلْمُحْدَثَةَ ٱلَّتِي لَمْ يَكُنْ لَهَا ذِكْرٌ فِي زَمَنِ ٱلصَّحَابَةِ وَٱلتَّابِعِينَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ(١) .

وَإِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ ٱلْمَعْرِفَةَ مِنَ ٱلْقِيلِ وَٱلْقَالِ وَٱلْمِرَاءِ وَٱلْجِدَالِ .. فَمَا أَعْظَمَ مُصِيبَتَكَ ، وَمَا أَطْوَلَ تَعَبَكَ ، وَمَا

---

(١) مراد المصنف : هو ذَمُّ العلوم المحدَثة التي لم تكن في زمن الصحابة والتابعين ، لا ذمُّ كل المحدثات ؛ لأنها تجري فيها الأحكام الخمسة . ومقصود المصنف الأعظم : رفع الهمة إلىٰ سلوك معارج المتقين .

أَعْظَمَ حِرْمَانَكَ وَخُسْرَانَكَ[1] .

فَٱعْمَلْ مَا شِئْتَ ، فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا ٱلَّتِي تَطْلُبُهَا بِٱلدِّينِ لَا تَسْلَمُ لَكَ ، وَٱلْآخِرَةُ تُسْلَبُ مِنْكَ .

فَمَنْ طَلَبَ ٱلدُّنْيَا بِٱلدِّينِ .. خَسِرَهُمَا جَمِيعاً ، وَمَنْ تَرَكَ ٱلدُّنْيَا لِلدِّينِ .. رَبِحَهُمَا جَمِيعاً .

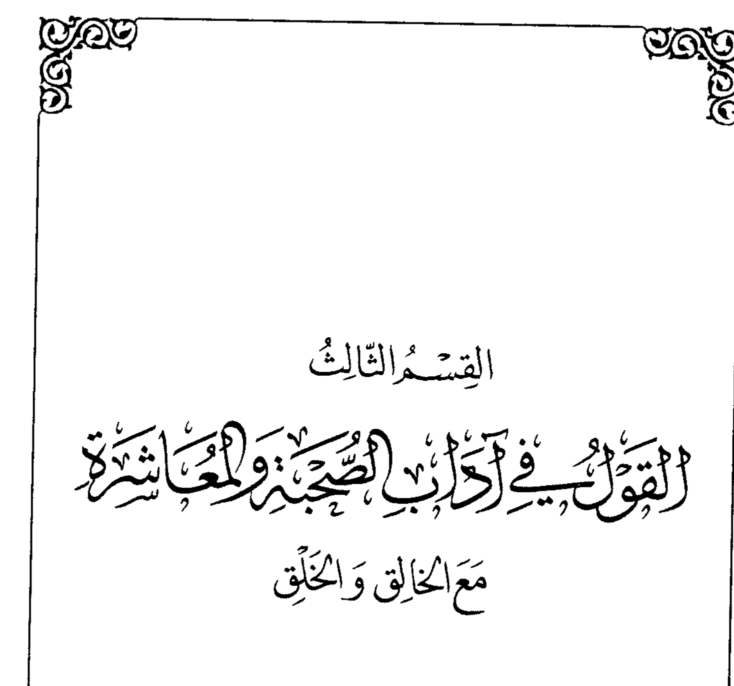
فَهَـٰذِهِ جُمَلُ ٱلْهِدَايَةِ إِلَىٰ بِدَايَةِ ٱلطَّرِيقِ فِي مُعَامَلَتِكَ مَعَ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَدَاءِ أَوَامِرِهِ وَٱجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ .

وَنُشِيرُ ٱلْآنَ عَلَيْكَ بِجُمَلٍ مِنَ ٱلْآدَابِ لِتُؤَاخِذَ بِهَا نَفْسَكَ فِي مُخَالَطَتِكَ مَعَ عِبَادِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَصُحْبَتِكَ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا .

* * *

---

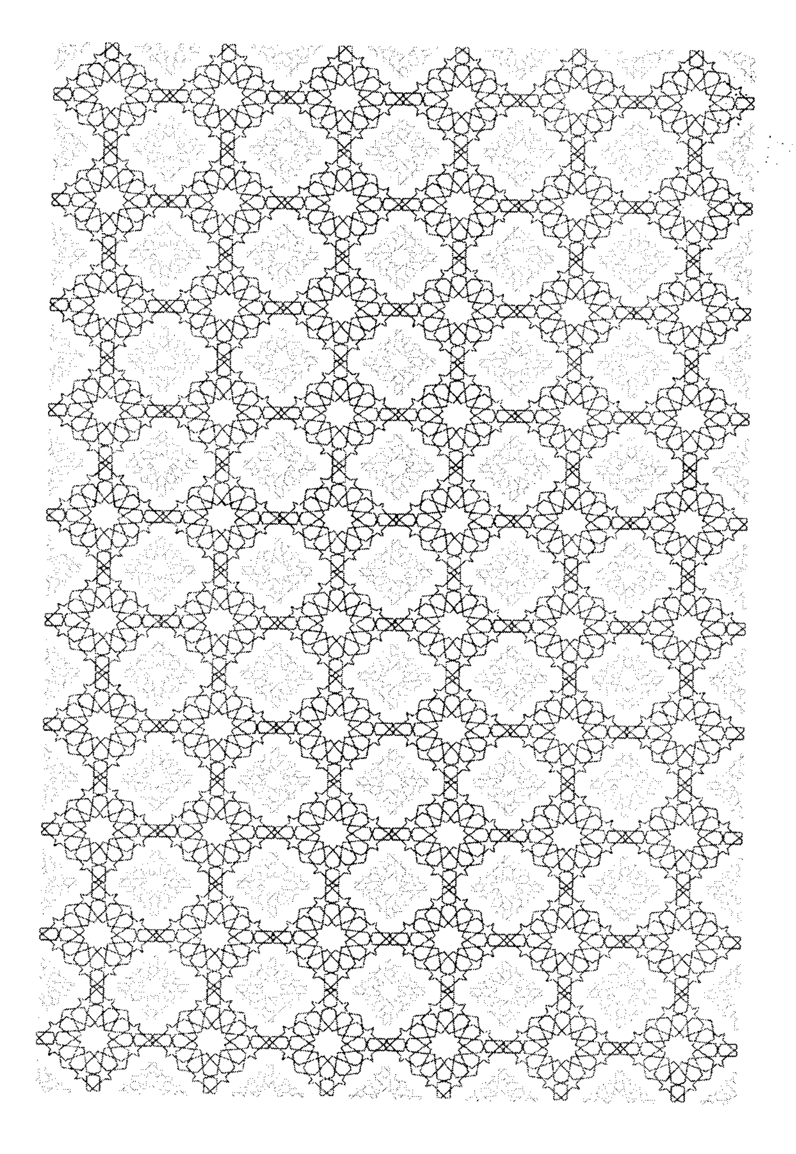
(١) جاء في هامش (أ) : (قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله يبغض [البليغ] من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تخلل البقرة بلسانها » [د ٤٩٦٦] . « مصابيح » [٣/٣١٦]) .



القِسمُ الثّالثُ

القولُ في آدابِ الصُّحبةِ والمُعاشرةِ

مَعَ الخالِقِ والخَلقِ





القِسمُ الثّالِثُ

القَولُ في آدابِ الصُّحبَةِ والمُعاشَرَةِ

مَعَ الخالِقِ والخَلْقِ

ٱعْلَمْ : أَنَّ صَاحِبَكَ ٱلَّذِي لَا يُفَارِقُكَ فِي حَضَرِكَ وَسَفَرِكَ ، وَنَوْمِكَ وَيَقَظَتِكَ ، بَلْ فِي حَيَاتِكَ وَمَوْتِكَ .. هُوَ رَبُّكَ وَمَوْلَاكَ وَسَيِّدُكَ وَخَالِقُكَ .

وَمَهْمَا ذَكَرْتَهُ فَهُوَ جَلِيسُكَ ؛ إِذْ قَالَ تَعَالَىٰ : « أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي » .

وَمَهْمَا ٱنْكَسَرَ قَلْبُكَ حُزْناً عَلَىٰ تَقْصِيرِكَ فِي حَقِّ رَبِّكَ[1] .. فَهُوَ صَاحِبُكَ وَمُلَازِمُكَ ؛ إِذْ قَالَ رَبُّكَ تَعَالَىٰ :

---

(١) في نسخة : (دينك) .

« أَنَا عِنْدَ ٱلْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي » .

فَلَوْ عَرَفْتَهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ .. لَٱتَّخَذْتَهُ صَاحِباً ، وَتَرَكْتَ ٱلنَّاسَ جَانِباً .

فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ عَلَىٰ ذَٰلِكَ فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِكَ .. فَإِيَّاكَ أَنْ تُخَلِّيَ لَيْلَكَ وَنَهَارَكَ عَنْ وَقْتٍ تَخْلُو فِيهِ بِمَوْلَاكَ ، وَتَتَلَذَّذُ بِمُنَاجَاتِهِ .

وَعِنْدَ ذَٰلِكَ : فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَعَلَّمَ آدَابَ ٱلصُّحْبَةِ مَعَ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَآدَابُهَا : إِطْرَاقُ ٱلطَّرْفِ ، وَجَمْعُ ٱلْهَمِّ ، وَدَوَامُ ٱلصَّمْتِ ، وَسُكُونُ ٱلْجَوَارِحِ ، وَمُبَادَرَةُ ٱلْأَمْرِ ، وَٱجْتِنَابُ ٱلنَّهْيِ ، وَقِلَّةُ ٱلِٱعْتِرَاضِ عَلَى ٱلْقَدَرِ ، وَدَوَامُ ٱلذِّكْرِ ، وَمُلَازَمَةُ ٱلْفِكْرِ ، وَإِيثَارُ ٱلْحَقِّ وَٱلْإِيَاسُ مِنَ ٱلْخَلْقِ ، وَٱلْخُضُوعُ تَحْتَ ٱلْهَيْبَةِ ، وَٱلِٱنْكِسَارُ تَحْتَ ٱلْحَيَاءِ ،

وَٱلسُّكُونُ عَنْ حِيَلِ ٱلْكَسْبِ ثِقَةً بِٱلضَّمَانِ[1] ، وَٱلتَّوَكُّلُ عَلَىٰ فَضْلِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَعْرِفَةً بِحُسْنِ ٱلِٱخْتِيَارِ .

وَهَـٰذَا كُلُّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ شِعَارَكَ فِي جَمِيعِ لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ ؛ فَإِنَّهُ أَدَبُ ٱلصُّحْبَةِ مَعَ صَاحِبٍ لَا يُفَارِقُكَ ، وَٱلْخَلْقُ كُلُّهُمْ يُفَارِقُونَكَ فِي بَعْضِ أَوْقَاتِكَ[2] .

---

(١) في نسخة : (بالضامن) . وجاء في هامش (أ) : ([وهي أن الله تعالىٰ ضمن لك رزقاً حيث] قال تعالىٰ : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ . وأقسم عليه فقال : ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ .

ولا ينبغي أن تتهمه في ضمانه ، وترتابَ في وفائه بوعده :

أَتُـدمِـنُ عصيـانـاً وفحشـاً وريبـةً ... وتصبح من خوف العواقب آمنا
وترضىٰ بصرَّافٍ وإن كان مشركاً ... ضميناً ولا ترضىٰ بربِّك ضامنا

« رياض الأنس » [(خ) روضة الأنس للصادقين] .

(٢) جاء في هامش (أ) : (وقال بعض المشايخ : يا معشر الفقراء ؛ إنكم تعرفون بالله ، وتكرمون بالله ؛ فإذا خلوتم .. فانظروا كيف تكونون معه . « رياض » [(خ) روضة الأنس للراجين]) .

فَإِنْ كُنْتَ عَالِماً[1] .. فَأَدَبُ ٱلْعَالِمِ : سَعَةُ ٱلِٱحْتِمَالِ ، وَلُزُومُ ٱلْحِلْمِ[2] ، وَٱلْجُلُوسُ بِٱلْهَيْبَةِ عَلَىٰ سَمْتِ ٱلْوَقَارِ مَعَ

---

(١) جاء في هامش (أ) : (وروي أن أصحاب الصُّفَّة أُهدي إلىٰ واحد منهم رأس مشوي وهو في غاية الضر فأهداه إلىٰ آخر ، وأهداه الآخر إلىٰ آخر ، هٰكذا دار بينهم حتىٰ عاد إلى الأول ؛ فانظر الآن كيف انعكس أمر العلماء وصار المهروب عنه مطلوباً والمطلوب مهروباً عنه .

وقال بعضهم : كان الصحابة يتدافعون أربعة أشياء : الإمامة والوديعة والوصيّة والفتوىٰ .

وقال بعضهم : كان أسرعهم إلى الفتوىٰ أقلهم علماً ، وأشدهم دفعاً لها أورعهم ، وكان شغل الصحابة والتابعين في خمس : قراءة القرآن وعمارة المساجد وذكر الله تعالىٰ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ وذٰلك لما سمعوا من قوله صلى الله عليه وسلم : « كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاث : أمر بمعروف ، أو نهي عن منكر ، أو ذكر الله تعالىٰ » .

قال الله تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ « إحياء » بالمعنىٰ [١/ ٧٠]) .

(٢) جاء في هامش (أ) : (وفي بعض الأخبار : وكاد الحليم أن يكون نبياً . « رياض » [(خ) روضة الأنس للمتوكلين]) .

ٱلنَّـاسِ[1] ، وَتَـرْكُ ٱلتَّكَبُّـرِ عَلَـىٰ جَمِيـعِ ٱلْعِبَـادِ إِلَّا عَلَـى

(١) جاء في هامش (أ) : (قال الله عز وجل : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ ، وذٰلك أنك إذا توكلت علىٰ من يموت كان إذا مات بقيت ضائعاً ، ولـٰكن ينبغي أن تتوكل على الحي الذي لا يموت ؛ ليكفيك إذا حييت ، ويرحمك إذا فنيت .

وأما التهافت في الكلام والتشدق والاستغراق في الضحكِ والحدة في الحركة والنطق : فكل ذٰلك من آثار البطر والأشر والأمن والغفلة عن عظيم عقاب الله وشديد سخطه ، وهو دأب أبناء الدنيا الغافلين عن الله تعالىٰ دون العلماء به ، وهـٰذا لأَن العلماء ثلاثة كما قال سهل التُّسْتَري :

عالم بأَمر الله لا بأَيام الله ، وهم المفتون في الحلال والحرام ، وهـٰذا العلم لا يورِث الخشية .

وعالم بالله لا بأمر الله ولا بأيام الله تعالىٰ ، وهم عموم المؤمنين .

وعالم بالله وبأَيام الله وبأمر الله ، وهم الصديقون . والخشية والخشوع إنما تغلب عليهم .

وأراد بـ« أَيام الله » : أنواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة التي أفاضها الله تعالىٰ على القرون السالفة واللاحقة .

فمن أحاط علمه بذٰلك .. عظم خوفه ، وظهر خشوعه .

ويقال : ما آتى اللهُ عبداً علماً .. إلا آتاه معه حلماً وتواضعاً وحسن خلق ورفقاً ، فذٰلك هو العلم النافع . =

ٱلظَّلَمَةِ ؛ زَجْراً لَهُمْ عَنِ ٱلظُّلْمِ ، وَإِيثَارُ ٱلتَّوَاضُعِ فِي ٱلْمَحَافِلِ وَٱلْمَجَالِسِ ، وَتَرْكُ ٱلْهَزْلِ وَٱلدُّعَابَةِ ، وَٱلرِّفْقُ بِٱلْمُتَعَلِّمِ ، وَٱلتَّأَنِّي بِٱلْمُتَعَجْرِفِ ، وَإِصْلَاحُ ٱلْبَلِيدِ بِحُسْنِ ٱلْإِرْشَادِ ، وَتَرْكُ ٱلْحَرَدِ عَلَيْهِ ، وَتَرْكُ ٱلْأَنَفَةِ مِنْ قَوْلِ (لَا أَدْرِي) ، وَصَرْفُ ٱلْهِمَّةِ إِلَى ٱلسَّائِلِ ، وَتَفَهُّمُ سُؤَالِهِ ، وَقَبُولُ ٱلْحُجَّةِ ، وَٱلِٱنْقِيَادُ لِلْحَقِّ وَٱلرُّجُوعُ إِلَيْهِ عِنْدَ ٱلْهَفْوَةِ ، وَمَنْعُ ٱلْمُتَعَلِّمِ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ يَضُرُّهُ ، وَزَجْرُهُ عَنْ أَنْ يُرِيدَ بِٱلْعِلْمِ ٱلنَّافِعِ غَيْرَ وَجْهِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَصَدُّ ٱلْمُتَعَلِّمِ عَنْ أَنْ يَشْتَغِلَ بِفَرْضِ ٱلْكِفَايَةِ قَبْلَ ٱلْفَرَاغِ مِنْ فَرْضِ ٱلْعَيْنِ ، وَفَرْضُ عَيْنِهِ إِصْلَاحُ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ بِٱلتَّقْوَىٰ[1] ، وَمُؤَاخَذَتُهُ

= وفي الأثر : من آتاه الله عزوجل علماً وزهداً وتواضعاً وحسن خلق .. فهو إمام المتقين . « إحياء » ملخصاً [١/ ٧٥]) .

(١) جاء في هامش (أ) : (وكان يقال : العلماء إذا علموا .. عملوا ، فإذا عملوا .. شُغلوا ، فإذا شُغِلوا .. فُقِدوا ، فإذا فُقِدوا .. طُلِبوا ، فإذا طُلِبوا .. هربوا . « إحياء » [١/ ٦٩]) .

نَفْسَهُ أَوَّلاً بِٱلتَّقْوَىٰ ؛ لِيَقْتَدِيَ ٱلْمُتَعَلِّمُ أَوَّلاً بِأَعْمَالِهِ ، وَيَسْتَفِيدَ ثَانِياً مِنْ أَقْوَالِهِ[1] .

وَإِنْ كُنْتَ مُتَعَلِّماً .. فَأَدَبُ ٱلْمُتَعَلِّمِ مَعَ ٱلْعَالِمِ : أَنْ يَبْدَأَهُ بِٱلتَّحِيَّةِ وَٱلسَّلَامِ ، وَأَنْ يُقِلَّ بَيْنَ يَدَيْهِ ٱلْكَلَامَ ، وَلَا يَتَكَلَّمَ مَا لَمْ يَسْأَلْهُ أُسْتَاذُهُ ، وَلَا يَسْأَلَ مَا لَمْ يَسْتَأْذِنْ أَوَّلاً ، وَلَا يَقُولَ ـ فِي مُعَارَضَةِ قَوْلِهِ ـ : قَالَ فُلَانٌ بِخِلَافِ مَا قُلْتَ ، وَلَا يُشِيرُ عَلَيْهِ بِخِلَافِ رَأْيِهِ ، فَيَرَىٰ أَنَّهُ أَعْلَمُ

---

(١) جاء في هامش (أ) : (فمن علم وعمل وعلَّم .. فهو الذي يدعىٰ عظيماً في ملكوت السماوات والأرض ؛ فإنَّه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة ، وكالمسك الذي يطيِّب به وهو طيبٌ .

والذي يعلم ولا يعمل .. كالدفتر الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم ، وكالمِسَنِّ الذي يشحذ غيره ولا يقطع ، والإبرة التي تكسو غيرها وهي عارية ، وذبالة المصباح تضيء لغيرها وهي تحترق . قال الشاعر :

صرت كأني ذبالة وقدت ... تضيء للناس وهي تحترق

ومهما اشتغل بالتعليم .. فقد تقلد أمراً عظيماً وخطراً جسيماً ، فليحفظ آدابه ووظائفه . « إحياء »[١/ ٥٥]) .

بِٱلصَّوَابِ مِنْ أُسْتَاذِهِ وَلَا يُسَارَّ جَلِيسَهُ فِي مَجْلِسِهِ ، وَلَا يَلْتَفِتَ إِلَى ٱلْجَوَانِبِ .. بَلْ يَجْلِسُ مُتَأَدِّباً مُطْرِقاً كَأَنَّهُ فِي ٱلصَّلَاةِ ، وَلَا يُكْثِرَ عَلَيْهِ عِنْدَ مَلَالِهِ ، وَإِذَا قَامَ قَامَ لَهُ ، وَلَا يَتْبَعَهُ بِكَلَامِهِ وَسُؤَالِهِ ، وَلَا يَسْأَلَهُ فِي طَرِيقِهِ إِلَىٰ أَنْ يَبْلُغَ مَنْزِلَهُ ، وَلَا يُسِيءَ ٱلظَّنَّ بِهِ فِي أَفْعَالٍ ظَاهِرُهَا مُنْكَرَةٌ عِنْدَهُ ، فَهُوَ أَعْلَمُ بِأَسْرَارِهِ ، وَلْيَذْكُرْ عِنْدَ ذَٰلِكَ قَوْلَ مُوسَىٰ لِلْخَضِرِ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ : ﴿ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ ، وَكَوْنَهُ مُخْطِئاً فِي إِنْكَارِهِ ٱعْتِمَاداً عَلَى ٱلظَّاهِرِ[1] .

---

(١) جاء في هامش (أ) : (فائدة من « الإحياء » ولفظها : « الوظيفة التاسعة : أن يكون قصد المتعلم في الحال : تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة ، وفي المآل : القرب من الله سبحانه والترقي إلىٰ جوار الملأ الأعلىٰ من الملائكة والمقربين ، ولا يَقْصِدْ به الرياسة والمال ، ومماراة السفهاء ، ومباهاة الأقران ، وإذا كان هـٰذا مقصده .. طلب لا محالة الأقرب إلىٰ مقصوده ؛ وهو علم الآخرة .

ومع هـٰذا فلا ينبغي أن ينظر بعين الحقارة إلىٰ سائر العلوم؛ أعني: علم الفتاوىٰ، وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة، وغير ذٰلك . =

وَإِنْ كَانَ لَكَ وَالِدَانِ .. فَأَدَبُ ٱلْوَلَدِ مَعَ ٱلْوَالِدَيْنِ : أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَهُمَا ، وَيَقُومَ لِقِيَامِهِمَا ، وَيَمْتَثِلَ أَمْرَهُمَا ، وَلَا يَمْشِيَ أَمَامَهُمَا ، وَلَا يَرْفَعَ صَوْتَهُ فَوْقَ أَصْوَاتِهِمَا ، وَيُلَبِّيَ دَعْوَتَهُمَا ، وَيَحْرِصَ عَلَىٰ طَلَبِ مَرْضَاتِهِمَا ، وَيَخْفِضَ لَهُمَا ٱلْجَنَاحَ ، وَلَا يَمُنَّ عَلَيْهِمَا بِٱلْبِرِّ لَهُمَا وَلَا بِٱلْقِيَامِ بِأَمْرِهِمَا ، وَلَا يَنْظُرَ إِلَيْهِمَا شَزْراً ، وَلَا يُقَطِّبَ وَجْهَهُ فِي

= ولا تفهمن من غلونا في الثناء علىٰ علم الآخرة تهجينَ هـٰذه العلوم ؛ فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور ، والمرابطين بها ، والغزاة يجاهدون في سبيل الله ؛ فمنهم المقاتل ، ومنهم الرِّدءُ ، ومنهم الذي يسقيهم الماء ، ومنهم الذي يحفظ أدواتهم ويتعهدهم ، ولا ينفك [أحد] منهم عن أجر إذا كان قصده إعلاء كلمة الله دون حيازة الغنائم ، فكذلك العلماء ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ . وقال عز وجل : ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ .

وبالجملة : فمن يعمل مثقال ذرة .. خيراً يره ، ومن يعمل مثال ذرة .. شراً يره ، ومن قصد الله عز وجل بالعلم ـ أيَّ : علم كان ـ .. نفعَهُ ورفعَهُ لا محالة . « إحياء » اهـ ملخصاً [١/ ٥٣]) .

وُجُوهِهِمَا ، وَلَا يُسَافِرَ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا[1] .

وَٱعْلَمْ : أَنَّ ٱلنَّاسَ بَعْدَ هَـٰؤُلَاءِ فِي حَقِّكَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ : إِمَّا أَصْدِقَاءُ ، وَإِمَّا مَعَارِفُ ، وَإِمَّا مَجَاهِيلُ .

فَإِنْ بُلِيتَ بِٱلْعَوَامِّ ٱلْمَجْهُولِينَ .. فَأَدَبُ مُجَالَسَةِ ٱلْعَامَّةِ : تَرْكُ ٱلْخَوْضِ مَعَهُمْ فِي حَدِيثِهِمْ ، وَقِلَّةُ ٱلْإِصْغَاءِ إِلَىٰ أَرَاجِيفِهِمْ ، وَٱلتَّغَافُلُ عَمَّا يَجْرِي مِنْ سُوءِ أَلْفَاظِهِمْ ، وَٱلِٱحْتِرَازُ عَنْ كَثْرَةِ لِقَائِهِمْ وَٱلْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ ، وَٱلتَّنْبِيهُ لَهُمْ عَلَىٰ مُنْكَرَاتِهِمْ بِٱللُّطْفِ وَٱلنُّصْحِ عِنْدَ رَجَاءِ ٱلْقَبُولِ مِنْهُمْ .

---

(١) جاء في هامش (أ) : (قال رجلٌ : يا رسول الله ؛ من أحقُّ بحسن صحابتي؟ فقال : « أمك » ، قال : ثم من؟ قال : « أمك » ، قال : ثم من؟ قال : « أمك » ، قلتَ : ثم من؟ قال : « أبوك » [خ ٥٩٧١] ، ويُروىٰ : « أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك » [م٢٥٤٨] .

وقال : « إن الله حرَّم عليكم : عقوق الأمهات ، ووأد البنات ، ومنعاً وهات . وكره لكم ثلاثاً : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » [خ٥٩٧٥] . « مصابيح » [٣/٣٤٨ـ٣٤٩] .

وَأَمَّا ٱلْإِخْوَةُ وَٱلْأَصْدِقَاءُ .. فَعَلَيْكَ فِيهِمْ وَظِيفَتَانِ :

● أَحَدُهُمَا : أَنْ تَطْلُبَ أَوَّلاً شُرُوطَ ٱلصُّحْبَةِ وَٱلصَّدَاقَةِ ، فَلَا تُؤَاخِ إِلَّا مَنْ يَصْلُحُ لِلْأُخُوَّةِ .

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ٱلْمَرْءُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ » [ت ٢٣٧٨] .

فَإِذَا طَلَبْتَ رَفِيقاً لِيَكُونَ شَرِيكَكَ فِي ٱلتَّعَلُّمِ ، وَصَاحِبَكَ فِي أَمْرِ دِينِكَ وَدُنْيَاكَ .. فَرَاعِ فِيهِ خَمْسَ خِصَالٍ :

ٱلْأُولَىٰ ـ ٱلْعَقْلُ :

فَلَا خَيْرَ فِي صُحْبَةِ ٱلْأَحْمَقِ(١) ، فَإِلَى ٱلْوَحْشَةِ وَٱلْقَطِيعَةِ يَرْجِعُ آخِرُهَا ، وَقَدْ يَضُرُّكَ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ ، وَٱلْعَدُوُّ ٱلْعَاقِلُ خَيْرٌ مِنَ ٱلصَّدِيقِ ٱلْأَحْمَقِ .

---

(١) جاء في هامش (أ) : (وقيل : إن قلب الأحمق في فيه ، ولسانه في قلبه) .

وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ :

وَلَا تَصْحَبْ أَخَا ٱلْجَهْلِ وَإِيَّـاكَ وَإِيَّـاهُ
فَكَـمْ مِـنْ جَـاهِـلٍ أَرْدَىٰ حَلِيمـاً حِيـنَ وَاخَـاهُ
يُقَـاسُ ٱلْمَـرْءُ بِـٱلْمَـرْءِ إِذَا مَـا هُـوَّ مَـاشَـاهُ
وَلِلشَّـيْءِ مِـنَ ٱلشَّـيْءِ مَقَـايِيـسٌ وَأَشْبَـاهُ
وَلِلْقَلْـبِ عَلَـى ٱلْقَلْـبِ دَلِيـلٌ حِيـنَ يَلْقَـاهُ

ٱلثَّانِيَةُ ـ حُسْنُ ٱلْخُلُقِ :

فَلَا تَصْحَبْ مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ(١) ، وَهُوَ ٱلَّذِي لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ ٱلْغَضَبِ وَٱلشَّهْوَةِ .

وَقَدْ جَمَعَهُ عَلْقَمَةُ ٱلْعُطَارِدِيُّ رَحِمَهُ ٱللهُ فِي وَصِيَّتِهِ لِٱبْنِهِ

---

(١) جاء في هامش (أ) : (وسئل سهل بن عبد الله رضي الله عنه عن حسن الخُلق فقال : أدناه الاحتمال ، وترك المكافأة ، والرحمة للظالم ، والدعاء له . وهـٰذه أخلاق المتصوفين . « آداب المريدين » [ص ٤٢]) .

لَمَّا حضَرَتْهُ ٱلْوَفَاةُ فقَالَ : (يَا بُنَيَّ ؛ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَصْحَبَ إِنْسَاناً .. فَٱصْحَبْ مَنْ إِذَا خَدَمْتَهُ صَانَكَ ، وَإِذَا صَحِبْتَهُ زَانَكَ ، وَإِنْ قَعَدَتْ بِكَ مَؤُنَةٌ مَانَكَ .

ٱصْحَبْ مَنْ إِذَا مَدَدْتَ يَدَكَ إِلَىٰ خَيْرٍ مَدَّهَا ، وَإِنْ رَأَىٰ مِنْكَ حَسَنَةً عَدَّهَا ، وَإِنْ رَأَىٰ مِنكَ سَيِّئَةً سَدَّهَا .

ٱصْحَبْ مَنْ إِذَا قُلْتَ صَدَّقَكَ ، وَإِذَا حَاوَلْتَ أَمْراً أَمَرَكَ ، وَإِنْ تَنَازَعْتُمَا فِي شَيْءٍ آثَرَكَ)[1] [إحياء ٢/ ١٧١] .

---

(١) جاء في هامش (أ) : (وكان أبو سعيد الثوري يقول : إذا أردت أن تؤاخي أخاً .. فأغضبه ، ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك ، فإن قال خيراً وكتم سرك .. فاصحبه .

ومن أفشى السِّر عند الغضب .. فهو اللئيم .

وقد قيل في ذٰلك :

وترى الكريم إذا تصرَّم وصله ... يخفي القبيح ويظهر الإحسانا
وترى اللئيم إذا تقضىٰ وصله ... يخفي الجميل ويظهر البهتانا

« إحياء » [٢/ ٢٢٣]) .

وَقَدْ قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ رَجزاً :

إِنَّ أَخَاكَ ٱلْحَقَّ مَنْ كَانَ مَعَكْ ... وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكْ

وَمَنْ إِذَا رَيْبُ ٱلزَّمَانِ صَدَّعَكْ ... شَتَّتَ فِيهِ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكْ(١)

ٱلثَّالِثَةُ ـ ٱلصَّلَاحُ :

فَلَا تَصْحَبْ فَاسِقاً مُصِرّاً عَلَىٰ مَعْصِيَةٍ كَبِيرَةٍ ؛ لِأَنَّ مَنْ يَخَافُ ٱللهَ لَا يُصِرُّ عَلَىٰ كَبِيرَةٍ ، وَمَنْ لَا يَخَافُ ٱللهَ لَا تُؤْمَنُ غَائِلَتُهُ ، بَلْ يَتَغَيَّرُ بِتَغَيُّرِ ٱلْأَغْرَاضِ .

قَالَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ .

---

(١) جاء في هامش (أ) : (وقيل : كل أحد يعرف بقرنائه ، وينسب إلىٰ خلطائه .

روي أنه وقف النبي صلى الله عليه وسلم علىٰ قوم فقال : « ألا أخبركم بخيركم من شركم؟ خيركم مَن يرجىٰ خيره ويؤمن شره ، وشركم من لا يرجىٰ خيره ولا يؤمن شره » [ت ٢٢٦٣]) .

فَٱحْذَرْ صُحْبَةَ ٱلْفَاسِقِ ، فَإِنَّ مُشَاهَدَةَ ٱلْفَاسِقِ وَٱلْمَعْصِيَةِ عَلَى ٱلدَّوَامِ تُزِيلُ عَنْ قَلْبِكَ وَقْعَ ٱلْمَعْصِيَةِ ، وَتُهَوِّنُ عَلَيْكَ أَمْرَهَا .. وَلِذَٰلِكَ هَانَ عَلَى ٱلْقُلُوبِ مَعْصِيَةُ ٱلْغِيبَةِ لِإِلْفِهِمْ لَهَا ، وَلَوْ رَأَوْا خَاتَماً مِنْ ذَهَبٍ أَوْ مَلْبُوساً مِنْ حَرِيرٍ عَلَىٰ فَقِيهٍ .. لَٱشْتَدَّ إِنْكَارُهُمْ عَلَيْهِ ، وَٱلْغِيبَةُ أَشَدُّ مِنْ ذَٰلِكَ .

ٱلرَّابِعَةُ ـ ٱلْحِرْصُ :

فَلَا تَصْحَبْ حَرِيصاً عَلَى ٱلدُّنْيَا ؛ فَصُحْبَةُ ٱلْحَرِيصِ عَلَى ٱلدُّنْيَا .. سُمٌّ قَاتِلٌ ؛ لِأَنَّ ٱلطِّبَاعَ مَجْبُولَةٌ عَلَى ٱلتَّشَبُّهِ وَٱلِٱقْتِدَاءِ ، بَلِ ٱلطَّبْعُ يَسْرِقُ مِنَ ٱلطَّبْعِ مِنْ حَيْثُ لَا تَدْرِي .

فَمُجَالَسَةُ ٱلْحَرِيصِ .. تَزِيدُ فِي حِرْصِكَ ، وَمُجَالَسَةُ ٱلزَّاهِدِ فِي ٱلدُّنْيَا .. تَزِيدُ فِي زُهْدِكَ[1] .

---

(١) جاء في هامش (أ) : (الزهد : هو ترك الحلال من الدنيا ، =

ٱلْخَامِسَةُ ـ ٱلصِّدْقُ :

فَلَا تَصْحَبْ كَذَّاباً ؛ فَإِنَّكَ مِنْهُ عَلَىٰ غُرُورٍ ، وَهُوَ مِثْلُ ٱلسَّرَابِ يُقَرِّبُ مِنكَ ٱلْبَعِيدَ وَيُبْعِدُ مِنْكَ ٱلْقَرِيبَ .

وَلَعَلَّكَ تَعْدَمُ ٱجْتِمَاعَ هَـٰذِهِ ٱلْخِصَالِ فِي سُكَّانِ ٱلْمَدَارِسِ وَٱلْمَجَالِسِ وَٱلْمَسَاجِدِ .

فَعَلَيْكَ بِأَحَدِ أَمْرَيْنِ :

إِمَّا : ٱلْعُزْلَةِ وَٱلِٱنْفِرَادِ ؛ فَفِيهَا سَلَامَتُكَ .

وَإِمَّا : أَنْ تَكُونَ مُخَالَطَتُكَ مَعَ شُرَكَائِكَ بِقَدْرِ صَالِحِ خِصَالِهِمْ ، وَذَٰلِكَ بِأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ ٱلْإِخْوَةَ ثَلَاثَةٌ :

ـ أَخٌ لِآخِرَتِكَ ؛ فَلَا تُرَاعِ فِيهِ إِلَّا ٱلدِّينَ .

ـ وَأَخٌ لِدُنْيَاكَ ؛ فَلَا تُرَاعِ فِيهِ إِلَّا ٱلْخُلُقَ ٱلْحَسَنَ .

= والعزوف عنها ، وعن شهواتها . « آداب » [ص ٤٣]) .

ـ وَأَخٌ لِتَسْتَأْنِسَ بِهِ ؛ فَلَا تُرَاعِ فيهِ إِلَّا ٱلسَّلَامَةَ مِنْ خُبْثِهِ وَشَرِّهِ .

وَٱلنَّاسُ ثَلَاثَةٌ :

ـ أَحَدُهُمْ : مَثَلُهُ مَثَلُ ٱلْغِذَاءِ لَا يُسْتَغْنَىٰ عَنْهُ .

ـ وَٱلْآخَرُ : مَثَلُهُ مَثَلُ ٱلدَّوَاءِ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ .

ـ وَٱلثَّالِثُ : مَثَلُهُ مَثَلُ ٱلدَّاءِ لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ قَطُّ[1] ، وَلَـٰكِنَّ ٱلْعَبْدَ قَدْ يُبْتَلَىٰ بِهِ ، وَهُوَ ٱلَّذِي لَا أُنْسَ فِيهِ وَلَا نَفْعَ مَعَهُ ، فَتَجِبُ مُدَارَاتُهُ إِلَى ٱلْخَلَاصِ مِنْهُ .

وَفِي مُشَاهَدَتِهِ فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ إِنْ وُفِّقْتَ لَهَا ؛ وَهُوَ أَنْ

---

(١) جاء في هامش (أ) : (وقد قيل : مصاحبة الأشرار خطر ، ومن صاحبهم .. فقد بالغ في الغَرَر ، وإنما مثله كمثل راكب البحر ؛ إن سلم ببدنه من التلف .. لم يسلم بقلبه من الحذر . « آداب المريدين » [ص ٨٣]) .

تُشَاهِدَ مِنْ خَبَائِثِهِ وَأَحْوَالِهِ مَا تَسْتَقْبِحُهُ فَتَجْتَنِبُهُ ، فَٱلسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ ، وَٱلْمُؤْمِنُ مِرْآةُ ٱلْمُؤْمِنِ .

وَقِيلَ لِعِيسَىٰ عَلَىٰ نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : مَنْ أَدَّبَكَ؟ فَقَالَ : (مَا أَدَّبَنِي أَحَدٌ ، وَلَـٰكِنْ رَأَيْتُ جَهْلَ ٱلْجَاهِلِ فَتَجَنَّبْتُهُ) [فيض ١/ ٦٥] .

وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ .

فَلَوِ ٱجْتَنَبَ ٱلنَّاسُ مَا يَكْرَهُونَهُ مِنْ غَيْرِهِمْ .. لَكَمُلَتْ آدَابُهُمْ وَٱسْتَغْنَوْا عَنِ ٱلْمُؤَدِّبِ .

● ٱلْوَظِيفَةُ ٱلثَّانِيَةُ : مُرَاعَاةُ حُقُوقِ ٱلصُّحْبَةِ ؛ فَمَهْمَا ٱنْعَقَدَتِ ٱلشِّرْكَةُ ، وَٱنْتَظَمَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ شَرِيكِكَ ٱلصُّحْبَةُ .. فَعَلَيْكَ حُقُوقٌ يُوجِبُهَا عَقْدُ ٱلصُّحْبَةِ ، وَفِي ٱلْقِيَامِ بِهَا آدَابٌ .

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَثَلُ ٱلْأَخَوَيْنِ مَثَلُ ٱلْيَدَيْنِ .. تَغْسِلُ إِحْدَاهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ » .

وَدَخَلَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجَمَةً[1] ، فَٱجْتَنَىٰ مِنْهَا سِوَاكَيْنِ ، أَحَدُهُمَا مُعْوَجٌّ ، وَٱلْآخَرُ مُسْتَقِيمٌ ، وَكَانَ مَعَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ ، فَأَعْطَاهُ ٱلْمُسْتَقِيمَ وَأَمْسَكَ لِنَفْسِهِ ٱلْمُعْوَجَّ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ أَنْتَ كُنْتَ أَحَقَّ بِٱلْمُسْتَقِيمِ مِنِّي ، فَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ صَاحِبٍ يَصْحَبُ صَاحِباً وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ .. إِلَّا وَسُئِلَ عَنْ صُحْبَتِهِ ، هَلْ أَقَامَ فِيهَا حَقَّ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، أَمْ أَضَاعَهُ ؟! » [طبري ٥/٥٣] .

وَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا ٱصْطَحَبَ ٱثْنَانِ قَطُّ إِلَّا وَكَانَ أَحَبُّهُمَا إِلَى ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَرْفَقَهُمَا بِصَاحِبِهِ » [طس ٢٨٩٩ بنحوه] .

فَآدَابُ ٱلصُّحْبَةِ : ٱلْإِيثَارُ بِٱلْمَالِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَـٰذَا .. فَبَذْلُ ٱلْفَضْلِ مِنَ ٱلْمَالِ عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ . وَٱلْإِعَانَةُ بِٱلنَّفْسِ فِي

---

(١) الأجمة : الشجر الكثيف الملتف .

ٱلْحَاجَاتِ عَلَىٰ سَبِيلِ ٱلْمُبَادَرَةِ مِنْ غَيْرِ إِحْوَاجٍ إِلَى ٱلِٱلْتِمَاسِ ، وَكِتْمَانُ ٱلسِّرِّ ، وَسَتْرُ ٱلْعُيُوبِ ، وَٱلسُّكُوتُ عَنْ تَبْلِيغِ مَا يَسُوؤُهُ مِنْ مَذَمَّةِ ٱلنَّاسِ إِيَّاهُ ، وَإِبْلَاغُ مَا يَسُرُّهُ مِنْ ثَنَاءِ ٱلنَّاسِ عَلَيْهِ ، وَحُسْنُ ٱلْإِصْغَاءِ عِنْدَ ٱلْحَدِيثِ ، وَتَرْكُ ٱلْمُمَارَاةِ لَهُ ، وَأَنْ يَدْعُوَهُ بِأَحَبِّ ٱلْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ[1] ،

---

(١) جاء في هامش (أ) : (ويستحب إجابة من ناداك بـ« لبيك وسعديك » ، أو « لبيك » وحدها . ويستحب أن يقول لمن ورد عليه : « مرحبا » ، وأن يقول لمن أحسن إليه أو رأىٰ منه فعلاً جميلاً : « حفظك الله » أو : « جزاك الله خيراً » ، وما أشبهه . « أذكار » [ص٣٥٢] .

ويجوز للإنسان ذكر من يتبعه من ولد أو غلام أو متعلم أو نحوهم باسم قبيح ليزجره ويؤدبه عن القبيح ويروض نفسه ؛ كقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن بُسْر ـ بضم الباء الموحدة وإسكان المهملة ـ لما أكل من قطف العنب قبل أن يُبَلّغه إياه فأخذ بإذنه وقال : « يا غُدَر » [سني ٤٠١] .

قال في « الأذكار » [ص٤٥٣] : ومن الألفاظ المذمومة المستعملة في العادة قوله لمن يخاصمه : « يا حمار ، يا كلب ، يا تيس » ونحو ذلك.. فهٰذا قبيح لوجهين ؛ أحدهما : أنه كذب ، والآخر : أنه =

وَأَنْ يُثْنِيَ عَلَيْهِ بِمَا يَعْرِفُ مِنْ مَحَاسِنِهِ ، وَأَنْ يَشْكُرَهُ عَلَىٰ صَنِيعِهِ فِي حَقِّهِ ، وَأَنْ يَذُبَّ عَنْهُ فِي غَيْبَتِهِ إِذَا تُعُرِّضَ لِعِرْضِهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ ، وَأَنْ يَنْصَحَهُ بِٱللُّطْفِ وَٱلتَّعْرِيضِ إِذَا ٱحْتَاجَ إِلَيْهِ ، وَأَنْ يَعْفُوَ عَنْ زَلَّتِهِ وَهَفْوَتِهِ وَلَا يَعْتِبَ عَلَيْهِ ، وَأَنْ يَدْعُوَ لَهُ فِي صَلَاتِه فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ ، وَأَنْ يُحْسِنَ ٱلْوَفَاءَ مَعَ أَهْلِهِ وَأَقَارِبِه بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَأَنْ يُؤْثِرَ ٱلتَّخْفِيفَ عَنْهُ فَلَا يُكَلِّفَهُ شَيْئاً مِنْ حَاجَاتِهِ ، فَيُرَوِّحَ سِرَّهُ عَنْ مُهِمَّاتِهِ ، وَأَنْ يُظْهِرَ ٱلْفَرَحَ بِجَمِيعِ مَا يَنَالُهُ لَهُ مِنْ مَسَرَّاتِهِ ، وَٱلْحُزْنَ بِمَا يَنَالُهُ مِنْ مَكَارِهِهِ ، وَأَنْ يُضْمِرَ لَهُ مِثْلَ مَا يُظْهِرُ ؛ فَيَكُونَ صَادِقاً فِي حُبِّهِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً ، وَأَنْ يَبْدَأَهُ بِٱلسَّلَامِ عِنْدَ إِقْبَالِهِ ، وَأَنْ يُوَسِّعَ لَهُ فِي ٱلْمَجْلِسِ ، وَأَنْ يَخْرُجَ لَهُ عَنْ

= بَذَاء ، وهو بخلاف قوله : « يا ظالم » ونحوه ؛ فإن ذٰلك يتسامح به لضرورة المخاصمة ، مع أنه يصدق غالباً ، فقلَّ إنسانٌ إلا وهو ظالم لنفسه) .

مَكَانِهِ ، وَأَنْ يُشَيِّعَهُ عِنْدَ قِيَامِهِ ، وَأَنْ يَصْمُتَ عِنْدَ كَلَامِهِ حَتَّىٰ يَفْرُغَ مِنْ خِطَابِهِ ، وَأَنْ يَتْرُكَ ٱلْمُدَاخَلَةَ فِي كَلَامِهِ .

وَعَلَى ٱلْجُمْلَةِ : فَيُعَامِلُهُ بِمَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ أَنْ يُعَامَلَ بِهِ .

فَمَنْ لَا يُحِبُّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ .. فَأُخُوَّتُهُ نِفَاقٌ ، وَهُوَ عَلَيْهِ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَبَالٌ .

فَهَٰذَا أَدَبُكَ فِي حَقِّ ٱلْعَوَامِّ ٱلْمَجْهُولِينَ ، وَفِي حَقِّ ٱلْأَصْدِقَاءِ ٱلْمُؤَاخِينَ .

وَأَمَّا ٱلْقِسْمُ ٱلثَّالِثُ ـ وَهُمُ ٱلْمَعَارِفُ ـ .. فَٱحْذَرْ مِنْهُمْ ، فَإِنَّكَ لَا تَرَى ٱلشَّرَّ إِلَّا مِمَّنْ تَعْرِفُهُ .

أَمَّا ٱلصَّدِيقُ .. فَيُعِينُكَ ، وَأَمَّا ٱلْمَجْهُولُ .. فَلَا يَتَعَرَّضُ لَكَ ، وَإِنَّمَا ٱلشَّرُّ كُلُّهُ مِنَ ٱلْمَعَارِفِ ٱلَّذِينَ يُظْهِرُونَ ٱلصَّدَاقَةَ بِأَلْسِنَتِهِمْ .

فَأَقْلِلْ مِنَ ٱلْمَعَارِفِ مَا قَدَرْتَ .

فَإِذَا بُلِيتَ بِهِمْ فِي مَدْرَسَةٍ أَوْ جَامِعٍ أَوْ مَسْجِدٍ أَوْ سُوقٍ

أَوْ بَلَدٍ .. فَيَجِبُ أَنْ لَا تَسْتَصْغِرَ مِنْهُمْ أَحداً ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي لَعَلَّهُ خَيْرٌ مِنْكَ ، وَلَا تَنظُرْ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ ٱلتَّعْظِيمِ لَهُمْ فِي حَالِ دُنْيَاهُمْ فَتَهْلِكَ ؛ لِأَنَّ ٱلدُّنْيَا صَغِيرَةٌ عِنْدَ ٱللهِ صَغِيرٌ مَا فِيهَا ، وَمَهْمَا عَظُمَ أَهْلُ ٱلدُّنْيَا فِي قَلْبِكَ .. فَقَدْ سَقَطْتَ مِنْ عَيْنِ ٱللهِ تَعَالَىٰ .

وَإِيَّاكَ أَنْ تَبْذُلَ لَهُمْ دِينَكَ لِتَنَالَ دُنْيَاهُمْ ، فَلَا يَفْعَلُ ذَٰلِكَ أَحَدٌ قَطُّ إِلَّا صَغُرَ فِي أَعْيُنِهِمْ ، ثُمَّ حُرِمَ مَا عِنْدَهُمْ .

وَإِنْ عَادَوْكَ .. فَلَا تُقابِلْهُمْ بِٱلْعَدَاوَةِ ، فَإِنَّكَ لَا تُطِيقُ ٱلصَّبْرَ عَلَىٰ مُكَافَأَتِهِمْ ، فَيَذْهَبَ دِينُكَ فِيهِمْ ، وَيَطُولَ عَنَاؤُكَ مَعَهُمْ .

وَلَا تَسْكُنْ إِلَيْهِمْ فِي حَالَ إِكْرَامِهِمْ إِيَّاكَ وَثَنَائِهِمْ عَلَيْكَ فِي وَجْهِكَ ، وَإِظْهَارِهِمُ ٱلْمَوَدَّةَ لَكَ ، فَإِنَّكَ لَوْ طَلَبْتَ حَقِيقَةَ ذَٰلِكَ لَمْ تَجِدْ فِي ٱلْمِئَةِ إِلَّا وَاحِداً ، وَلَا تَطْمَعْ أَنْ يَكُونُوا لَكَ فِي ٱلسِّرِّ وَٱلْعَلَنِ وَاحِداً ، وَلَا تَتَعَجَّبْ إِنْ ثَلَبُوكَ

فِي ٱلْغَيْبَةِ ، وَلَا تَغْضَبْ مِنْهُم ؛ فَإِنَّكَ لَوْ أَنْصَفْتَ وَجَدْتَ مِنْ نَفْسِكَ مِثْلَ ذَٰلِكَ حَتَّىٰ فِي أَصْدِقَائِكَ وَأَقَارِبِكَ ؛ بَلْ فِي أُسْتَاذِكَ وَوَالِدَيْكَ ، فَإِنَّكَ تَذْكُرُهُمْ فِي ٱلْغَيْبَةِ بِمَا لَا تُشَافِهُهُمْ بِهِ ، فَٱقْطَعْ طَمَعَكَ عَنْ مَالِهِمْ وَجَاهِهِمْ وَمَعُونَتِهِمْ ، فَإِنَّ ٱلطَّامِعَ فِي ٱلْأَكْثَرِ خَائِبٌ فِي ٱلْمَآلِ ، وَهُوَ ذَلِيلٌ لَا مَحَالَةَ فِي ٱلْحَالِ .

وَإِذَا سَأَلْتَ وَاحِداً حَاجَةً فَقَضَاهَا .. فَٱشْكُرِ ٱللهَ تَعَالَىٰ وَٱشْكُرْهُ ، وَإِنْ قَصَّرَ .. فَلَا تُعَاتِبْهُ ، وَلَا تَشْكُهِ فَتَصِيرَ عَدَاوَةً .

وَكُنْ كَٱلْمُؤْمِنِ يَطْلُبُ ٱلْمَعَاذِيرَ ، وَلَا تَكُنْ كَٱلْمُنَافِقِ يَطْلُبُ ٱلْعُيُوبَ .

فَقُلْ لَعَلَّهُ قَصَّرَ لِعُذْرٍ لَهُ لَمْ أَطَّلِعْ عَلَيْهِ .

وَلَا تَعِظَنَّ أَحَداً مِنْهُمْ مَا لَمْ تَتَوَسَّمْ فِيهِ أَوَّلاً مَخَايِلَ ٱلْقَبُولِ ، وَإِلَّا .. لَمْ يُسْمَعْ مِنْكَ ، وَصَارَ خَصْماً عَلَيْكَ .

وَإِذَا أَخْطَؤُوا فِي مَسْأَلَةٍ ، وَكَانُوا يَأْنَفُونَ عَنِ ٱلتَّعْلِيمِ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ .. فَلَا تُعَلِّمْهُمْ ، فَإِنَّهُمْ يَسْتَفِيدُونَ مِنْكَ عِلْماً ، وَيُصْبِحُونَ لَكَ أَعْدَاءً ، إِلَّا إِذَا تَعَلَّقَ ذَٰلِكَ بِمَعْصِيَةٍ يُقَارِفُونَهَا عَنْ جَهْلٍ ، فَٱذْكُرِ ٱلْحَقَّ بِلُطْفٍ مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ .

وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ كَرَامَةً وَخَيْراً .. فَٱشْكُرِ ٱللهَ ٱلَّذِي حَبَّبَكَ إِلَيْهِمْ .

وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ شَرّاً .. فَكِلْهُمْ إِلَى ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَٱسْتَعِذْ بِٱللهِ مِنْ شَرِّهِمْ ، وَلَا تُعَاتِبْهُمْ ، وَلَا تَقُلْ لَهُمْ : (لِمَ لَمْ تَعْرِفُوا حَقِّي) وَ(أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ) ، وَ(أَنَا ٱلْفَاضِلُ فِي ٱلْعُلُومِ) ؛ فَإِنَّ ذَٰلِكَ كَلَامُ ٱلْحَمْقَىٰ ، وَأَشَدُّ ٱلنَّاسِ حَمَاقَةً مَنْ يُزَكِّي نَفْسَهُ وَيُثْنِي عَلَيْهَا .

وَٱعْلَمْ : أَنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُسَلِّطْهُمْ عَلَيْكَ إِلَّا لِذَنْبٍ سَبَقَ مِنْكَ ، فَٱسْتَغْفِرِ ٱللهَ مِنْ ذَنْبِكَ ، وَٱعْلَمْ أَنَّ ذَٰلِكَ عُقُوبَةٌ مِنَ ٱللهِ لَكَ .

وَكُنْ فِيمَا بَيْنَهُمْ سَمِيعاً لِحَقِّهِمْ ، أَصَمَّ عَنْ بَاطِلِهِمْ ، نَطُوقاً بِمَحَاسِنِهِمْ ، صَمُوتاً عَنْ مَسَاوِيهِمْ .

وَٱحْذَرْ مُخَالَطَةَ مُتَفَقِّهَةِ ٱلزَّمَانِ ، لَا سِيَّمَا ٱلْمُشْتَغِلِينَ بِٱلْخِلَافِ وَٱلْجِدَالِ مِنْهُمْ ، فَإِنَّهُمْ يَتَرَبَّصُونَ بِكَ لِحَسَدِهِمْ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ، وَيَقْطَعُونَ عَلَيْكَ بِٱلظُّنُونِ ، وَيَتَغَامَزُونَ عَلَيْكَ بِٱلْعُيُونِ ، وَيُحْصُونَ عَلَيْكَ عَثَرَاتِكَ فِي حَالِ عِشْرَتِهِمْ ، حَتَّىٰ يَجْبَهُوكَ بِهَا فِي غَضَبِهِمْ وَمُنَاظَرَتِهِمْ ، لَا يُقِيلُونَ لَكَ عَثْرَةً ، وَلَا يَغْفِرُونَ لَكَ زَلَّةً ، وَلَا يَسْتُرُونَ لَكَ عَوْرَةً .

يُحَاسِبُونَ عَلَى ٱلنَّقِيرِ وَٱلْقِطْمِيرِ ، وَيَحْسُدُونَ عَلَى ٱلْقَلِيلِ وَٱلْكَثِيرِ ، وَيُحَرِّضُونَ عَلَيْكَ ٱلْإِخْوَانَ بِٱلنَّمِيمَةِ وَٱلْبَلَاغَاتِ وَٱلْبُهْتَانِ .

إِنْ رَضُوا .. فَظَاهِرُهُمُ ٱلْمَلَقُ ، وَإِنْ سَخِطُوا .. فَبَاطِنُهُمُ ٱلْحَنَقُ .

ظاهِرُهُمْ ثِيَابٌ ، وَبَاطِنُهُمْ ذِئَابٌ .

هَـٰذَا مَا قَطَعَتْ بِهِ ٱلْمُشَاهَدَةُ مِنْ أَكْثَرِهِمْ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ، فَصُحْبَتُهُمْ خُسْرَانٌ، وَمُعَاشَرَتُهُمْ خِذْلَانٌ.

هَـٰذَا حُكْمُ مَنْ يُظْهِرُ لَكَ ٱلصَّدَاقَةَ .. فَكَيْفَ مَنْ يُجَاهِرُكَ بِٱلْعَدَاوَةِ؟

وَكُنْ كَمَا قِيلَ [في « يتيمة الدهر » ٣/ ١٢٧ من مجزوء الكامل] :

ٱحْـذَرْ عَـدُوَّكَ مَـرَّةً   وَٱحْذَرْ صَدِيقَكَ أَلْفَ مَرَّهْ
فَلَـرُبَّمَـا ٱنقَلَـبَ ٱلصَّـدِيـ   ـقُ فَكَانَ أَعْرَفَ بِٱلْمَضَرَّهْ

كَذَٰلِكَ قِيلَ [في « المثل السائر » ١/ ٣١٥ من الوافر] :

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ   فَلَا تَسْتَكْثِرَنَّ مِنَ ٱلصِّحَابِ
فَـإِنَّ ٱلـدَّاءَ أَكْثَـرُ مَـا تَـرَاهُ   يَكُونُ مِنَ ٱلطَّعَامِ أَوِ ٱلشَّرَابِ

وَكُنْ كَمَا قَالَ هِلَالُ بْنُ ٱلْعَلَاءِ ٱلرَّقِّيُّ [من البسيط] :

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَىٰ أَحَدٍ   أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ ٱلْعَدَاوَاتِ

إِنِّي أُحَيِّي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ ... لِأَدْفَعَ ٱلشَّرَّ عَنِّي بِٱلتَّحِيَّاتِ
وَأُظْهِرُ ٱلْبِشْرَ لِلْإِنْسَانِ أُبْغِضُهُ ... كَأَنَّهُ قَدْ مَلَا قَلْبِي مَسَرَّاتِ
وَلَسْتُ أَسْلَمُ مِمَّنْ لَسْتُ أَعْرِفُهُ ... فَكَيْفَ أَسْلَمُ مِنْ أَهْلِ ٱلْمَوَدَّاتِ
ٱلنَّاسُ دَاءٌ ، دَوَاءُ ٱلنَّاسِ تَرْكُهُمُ ... وَفِي ٱلْجَفَاءِ لَهُمْ قَطْعُ ٱلْأُخُوَّاتِ
فَسَالِمِ ٱلنَّاسَ تَسْلَمْ مِنْ غَوَائِلِهِمْ ... وَكُنْ حَرِيصاً عَلَىٰ كَسْبِ ٱلْمُرُوَّاتِ
فَخَالِقِ ٱلنَّاسَ وَٱصْبِرْ مَا بَقِيتَ لَهُمْ ... أَصَمَّ أَبْكَمَ أَعْمَىٰ ذَا تَقِيَّاتِ

وَكُنْ كَمَا قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : (ٱلْقَ صَدِيقَكَ وَعَدُوَّكَ بِوَجْهٍ وَاحِدٍ وَهُوَ ٱلرِّضَا ، مِنْ غَيْرِ مَذَلَّةٍ لَهُمْ وَلَا هَيْبَةٍ مِنْهُمْ ، وَتَوَقَّرْ مِنْ غَيْرِ كِبْرٍ ، وَتَوَاضَعْ مِنْ غَيْرِ مَذَلَّةٍ ، وَكُنْ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ فِي أَوْسَطِهَا ، فَكِلَا طَرَفَيْ قَصْدِ ٱلْأُمُورِ ذَمِيمٌ[١] ، وَلَا تَنْظُرْ فِي عِطْفَيْكَ ، وَلَا تُكْثِرِ ٱلِٱلْتِفَاتَ ، وَلَا

---

(١) كما قيل :
عليك بأوساط ٱلأمور فإنها ... طريق إلىٰ نهج ٱلصراط قويم
ولا تك فيها مفرطاً أو مفرطاً ... فإن كلا حال ٱلأمور ذميم

تَقِفْ عَلَى ٱلْجَمَاعَاتِ ، وَإِذَا جَلَسْتَ .. فَلَا تَسْتَوْفِزْ ، وَتَحَفَّظْ مِنْ تَشْبِيكِ أَصَابِعِكَ ، وَٱلْعَبَثِ بِلِحْيَتِكَ وَخَاتَمِكَ ، وَتَخْلِيلِ أَسْنَانِكَ ، وَإِدْخَالِ إِصْبَعِكَ فِي أَنْفِكَ ، وَكَثْرَةِ بُصَاقِكَ وَتَنَخُّمِكَ ، وَطَرْدِ ٱلذُّبَابِ عَنْ وَجْهِكَ ، وَكَثْرَةِ ٱلتَّمَطِّي وَٱلتَّثَاؤُبِ فِي وُجُوهِ ٱلنَّاسِ ، وَفِي ٱلصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا .

وَلْيَكُنْ مَجْلِسُكَ هَادِئاً ، وَحَدِيثُكَ مَنْظُوماً مُرَتَّباً .

وَأَصْغِ إِلَى ٱلْكَلَامِ ٱلْحَسَنِ مِمَّنْ حَدَّثَكَ مِنْ غَيْرِ إِظْهَارِ تَعَجُّبٍ مُفْرِطٍ ، وَلَا تَسْأَلْهُ إِعَادَتَهُ ، وَٱسْكُتْ عَنِ ٱلْمَضَاحِكِ وَٱلْحِكَايَاتِ ، وَلَا تُحَدِّثْ عَنْ إِعْجَابِكَ بِوَلَدِكَ وَشِعْرِكَ وَكَلَامِكَ وَتَصْنِيفِكَ وَسَائِرِ مَا يَخُصُّكَ .

وَلَا تَتَصَنَّعْ تَصَنُّعَ ٱلْمَرْأَةِ فِي ٱلتَّزَيُّنِ ، وَلَا تَتَبَذَّلْ تَبَذُّلَ ٱلْعَبْدِ ، وَتَوَقَّ كَثْرَةَ ٱلْكُحْلِ وَٱلْإِسْرَافَ فِي ٱلدُّهْنِ .

وَلَا تُلِحَّ فِي ٱلْحَاجَاتِ ، وَلَا تُشَجِّعْ أَحَداً عَلَى ٱلظُّلْمِ ،

وَلَا تُعْلِمْ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ ـ فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِمْ ـ مِقْدَارَ مَالِكَ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ رَأَوْهُ قَلِيلاً .. هُنْتَ عَلَيْهِمْ ، وَإِنْ كَانَ كَثِيراً .. لَمْ تَبْلُغْ قَطُّ رِضَاهُمْ ، وَٱجْفُهُمْ مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ ، وَلِنْ لَهُمْ مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ ، وَلَا تُهَازِلْ أَمَتَكَ وَلَا عَبْدَكَ فَيَسْقُطَ وَقَارُكَ .

وَإِذَا خَاصَمْتَ .. فَتَوَقَّ وَتَحَفَّظْ مِنْ جَهْلِكَ وَعَجَلَتِكَ ، وَتَفَكَّرْ فِي حُجَّتِكَ ، وَلَا تُكْثِرِ ٱلْإِشَارَةَ بِيَدِكَ ، وَلَا تُكْثِرِ ٱلِٱلْتِفَاتَ إِلَىٰ مَنْ وَرَاءَكَ ، وَلَا تَجْثُ عَلَىٰ رُكْبَتَيْكَ .

فَإِذَا هَدَأَ غَضَبُكَ .. فَتَكَلَّمْ . وَإِذَا قَرَّبَكَ ٱلسُّلْطَانُ .. فَكُنْ مِنْهُ عَلَىٰ مِثْلِ حَدِّ ٱلسِّنَانِ[1] .

---

(١) جاء في هامش (أ) : (وقال أبو ذر لسلمة : يا سلمة ؛ لا تغشَ أبواب السلاطين ؛ فإنك لا تصيب [شيئاً] من دنياهم .. إلا أصابوا من دينك أفضلَ منه .

وهـٰذه فتنة عظيمة للعلماء ، وذريعة صعبة للشيطان عليهم ، لا سيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو ؛ فلا يزال الشيطان يلقي إليه : =

. . . .

= أنَّ في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يردهم عن الظلم ، ويقيم شعائر الشرع . إلىٰ أن يخيل إليه أن الدخول عليهم من الدين ، ثم إذا دخل .. لم يلبث أن يتلطف في الكلام ويداهن ، ويخوض في الثناء والإطراء ، وفيه هلاك الدين .

ولم يزل السلف ـ مثل الحسن ، والثوري ، وابن المبارك ، والفضيل ، وإبراهيم بن أدهم ، ويوسف بن أسباط ـ يتكلمون في علماء الدنيا من أهل مكة والشام وغيرهم إما لميلهم إلى الدنيا ، وإما لمخالطتهم السلاطين . « إحياء » المؤلف [١/ ٦٩] .

وأما مجانبة السُّلطان : فلأنَّ مخالطته تدعو إلىٰ موافقته في ظلمه ، وتصديقه علىٰ كذبه .

ثمَّ يحشر صاحب هـٰذه الصِّفة معهم ؛ كما قال الله تعالىٰ : ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ قيل : معناه : وأعوانهم [وأشياعهم] .

ويروىٰ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : « سيكونُ بعدي أمراء ، فمن دخل عليهم فصدَّقهم بكذبهم ، وأعانهم علىٰ ظلمهم .. فليس منِّي ولا أنا منه ، ولا يَرِدُ الحوض » [حب ٢٨٤] .

وفي بعض الأخبار : شرار العلماء .. أقربهم إلى الأمراء ، وخيار الأمراء .. أقربهم إلى العلماء . اهـ

وأما مخالفة الظُّلم والظَّلمة : فلقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ فإن كان الرُّكون إلى الظَّالمين مورثاً للنَّار ..

وَإِيَّاكَ وَصَدِيقَ ٱلْعَافِيَةِ ؛ فَإِنَّهُ أَعْدَى ٱلْأَعْدَاءِ ، وَلَا تَجْعَلْ مَالَكَ أَكْرَمَ مِنْ عِرْضِكَ) [إحياء ٢/ ١٩٢] .

❊ ❊ ❊

فَهَـٰذَا ٱلْقَدْرُ يَا فَتَىٰ يَكْفِيكَ فِي بِدَايَةِ ٱلْهِدَايَةِ ، فَجَرِّبْ بِهَا نَفْسَكَ فَإِنَّهَا ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ :

قِسْمٌ فِي أَدَاءِ ٱلطَّاعَاتِ ، وَقِسْمٌ فِي تَرْكِ ٱلْمَعَاصِي ، وَقِسْمٌ فِي مُخَالَطَةِ ٱلْخَلْقِ .

وَهِيَ جَامِعَةٌ لِجُمَلِ مُعَامَلَةِ ٱلْعَبْدِ مَعَ ٱلْخَالِقِ وَٱلْخَلْقِ .

= فأولىٰ أن تكون مخالفتهم مورثةً لدار القرار .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إيَّاكم والظُّلم ؛ فإن الظُّلم ظلمات يوم القيامة » [حم ٢/ ١٠٥] .

وقال سلمان لرجلٍ من أصحابه : أتدري ما ظلمة يوم القيامة؟ قال : لا . قال : ظلمة يوم القيامة من ظلم الخلق . منه [(خ) روضة الأنس للمخلصين]) .

فَإِنْ رَأَيْتَهَا مُنَاسِبَةً لِنَفْسِكَ ، وَرَأَيْتَ قَلْبَكَ مَائِلاً إِلَيْهَا ، رَاغِباً فِي ٱلْعَمَلِ بِهَا .. فَٱعْلَمْ أَنَّكَ عَبْدٌ نَوَّرَ ٱللهُ بِٱلْإِيمَانِ قَلْبَكَ ، وَشَرَحَ لَهُ صَدْرَكَ .

وَتَحَقَّقْ أَنَّ لِهَـٰذِهِ ٱلْبِدَايَةِ نِهَايَةً ، وَوَرَاءَهَا أَسْرَارٌ وَأَغْوَارٌ وَعُلُومٌ وَمُكَاشَفَاتٌ ، وَقَدْ أَوْدَعْنَاهَا كِتَابَ « إِحْيَاءِ عُلُومِ ٱلدِّينِ » ، فَٱشْتَغِلْ بِتَحْصِيلِهِ .

وَإِنْ رَأَيْتَ نَفْسَكَ تَسْتَثْقِلُ ٱلْعَمَلَ بِهَـٰذِهِ ٱلْوَظَائِفِ ، وَتَسْتَكْثِرُ هَـٰذَا ٱلْفَنَّ مِنَ ٱلْعِلْمِ ، وَتَقُولُ لَكَ أَنَّىٰ يَنْفَعُكَ هَـٰذَا ٱلْعِلْمُ فِي مَحَافِلِ ٱلْعُلَمَاءِ ، وَمَتَىٰ يُقَدِّمُكَ هَـٰذَا عَلَى ٱلْأَقْرَانِ وَٱلنُّظَرَاءِ ، وَكَيْفَ يَرْفَعُ مَنْصِبَكَ فِي مَجَالِسِ ٱلْأُمَرَاءِ وَٱلْوُزَرَاءِ ، وَكَيْفَ لَهُ أَنْ يُوصِلَكَ إِلَى ٱلصِّلَةِ وَٱلْأَرْزَاقِ وَوِلَايَةِ ٱلْأَوْقَافِ وَٱلْقَضَاءِ؟ .. فَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلشَّيْطَانَ قَدْ أَغْوَاكَ وَأَنْسَاكَ مُنْقَلَبَكَ وَمَثْوَاكَ .

فَٱطْلُبْ شَيْطَاناً مِثْلَكَ لِيُعَلِّمَكَ مَا تَظُنُّ أَنَّهُ يُوصِلُكَ إِلَىٰ بُغْيَتِكَ .

ثُمَّ ٱعْلَمْ : أَنَّهُ قَطُّ لَا يَصْفُو لَكَ ٱلْمُلْكُ فِي مَحَلَّتِكَ ، فَضْلاً عَنْ قَرْيَتِكَ أَوْ بَلَدِكَ ، ثُمَّ يَفُوتُكَ بِهِ ٱلْمُلْكُ ٱلْمُقِيمُ وَٱلنَّعِيمُ ٱلدَّائِمُ فِي جِوَارِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ .

وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ، وَٱلْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ، وَصَلَّى ٱللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ[1] .

---

(١) جاء في خاتمة النسخة (أ) : (ووافق ٱلفراغ من نسخه يوم ٱلجمعة ٱلسادس عشر من ربيع ٱلآخر سنة ست وتسعين وخمس مئة . وٱلحمد لله علىٰ إحسانه .

كتبه ٱلعبد ٱلفقير إلىٰ رحمة ٱلله عبد ٱلعزيز بن هبة ٱلله بن عساكر ٱلقيسراني حامدا ٱلله ومصليا علىٰ نبيه محمد وآله ومسلماً) .

وجاء في خاتمة النسخة (ب) : (تم « بداية الهداية » بعون الله وحسن توفيقه ، والحمد لله رب العالمين) .

وجاء في خاتمة المجموع للنسخة (ب) : (قد وقع الفراغ في =



= استنساخ هٰذا الكتاب الشريف في يوم الأحد من شهر جمادى الأول ، في زمان سليم كراي خان بن بهادر كراي خان ، خلَّد الله دولته ، سنة سبع وثمانين وألف من الهجرة النبوية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم) .

وجاء في خاتمة النسخة (د) : (تم كتاب « بداية الهداية » بحمد الله ولطفه وحسن توفيقه ، بتاريخ يوم الأحد الرابع عشر في رمضان سنة ثلاث وتسع مئة من الهجرة النبوية علىٰ صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

بخط الفقير إلىٰ كرم الله اللطيف الخبير ، المعترف بالذنب والتقصير : عبد الله بن أبي بكر . . . . . لطف الله به وغفر له ولوالديه وللناظر في الكتاب وصاحبه وقارئه ومستمعه والداعي للجميع بخير بمنه وكرمه ؛ إنه هو الغفور الرحيم ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

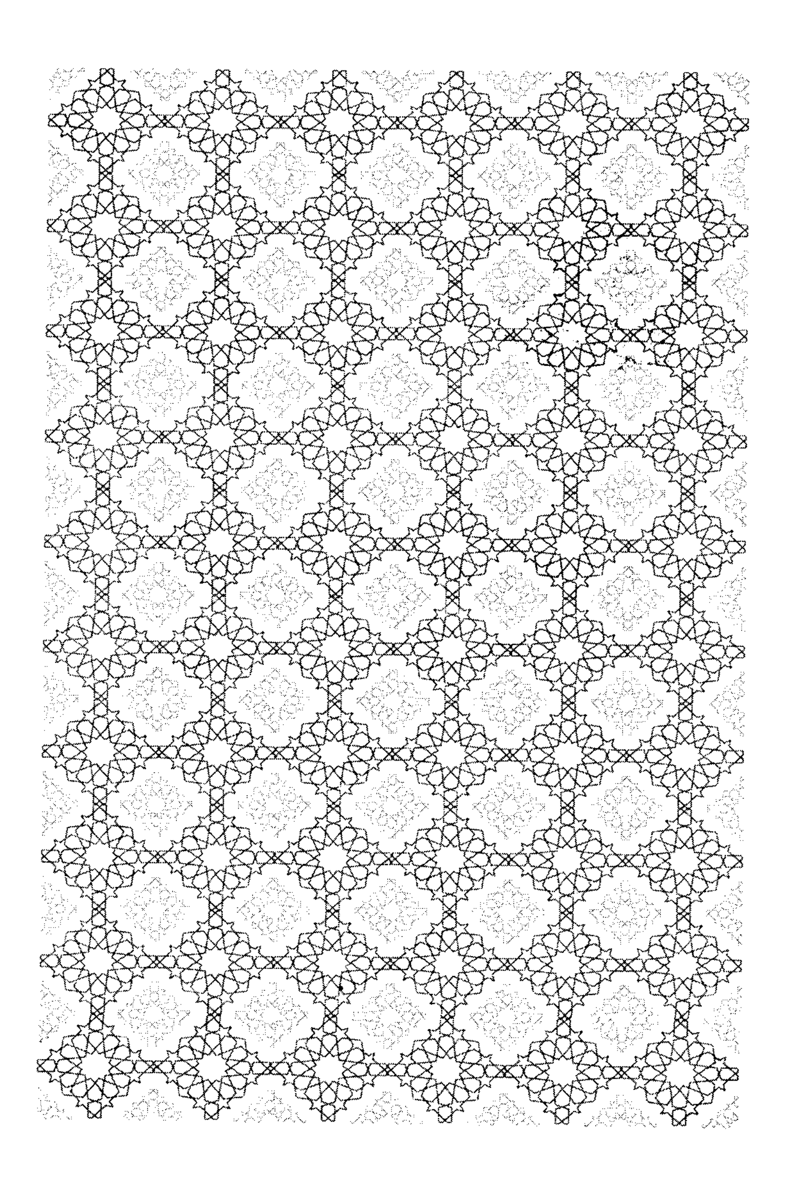
بلغ مقابلة يوم الإثنين حادي عشر رجب الأصب في الرابع بعد تسع مئة من هجرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم) .



عَقِيدَةُ الإِمَامِ الغَزَالِيِّ

وَهِيَ تَرْجَمَةُ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي كَلِمَتَيِ الشَّهَادَةِ

الَّتِي هِيَ إِحْدَى مَبَانِي الإِسْلَامِ



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١)

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلْمُبْدِئِ ٱلْمُعِيدِ ، ٱلْفَعَّالِ لِمَا يُرِيدُ ، ذِي ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدِ ، وَٱلْبَطْشِ ٱلشَّدِيدِ ، ٱلْهَادِي صَفْوَةَ ٱلْعَبِيدِ ، إِلَى ٱلْمَنْهَجِ ٱلرَّشِيدِ ، وَٱلْمَسْلَكِ ٱلسَّدِيدِ ، ٱلْمُنْعِمِ عَلَيْهِمْ بَعْدَ شَهَادَةِ ٱلتَّوْحِيدِ بِحِرَاسَةِ عَقَائِدِهِمْ عَنْ ظُلُمَاتِ ٱلتَّشْكِيكِ وَٱلتَّرْدِيدِ ، ٱلسَّائِقِ لَهُمْ إِلَى ٱتِّبَاعِ رَسُولِهِ ٱلْمُصْطَفَىٰ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً ، وَٱقْتِفَاءِ آثَارِ صَحْبِهِ ٱلْأَكْرَمِينَ ٱلْمُكَرَّمِينَ بِٱلتَّأْيِيدِ وَٱلتَّسْدِيدِ ، ٱلْمُتَجَلِّي لَهُمْ فِي ذَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ بِمَحَاسِنِ أَوْصَافِهِ ٱلَّتِي لَا يُدْرِكُهَا إِلَّا

---

(١) تم إلحاق عقيدة الإمام الغزالي هنا نظراً لوجودها في المخطوطة (أ)، لكونها أقرب إلى عهد المؤلف، وهي قد انفردت بإثبات «عقيدة الإمام» عن سائر المخطوطات ، علماً بأن هـٰذه العقيدة مثبتة أيضاً في كتابه القيم «إحياء علوم الدين» .
فآثرنا وضعها هنا لِمَا لها من أهمية ، ونفعاً للأمة ، والله الموفق .

مَنْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ، ٱلْمُعَرِّفِ إِيَّاهُمْ فِي ذَاتِهِ :

أَنَّهُ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ ، فَرْدٌ لَا مِثْلَ لَهُ ، صَمَدٌ لَا ضِدَّ لَهُ ، مُنْفَرِدٌ لَا نِدَّ لَهُ .

وَأَنَّهُ وَاحِدٌ قَدِيمٌ لَا أَوَّلَ لَهُ ، أَزَلِيٌّ لَا بِدَايَةَ لَهُ ، مُسْتَمِرُّ ٱلْوُجُودِ لَا آخِرَ لَهُ ، أَبَدِيٌّ لَا نِهَايَةَ لَهُ ، قَيُّومٌ لَا ٱنْقِطَاعَ لَهُ ، دَائِمٌ لَا ٱنْصِرَامَ لَهُ ، لَمْ يَزَلْ ـ وَلَا يَزَالُ ـ مَوْصُوفاً بِنُعُوتِ ٱلْجَلَالِ ، لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِ بِٱلِٱنْقِضَاءِ وَٱلِٱنْفِصَالِ بِتَصَرُّمِ ٱلْآبَادِ وَٱنْقِرَاضِ ٱلْآجَالِ ، بَلْ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ، وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ .

❊ ❊ ❊

ـ ٱلتَّنْزِيهُ

وَأَنَّهُ لَيْسَ بِجِسْمٍ مُصَوَّرٍ ، وَلَا جَوْهَرٍ مَحْدُودٍ مُقَدَّرٍ .

وَأَنَّهُ لَا يُمَاثِلُ ٱلْأَجْسَامَ لَا فِي ٱلتَّقْدِيرِ ، وَلَا فِي قَبُولِ ٱلِٱنْقِسَامِ .

وَأَنَّهُ لَيْسَ بِجَوْهَرٍ وَلَا تَحُلُّهُ ٱلْجَوَاهِرُ ، وَلَا بِعَرَضٍ وَلَا تَحُلُّهُ ٱلْأَعْرَاضُ ، بَلْ لَا يُمَاثِلُ مَوْجُوداً وَلَا يُمَاثِلُهُ مَوْجُودٌ ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَلَا هُوَ مِثْلَ شَيْءٍ .

وَأَنَّهُ لَا يَحُدُّهُ ٱلْمِقْدَارُ وَلَا تَحْوِيهِ ٱلْأَقْطَارُ ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ ٱلْجِهَاتُ وَلَا تَكْتَنِفُهُ ٱلْأَرَضُونَ وَٱلسَّمَاوَاتُ .

ٱلِٱسْتِوَاءُ

وَأَنَّهُ مُسْتَوٍ عَلَى ٱلْعَرْشِ ـ عَلَى ٱلْوَجْهِ ٱلَّذِي قَالَهُ وَبِٱلْمَعْنَى ٱلَّذِي أَرَادَهُ ـ ٱسْتِوَاءً مُنَزَّهاً عَنِ ٱلْمُمَاسَّةِ وَٱلِٱسْتِقْرَارِ ، وَٱلتَّمَكُّنِ وَٱلْحُلُولِ وَٱلِٱنْتِقَالِ ، لَا يَحْمِلُهُ ٱلْعَرْشُ ، بَلِ ٱلْعَرْشُ وَحَمَلَتُهُ مَحْمُولُونَ بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ ، وَمَقْهُورُونَ فِي قَبْضَتِهِ ، وَهُوَ فَوْقَ ٱلْعَرْشِ وَٱلسَّمَاءِ ، وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ إِلَىٰ تُخُومِ ٱلثَّرَىٰ ، فَوْقِيَّةً لَا تَزِيدُهُ قُرْباً إِلَى ٱلْعَرْشِ وَٱلسَّمَاءِ ، كَمَا لَا تَزِيدُهُ بُعْداً عَنِ ٱلْأَرْضِ وَٱلثَّرَىٰ ، بَلْ هُوَ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَاتِ عَنِ ٱلْعَرْشِ ، كَمَا أَنَّهُ رَفِيعُ

ٱلدَّرَجَاتِ عَنِ ٱلثَّرَىٰ ، وَهُوَ مَعَ ذَٰلِكَ قَرِيبٌ مِنْ كُلِّ مَوْجُودٍ ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى ٱلْعَبْدِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ؛ إِذْ لَا يُمَاثِلُ قُرْبُهُ قُرْبَ ٱلْأَجْسَامِ ، كَمَا لَا تُمَاثِلُ ذَاتُهُ ذَاتَ ٱلْأَجْسَامِ .

وَأَنَّهُ لَا يَحُلُّ فِي شَيْءٍ وَلَا يَحُلُّ فِيهِ شَيْءٌ ، تَعَالَىٰ عَنْ أَنْ يَحْوِيَهُ مَكَانٌ ، كَمَا تَقَدَّسَ عَنْ أَنْ يَحُدَّهُ زَمَانٌ ، بَلْ كَانَ قَبْلَ أَنْ خَلَقَ ٱلزَّمَانَ وَٱلْمَكَانَ ، وَهُوَ ٱلْآنَ عَلَىٰ مَا عَلَيْهِ كَانَ .

وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ بَائِنٌ عَنْ خَلْقِهِ بِصِفَاتِهِ ، لَيْسَ فِي ذَاتِهِ سِوَاهُ ، وَلَا فِي سِوَاهُ ذَاتُهُ .

وَأَنَّهُ مُقَدَّسٌ عَنِ ٱلتَّغَيُّرِ وَٱلِٱنْتِقَالِ ، لَا تَحُلُّهُ ٱلْحَوَادِثُ وَلَا تَعْتَرِيهِ ٱلْعَوَارِضُ ، بَلْ لَمْ يَزَلْ فِي نُعُوتِ جَلَالِهِ مُنَزَّهاً عَنِ ٱلزَّوَالِ ، وَفِي صِفَاتِ كَمَالِهِ مُسْتَغْنِياً عَنْ زِيَادَةِ ٱلِٱسْتِكْمَالِ .

وَأَنَّهُ فِي ذَاتِهِ مَعْلُومُ ٱلْوُجُودِ بِٱلْعُقُولِ ، كَمَا أَنَّهُ مَرْئِيٌّ

ٱلذَّاتِ بِٱلْأَبْصَارِ ؛ نِعْمَةً مِنْهُ وَمِنَّةً وَلُطْفاً بِٱلْأَبْرَارِ فِي دَارِ ٱلْقَرَارِ ، وَإِتْمَاماً لِلنَّعِيمِ بِٱلنَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِهِ ٱلْكَرِيمِ .

❊ ❊ ❊

ٱلْقُدْرَةُ

وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ حَيٌّ قَادِرٌ جَبَّارٌ قَاهِرٌ ، لَا يَعْتَرِيهِ قُصُورٌ وَلَا عَجْزٌ، وَلَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ، وَلَا يُعَارِضُهُ فَنَاءٌ وَلَا مَوْتٌ .

وَأَنَّهُ ذُو ٱلْمُلْكِ وَٱلْمَلَكُوتِ وَٱلْقُدْرَةِ وَٱلْجَبَرُوتِ ، لَهُ ٱلسُّلْطَانُ وَٱلْقَهْرُ وَٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ، وَٱلسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ، وَٱلْخَلَائِقُ مَقْهُورُونَ فِي قَبْضَتِهِ .

وَأَنَّهُ ٱلْمُنْفَرِدُ بِٱلْخَلْقِ وَٱلِٱخْتِرَاعِ ، وَٱلْمُتَوَحِّدُ بِٱلْإِيجَادِ وَٱلْإِبْدَاعِ ، خَلَقَ ٱلْخَلْقَ وَأَعْمَالَهُمْ ، وَقَدَّرَ أَرْزَاقَهُمْ وَآجَالَهُمْ ، لَا يَشُذُّ عَنْ قَبْضَتِهِ مَقْدُورٌ ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ تَصَارِيفُ ٱلْأُمُورِ ، لَا تُحْصَىٰ مَعْلُومَاتُهُ ، وَلَا تَتَنَاهَىٰ مَقْدُورَاتُهُ .

❊ ❊ ❊

ٱلْعِلْمُ

وَأَنَّهُ عَالِمٌ بِجَمِيعِ ٱلْمَعْلُومَاتِ ، مُحِيطٌ بِمَا يَجْرِي مِنْ تُخُومِ ٱلْأَرْضِ إِلَىٰ أَعْلَى ٱلسَّمَاوَاتِ ، لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ ، بَلْ يَعْلَمُ دَبِيبَ ٱلنَّمْلَةِ ٱلسَّوْدَاءِ عَلَى ٱلصَّخْرَةِ ٱلصَّمَّاءِ فِي ٱللَّيْلَةِ ٱلظَّلْمَاءِ ، وَيُدْرِكُ حَرَكَةَ ٱلذَّرِّ فِي جَوِّ ٱلْهَوَاءِ ، وَيَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَىٰ ، وَيَطَّلِعُ عَلَىٰ هَوَاجِسِ ٱلضَّمَائِرِ ، وَحَرَكَاتِ ٱلْخَوَاطِرِ وَخَفِيَّاتِ ٱلسَّرَائِرِ ، بِعِلْمٍ قَدِيْمٍ أَزَلِيٍّ ، لَمْ يَزَلْ مَوْصُوفاً بِهِ فِي أَزَلِ ٱلْآزَالِ ، لَا بِعِلْمٍ مُتَجَدِّدٍ حَاصِلٍ فِي ذَاتِهِ بِٱلْحُلُولِ وَٱلِٱنْتِقَالِ .

* * *

ٱلْإِرَادَةُ

وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ مُرِيدٌ لِلْكَائِنَاتِ ، مُدَبِّرٌ لِلْحَادِثَاتِ ، فَلَا يَجْرِي فِي ٱلْمِلْكِ وَٱلْمَلَكُوتِ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ ، صَغِيرٌ وَلَا

كَبيرٌ ، خَيْرٌ أَوْ شَرٌّ ، نَفْعٌ أَوْ ضُرٌّ ، إِيمَانٌ أَوْ كُفْرٌ ، عِرْفَانٌ أَوْ نُكْرٌ ، فَوْزٌ أَوْ خُسْرَانٌ ، زِيَادَةٌ أَوْ نُقْصَانٌ ، طَاعَةٌ أَوْ عِصْيَانٌ .. إِلَّا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ ، وَحُكْمِهِ وَمَشِيئَتِهِ ، فَمَا شَاءَ .. كَانَ ، وَمَا لَمْ يَشَأْ .. لَمْ يَكُنْ ، لَا يَخْرُجُ عَنْ مَشِيئَتِهِ لَفْتَةُ نَاظِرٍ وَلَا فَلْتَةُ خَاطِرٍ ، بَلْ هُوَ ٱلْمُبْدِئُ ٱلْمُعِيدُ ، ٱلْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ ، لَا رَادَّ لِحُكْمِهِ ، وَلَا مُعَقِّبَ لِقَضَائِهِ ، وَلَا مَهْرَبَ لِعَبْدٍ عَنْ مَعْصِيَتِهِ إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَلَا قُوَّةَ عَلَىٰ طَاعَتِهِ إِلَّا بِمَحَبَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ ؛ فَلَوِ ٱجْتَمَعَ ٱلْإِنْسُ وَٱلْجِنُّ وَٱلْمَلَائِكَةُ وَٱلشَّيَاطِينُ عَلَىٰ أَنْ يُحَرِّكُوا فِي ٱلْعَالَمِ ذَرَّةً أَوْ يُسْكِنُوهَا دُونَ إِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ .. لَعَجَزُوا عَنْهُ .

وَأَنَّ إِرَادَتَهُ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ فِي جُمْلَةِ صِفَاتِهِ ، لَمْ يَزَلْ كَذَٰلِكَ مَوْصُوفاً بِهَا ، مُرِيداً فِي أَزَلِهِ ؛ لِوُجُودِ ٱلْأَشْيَاءِ فِي أَوْقَاتِهَا ٱلَّتِي قَدَّرَهَا ، فَوُجِدَتْ كَمَا أَرَادَهَا فِي أَزَلِهِ مِنْ غَيْرِ

تَقَدُّمٍ وَلَا تَأَخُّرٍ ، بَلْ وَقَعَتْ عَلَىٰ وَفْقِ عِلْمِهِ وَإِرَادَتِهِ مِنْ غَيْرِ تَبَدُّلٍ وَلَا تَغَيُّرٍ ، دَبَّرَ ٱلْأُمُورَ لَا بِتَرْتِيبِ أَفْكَارٍ وَلَا تَرَبُّصِ زَمَانٍ ، فَلِذَٰلِكَ لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ .

* * *

ٱلسَّمْعُ وَٱلْبَصَرُ

وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ، يَسْمَعُ وَيَرَىٰ ، لَا يَعْزُبُ عَنْ سَمْعِهِ مَسْمُوعٌ وَإِنْ خَفِيَ ، وَلَا يَغِيبُ عَنْ رُؤْيَتِهِ مَرْئِيٌّ وَإِنْ دَقَّ ، وَلَا يَحْجُبُ سَمْعَهُ بُعْدٌ ، وَلَا يَدْفَعُ رُؤْيَتَهُ ظَلَامٌ ، يَرَىٰ مِنْ غَيْرِ حَدَقَةٍ وَأَجْفَانٍ ، وَيَسْمَعُ مِنْ غَيْرِ أَصْمِخَةٍ وَآذَانٍ ، كَمَا يَعْلَمُ بِغَيْرِ قَلْبٍ ، وَيَبْطِشُ بِغَيْرِ جَارِحَةٍ ، وَيَخْلُقُ بِغَيْرِ آلَةٍ ؛ إِذْ لَا تُشْبِهُ صِفَاتُهُ صِفَاتِ ٱلْخَلْقِ ، كَمَا لَا تُشْبِهُ ذَاتُهُ ذَاتَ ٱلْخَلْقِ .

* * *

ٱلْكَلَامُ

وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ مُتَكَلِّمٌ آمِرٌ نَاهٍ وَاعِدٌ مُتَوَعِّدٌ بِكَلَامٍ قَدِيمٍ أَزَلِيٍّ قَائِمٍ بِذَاتِهِ ، لَا يُشْبِهُ كَلَامَ ٱلْخَلْقِ ، وَلَيْسَ بِصَوْتٍ يَحْدُثُ مِنْ بَيْنِ ٱنْسِلَالِ هَوَاءٍ وَٱصْطِكَاكِ أَجْرَامٍ ، وَلَا بِحَرْفٍ يَنْقَطِعُ بِإِطْبَاقِ شَفَةٍ أَوْ تَحْرِيكِ لِسَانٍ .

وَأَنَّ ٱلْقُرْآنَ وَٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنْجِيلَ وَٱلزَّبُورَ كُتُبُهُ ٱلْمُنَزَّلَةُ عَلَىٰ رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ .

وَأَنَّ ٱلْقُرْآنَ مَقْرُوءٌ بِٱلْأَلْسِنَةِ ، مَكْتُوبٌ فِي ٱلْمَصَاحِفِ ، مَحْفُوظٌ فِي ٱلْقُلُوبِ ، وَهُوَ مَعَ ذَٰلِكَ قَدِيمٌ قَائِمٌ بِذَاتِهِ جَلَّ جَلَالُهُ ، لَا يَقْبَلُ ٱلِٱنْفِصَالَ وَٱلِٱفْتِرَاقَ بِٱلِٱنْتِقَالِ إِلَى ٱلْقُلُوبِ وَٱلْأَوْرَاقِ .

وَأَنَّ مُوسَىٰ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ كَلَامَ ٱللهِ تَعَالَىٰ بِغَيْرِ صَوْتٍ وَلَا حَرْفٍ ، كَمَا يَرَى ٱلْأَبْرَارُ ذَاتَ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ

مِنْ غَيْرِ جَوْهَرٍ وَلَا عَرَضٍ ، وَإِذَا كَانَتْ لَهُ هَـٰذِهِ ٱلصِّفَاتُ . . كَانَ حَيّاً عَالِماً ، قَادِراً مُرِيداً ، سَمِيعاً بَصِيراً ، مُتَكَلِّماً بِٱلْحَيَاةِ وَٱلْقُدْرَةِ ، وَٱلْعِلْمِ وَٱلْإِرَادَةِ ، وَٱلسَّمْعِ وَٱلْبَصَرِ وَٱلْكَلَامِ ، لَا بِمُجَرَّدِ ٱلذَّاتِ .

❊ ❊ ❊

ٱلْأَفْعَالُ

وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَا مَوْجُودَ سِوَاهُ إِلَّا وَهُوَ حَادِثٌ بِفِعْلِهِ وَفَائِضٌ مِنْ عَدْلِهِ ، عَلَىٰ أَحْسَنِ ٱلْوُجُوهِ وَأَكْمَلِهَا ، وَأَتَمِّهَا وَأَعْدَلِهَا .

وَأَنَّهُ حَكِيمٌ فِي أَفْعَالِهِ عَادِلٌ فِي أَقْضِيَتِهِ ، وَلَا يُقَاسُ عَدْلُهُ بِعَدْلِ ٱلْعِبَادِ ؛ إِذِ ٱلْعَبْدُ يُتَصَوَّرُ مِنْهُ ٱلظُّلْمُ بِتَصَرُّفِهِ فِي مِلْكِ غَيْرِهِ ، وَٱللهُ لَا يُصَادِفُ لِغَيْرِهِ مِلْكاً حَتَّىٰ يَكُونَ تَصَرُّفُهُ فِيهِ ظُلْماً ، فَكُلُّ مَا سِوَاهُ مِنْ إِنْسٍ وَجِنٍّ ، وَمَلَكٍ وَشَيْطَانٍ ، وَسَمَاءٍ وَأَرْضٍ ، وَحَيَوَانٍ وَنَبَاتٍ ، وَجَوْهَرٍ

وَعَرَضٍ ، وَمُدْرَكٍ وَمَحْسُوسٍ .. حَادِثٌ ٱخْتَرَعَهُ بَعْدَ ٱلْعَدَمِ ٱخْتِرَاعاً ، وَأَنْشَأَهُ إِنْشَاءً ؛ إِذْ كَانَ فِي ٱلْأَزَلِ مَوْجُوداً وَحْدَهُ ـ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ غَيْرُهُ ـ فَأَحْدَثَ ٱلْخَلْقَ بَعْدَ ذَٰلِكَ ؛ إِظْهَاراً لِقُدْرَتِهِ وَتَحْقِيقاً لِمَا سَبَقَ مِنْ إِرَادَتِهِ ، وَلِمَا حَقَّ فِي ٱلْأَزَلِ مِنَ كَلِمَتِهِ ، لَا لِٱفْتِقَارِهِ إِلَيْهِ وَحَاجَتِهِ .

وَأَنَّهُ مُتَفَضِّلٌ بِٱلْخَلْقِ وَٱلِٱخْتِرَاعِ وَٱلتَّكْلِيفِ لَا عَنْ وُجُوبٍ عَلَيْهِ ، وَمُتَطَوِّلٌ بِٱلْإِنْعَامِ وَٱلْإِصْلَاحِ لَا عَنْ لُزُومٍ .

فَلَهُ ٱلْفَضْلُ وَٱلْإِحْسَانُ وَٱلنِّعْمَةُ وَٱلِٱمْتِنَانُ ؛ إِذْ كَانَ قَادِراً عَلَىٰ أَنْ يَصُبَّ عَلَىٰ عِبَادِهِ أَنْوَاعَ ٱلْعَذَابِ ، وَيَبْتَلِيَهُمْ بِضُرُوبِ ٱلْآلَامِ وَٱلْأَوْصَابِ ، وَلَوْ فَعَلَ ذَٰلِكَ .. لَكَانَ مِنْهُ عَدْلاً ، وَلَمْ يَكُنْ قَبِيحاً وَلَا ظُلْماً .

وَأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُثِيبُ عِبَادَهُ عَلَى ٱلطَّاعَاتِ بِحُكْمِ ٱلْكَرَمِ وَٱلْوَعْدِ ، لَا بِحُكْمِ ٱلِٱسْتِحْقَاقِ وَٱللُّزُومِ لَهُ ؛ إِذْ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ حَقٌّ ، وَلَا يُتَصَوَّرُ مِنْهُ ظُلْمٌ ، وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ لِأَحَدٍ حَقٌّ .

وَأَنَّ حَقَّهُ فِي ٱلطَّاعَاتِ وَجَبَ عَلَى ٱلْخَلْقِ بِإِيجَابِهِ عَلَىٰ أَلْسِنَةِ أَنْبِيَائِهِ عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ لَا بِمُجَرَّدِ ٱلْعَقْلِ ؛ وَلَـٰكِنَّهُ بَعَثَ ٱلرُّسُلَ وَأَظْهَرَ صِدْقَهُمْ بِٱلْمُعْجِزَاتِ ٱلظَّاهِرَةِ ، فَبَلَّغُوا أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ ، وَوَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ ؛ فَوَجَبَ عَلَى ٱلْخَلْقِ تَصْدِيقُهُمْ فِيمَا جَاؤُوا بِهِ .

* * *

مَعْنَى ٱلْكَلِمَةِ ٱلثَّانِيَةِ، وَهِيَ : شَهَادَةُ ٱلرَّسُولِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَأَنَّهُ بَعَثَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلْعَرَبِيَّ ٱلْقُرَشِيَّ مُحَمَّداً صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِسَالَتِهِ إِلَىٰ كَافَّةِ ٱلْعَرَبِ وَٱلْعَجَمِ ، وَٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ ؛ فَنَسَخَ بِشَرِيعَتِهِ ٱلشَّرَائِعَ إِلَّا مَا قَرَّرَ مِنْهَا .

وَفَضَّلَهُ عَلَىٰ سَائِرِ ٱلْأَنْبِيَاءِ ، وَجَعَلَهُ سَيِّدَ ٱلْبَشَرِ ، وَمَنَعَ كَمَالَ ٱلْإِيمَانِ بِشَهَادَةِ ٱلتَّوْحِيدِ ـ وَهُوَ قَوْلُكَ : (لَا إِلَـٰهَ

إِلَّا ٱللهِ) ـ مَا لَمْ يَقْتَرِنْ بِهَا ٱلشَّهَادَةُ بِٱلرَّسُولِ ؛ وَهُوَ قَوْلُكَ : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ) .

وَأَلْزَمَ ٱلْخَلْقَ تَصْدِيقَهُ فِي جَمِيعِ مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْهُ فِي أَمْرِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ .

وَأَنَّهُ لَا يَتَقَبَّلُ إِيمَانَ عَبْدٍ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ .

وَأَوَّلُهُ : سُؤَالُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ وَهُمَا : شَخْصَانِ مَهِيبَانِ هَائِلَانِ ، يُقْعِدَانِ ٱلْعَبْدَ فِي قَبْرِهِ سَوِيّاً ذَا رُوحٍ وَجَسَدٍ ، فَيَسْأَلَانِهِ عَنِ ٱلتَّوْحِيدِ وَٱلْإِيمَانِ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ وَهُمَا فَتَّانَا ٱلْقَبْرِ ، وَسُؤَالُهُمَا أَوَّلُ فِتْنَةٍ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ .

* * *

وَأَنْ يُؤْمِنَ بِعَذَابِ ٱلْقَبْرِ ، وَأَنَّهُ حَقٌّ وَحِكْمَةٌ وَعَدْلٌ عَلَى ٱلْجَسَدِ وَٱلرُّوحِ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ .

وَأَنْ يُؤْمِنَ بِٱلْمِيزَانِ ذِي ٱلْكِفَّتَيْنِ وَٱللِّسَانِ ، وَصِفَتُهُ فِي ٱلْعِظَمِ مِثْلُ طِبَاقِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ، تُوزَنُ فِيهِ ٱلْأَعْمَالُ بِقُدْرَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَٱلصَّنْجُ يَوْمَئِذٍ : مَثَاقِيلُ ٱلذَّرِّ وَٱلْخَرْدَلِ ؛ تَحْقِيقاً لِتَمَامِ ٱلْعَدْلِ ، فَتُطْرَحُ صَحَائِفُ ٱلْحَسَنَاتِ فِي كِفَّةٍ مِنَ ٱلنُّورِ فَيَثْقُلُ بِهَا ٱلْمِيزَانُ عَلَىٰ قَدْرِ دَرَجَاتِهَا عِنْدَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَتُطْرَحُ صَحَائِفُ ٱلسَّيِّئَاتِ فِي كِفَّةِ ٱلظُّلْمَةِ فَيَخِفُّ بِهَا ٱلْمِيزَانُ بِعَدْلِ ٱللهِ .

* * *

وَأَنْ يُؤْمِنَ بِٱلصِّرَاطِ وَهُوَ حَقٌّ ، وَهُوَ : جِسْرٌ مَمْدُودٌ عَلَىٰ مَتْنِ جَهَنَّمَ ، أَحَدُّ مِنَ ٱلسَّيْفِ ، وَأَدَقُّ مِنَ ٱلشَّعْرِ ، تَزِلُّ عَلَيْهِ أَقْدَامُ ٱلْكُفَّارِ بِحُكْمِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ فَتَهْوِي بِهِمْ إِلَى ٱلنَّارِ ، وَتَثْبُتُ عَلَيْهِ أَقْدَامُ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِ ٱللهِ فَيُسَاقُونَ إِلَىٰ دَارِ ٱلْقَرَارِ .

* * *

وَأَنْ يُؤْمِنَ بِٱلْحَوْضِ ٱلْمَوْرُودِ حَوْضِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَشْرَبُ مِنْهُ ٱلْمُؤْمِنُونَ قَبْلَ دُخُولِ ٱلْجَنَّةِ ، وَبَعْدَ جَوَازِ ٱلصِّرَاطِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً .. لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَداً ، عَرْضُهُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ ٱللَّبَنِ ، وَأَحْلَىٰ مِنَ ٱلْعَسَلِ ، حَوْلَهُ أَبَارِيقُ عَدَدَ نُجُومِ ٱلسَّمَاءِ ، فِيهِ مِيزَابَانِ يَصُبَّانِ مِنَ ٱلْكَوْثَرِ .

* * *

وَأَنْ يُؤْمِنَ بِٱلْحِسَابِ وَتَفَاوُتِ ٱلْخَلْقِ فِيهِ إِلَىٰ مُنَاقَشٍ فِي ٱلْحِسَابِ ، وَإِلَىٰ مُسَامَحٍ فِيهِ ، وَإِلَىٰ مَنْ يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، وَهُمُ : ٱلْمُقَرَّبُونَ .

فَيَسْأَلُ ٱللهُ تَعَالَىٰ مَنْ شَاءَ مِنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ عَنْ تَبْلِيغِ ٱلرِّسَالَةِ ، وَمَنْ شَاءَ مِنَ ٱلْكُفَّارِ عَنْ تَكْذِيبِ ٱلرُّسُلِ ، وَيَسْأَلُ ٱلْمُبْتَدِعَةَ عَنِ ٱلسُّنَّةِ ، وَيَسْأَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ عَنِ ٱلْأَعْمَالِ .

وَيُؤْمِنَ بِإِخْرَاجِ ٱلْمُوَحِّدِينَ مِنَ ٱلنَّارِ بَعْدَ ٱلِٱنْتِقَامِ ، حَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مِنْهُمْ مُوَحِّدٌ بِفَضْلِ ٱللهِ تَعَالَىٰ .

* * *

وَأَنْ يُؤْمِنَ بِشَفَاعَةِ ٱلْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ ٱلْعُلَمَاءِ ، ثُمَّ ٱلشُّهَدَاءِ ، ثُمَّ سَائِرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، كُلٌّ عَلَىٰ حَسَبِ جَاهِهِ وَمَنْزِلَتِهِ عِنْدَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَمَنْ بَقِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَفِيعٌ .. أُخْرِجَ بِفَضْلِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَلَا يَخْلُدُ فِي ٱلنَّارِ مُؤْمِنٌ ، بَلْ يُخْرَجُ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ ٱلْإِيمَانِ .

* * *

وَأَنْ يَعْتَقِدَ فَضْلَ ٱلصَّحَابَةِ عَلَىٰ تَرْتِيبِهِمْ ، وَأَنَّ أَفْضَلَ ٱلنَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرُ ، ثُمَّ عُثْمَانُ ، ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

وَأَنْ يُحَسِّنَ ٱلظَّنَّ بِهِمْ وَبِجَمِيعِ ٱلصَّحَابَةِ بِجُمْلَتِهِمْ ، وَيُثْنِيَ عَلَيْهِمْ كَمَا أَثْنَى ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ . فَكُلُّ ذَٰلِكَ مِمَّا وَرَدَتْ بِهِ ٱلْأَخْبَارُ ، وَشَهِدَتْ بِهِ ٱلْآثَارُ .

فَمَنِ ٱعْتَقَدَ جَمِيعَ ذَٰلِكَ مُوقِناً بِهِ .. كَانَ مِنْ أَهْلِ ٱلْحَقِّ وَعِصَابَةِ ٱلسُّنَّةِ ، وَفَارَقَ رَهْطَ ٱلضَّلَالَةِ وَحِزْبَ ٱلْبِدْعَةِ .

فَنَسْأَلُ ٱللهَ تَعَالَىٰ : كَمَالَ ٱلْيَقِينِ ، وَٱلثَّبَاتَ عَلَى ٱلدِّينِ لَنَا وَلِكَافَّةِ ٱلْمُسْلِمِينَ ؛ إِنَّهُ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ .

* * *

فَصْلٌ فِي وَجْهِ ٱلتَّدْرِيجِ وَٱلْإِرْشَادِ فِي تَرْتِيبِ دَرَجَاتِ ٱلِٱعْتِقَادِ

اِعْلَمْ : أَنَّ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ تَرْجَمَةِ ٱلْعَقِيدَةِ يَنْبَغِي أَنْ يُقَدَّمَ إِلَى ٱلصَّبِيِّ فِي أَوَّلِ نُشُوئِهِ ؛ لِيَحْفَظَهُ حِفْظاً ؛ ثُمَّ لَا يَزَالُ يَنْكَشِفُ لَهُ مَعْنَاهُ فِي كِبَرِهِ شَيْئاً فَشَيْئاً .

فَٱبْتِدَاؤُهُ ٱلْحِفْظُ ، ثُمَّ ٱلْفَهْمُ ، ثُمَّ ٱلِٱعْتِقَادُ وَٱلْإِيقَانُ

وَٱلتَّصْدِيقُ بِهِ ، وَذَٰلِكَ مِمَّا يُحَصَّلُ فِي ٱلصِّبَا بِغَيْرِ بُرْهَانٍ ، فَمِنْ فَضْلِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ قَلْبِ ٱلْإِنْسَانِ شَرْحُهُ فِي أَوَّلِ نُشُوئِهِ لِلْإِيمَانِ ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَىٰ حُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ ، وَكَيْفَ يُنْكَرُ ذَٰلِكَ وَجَمِيعُ عَقَائِدِ ٱلْعَوَامِّ مَبَادِئُهَا ٱلتَّلْقِينُ ٱلْمُجَرَّدُ وَٱلتَّقْلِيدُ وَٱلتَّعْلِيمُ ٱلْمَحْضُ ؟!

نَعَمْ ؛ يَكُونُ ٱلِٱعْتِقَادُ ٱلْحَاصِلُ بِمُجَرَّدِ ٱلتَّقْلِيدِ غَيْرَ خَالٍ عَنْ نَوْعٍ مِنَ ٱلضَّعْفِ فِي ٱلِٱبْتِدَاءِ ؛ عَلَىٰ مَعْنَىٰ : أَنَّهُ يَقْبَلُ ٱلْإِزَالَةَ بِنَقِيضِهِ لَوْ أُلْقِيَ إِلَيْهِ .

وَلَا بُدَّ مِنْ تَقْوِيَتِهِ وَإِثْبَاتِهِ فِي نَفْسِ ٱلصَّبِيِّ وَٱلْعَامِّيِّ حَتَّىٰ يَتَرَسَّخَ وَلَا يَتَزَلْزَلَ ، وَلَيْسَ ٱلطَّرِيقُ فِي تَقْوِيَتِهِ أَنْ يُعَلَّمَ صَنْعَةَ ٱلْجَدَلِ وَٱلْكَلَامِ ، بَلْ يَشْتَغِلُ بِتِلَاوَةِ ٱلْقُرْآنِ وَتَفْسِيرِهِ ، وَقِرَاءَةِ ٱلْحَدِيثِ وَمَعَانِيهِ ، وَيَشْتَغِلُ بِوَظَائِفِ ٱلْعِبَادَاتِ ، فَلَا يَزَالُ ٱعْتِقَادُهُ يَزْدَادُ رُسُوخاً بِمَا يَقْرَعُ سَمْعَهُ مِنْ أَدِلَّةِ ٱلْقُرْآنِ وَحُجَجِهِ ، وَبِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ شَوَاهِدِ

ٱلْأَحَادِيثِ وَفَوَائِدِهَا ، وَبِمَا يَسْطَعُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْوَارِ ٱلْعِبَادَاتِ وَوَظَائِفِهَا ، وَبِمَا يَسْرِي إِلَيْهِ مِنْ مُشَاهَدَةِ ٱلصَّالِحِينَ وَمُجَالَسَتِهِمْ ، وَسِيمَاهُمْ وَسَمَاعِهِمْ ، وَهَيْئَاتِهِمْ فِي ٱلْخُضُوعِ لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ وَٱلْخَوْفِ مِنْهُ وَٱلِٱسْتِكَانَةِ لَهُ ؛ لِيَكُونَ أَوَّلَ ٱلتَّلْقِينِ كَإِلْقَاءِ بِذْرٍ فِي ٱلصُّدُورِ ، وَتَكُونَ هَـٰذِهِ ٱلْأَسْبَابُ كَٱلسَّقْيِ وَٱلتَّرْبِيَةِ لَهُ حَتَّىٰ يَنْمُوَ ذَٰلِكَ ٱلْبِذْرُ وَيَقْوَىٰ وَيَكُونَ شَجَرَةً طَيِّبَةً رَاسِخَةً ، أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَاءِ ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا .

ثُمَّ ٱلصَّبِيُّ إِذَا وَقَعَ نُشُوؤُهُ عَلَىٰ هَـٰذِهِ ٱلْعَقِيدَةِ :

فَإِنِ ٱشْتَغَلَ بِكَسْبِ ٱلدُّنْيَا .. لَمْ يَنْفَتِحْ لَهُ غَيْرُهَا إِلَّا أَنَّهُ يَسْلَمُ فِي ٱلْآخِرَةِ بِٱعْتِقَادِ ٱلْحَقِّ ؛ إِذْ لَمْ يُكَلِّفِ ٱلشَّرْعُ أَجْلَافَ ٱلْعَرَبِ أَكْثَرَ مِنَ ٱلتَّصْدِيقِ وَٱلْجَزْمِ بِظَاهِرِ هَـٰذِهِ ٱلْعَقِيدَةِ ، وَأَمَّا ٱلْبَحْثُ وَٱلتَّفْتِيشُ وَتَكَلُّفُ نُظُمِ ٱلْأَدِلَّةِ : فَلَمْ يُكَلَّفُوا ذَٰلِكَ أَصْلاً .

وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مِنْ سَالِكِي طَرِيقِ ٱلْآخِرَةِ وَسَاعَدَهُ ٱلتَّوْفِيقُ حَتَّى ٱشْتَغَلَ بِٱلْعَمَلِ وَلَازَمَ ٱلتَّقْوَىٰ ، وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ، وَٱشْتَغَلَ بِٱلرِّيَاضَةِ وَٱلْمُجَاهَدَةِ .. ٱنْفَتَحَ لَهُ أَبْوَابٌ مِنَ ٱلْهِدَايَةِ تَكْشِفُ عَنْ حَقَائِقَ هَـٰذِهِ ٱلْعَقِيدَةِ بِنُورٍ إِلَـٰهِيٍّ يُقْذَفُ فِي قَلْبِهِ ؛ وَذَٰلِكَ بِسَبَبِ ٱلْمُجَاهَدَةِ تَحْقِيقاً لِوَعْدِهِ تَعَالَىٰ ؛ إِذْ قَالَ : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ .

وَهُوَ ٱلْجَوْهَرُ ٱلنَّفِيسُ ٱلَّذِي هُوَ غَايَةُ ٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلْمُقَرَّبِينَ ، وَإِلَيْهِ ٱلْإِشَارَةُ بِٱلسِّرِّ ٱلَّذِي وَقَرَ فِي صَدْرِ أَبِي بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ حَيْثُ فَضَلَ بِهِ ٱلْخَلْقَ .

وَٱنْكِشَافُ ذَٰلِكَ ٱلسِّرِّ ـ بَلْ تِلْكَ ٱلْأَسْرَارِ ـ لَهُ دَرَجَاتٌ بِحَسَبِ دَرَجَاتِ ٱلْمُجَاهَدَةِ وَدَرَجَاتُ ٱلْبَاطِنِ فِي ٱلنَّظَافَةِ وَٱلطَّهَارَةِ عَمَّا سِوَى ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَفِي ٱلِاسْتِضَاءَةِ بِنُورِ ٱلْيَقِينِ ، وَذَٰلِكَ كَتَفَاوُتِ ٱلْخَلْقِ فِي أَسْرَارِ ٱلطِّبِّ وَٱلْفِقْهِ

وَسَائِرِ ٱلْعُلُومِ ؛ إِذْ تَخْتَلِفُ بِٱخْتِلَافِ ٱلِٱجْتِهَادِ وَٱخْتِلَافِ ٱلْفِطْرةِ فِي ٱلذَّكَاءِ وَٱلْفِطْنَةِ وَكَمَا لَا تَنْحَصِرُ تِلْكَ ٱلدَّرَجَاتُ .. فَكَذَٰلِكَ هَـٰذِهِ .

* * *



أهم مصادر التحقيق[1]

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، الحافظ علاء الدين علي بن بلبان (٧٣٩هـ) ، شعيب الأرنؤوط ، ط ٣ (١٩٩٧م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- إحياء علوم الدين ، الإمام محمد بن محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) ، بدون تحقيق ، (١٩٨٢م) ، دار المعرفة ، لبنان .

- آداب المريدين ، الإمام عبد القاهر بن عبد الله البكري السهروردي (ت٥٦٣هـ) ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، بدون تاريخ ، دار الوطن العربي ، مصر .

---

(١) اعتمدنا في فهرسة المصادر على التالي : اسم الكتاب ، اسم المؤلف وتاريخ وفاته ،اسم المحقق ، سنة طبع الكتاب ، اسم الدار الناشرة ومقرها .

ـ الأدب المفرد ، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ) ، خرج أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي ، ط٤ (١٩٩٧م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار البشائر الإسلامية ، لبنان .

ـ الأذكار « حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار » ، الإمام يحيىٰ بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ) ، حققه وعلق عليه بشير محمد عيون ، (١٤١٧هـ) ، مكتبة دار البيان ، سورية .

ـ البركة في فضل السعي والحركة ، الفقيه محمد بن عبد الرحمٰن الحبيشي (ت٧٨٢هـ) ، بدون تحقيق ، (١٤٠٦هـ) ، طبعة مصورة لدىٰ دار المعرفة ، لبنان .

ـ بغية المسترشدين في تلخيص فتاوىٰ بعض الأئمة من العلماء المتأخرين ، جمع السيد عبد الرحمٰن بن محمد باعلوي (ت ١٣٢٠) ، بدون تحقيق ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدىٰ دار المعرفة ، لبنان .

ـ تحفة المحتاج بشرح المنهاج ، الإمام أحمد ابن حجر الهيتمي (ت٩٧٤هـ) ، بدون تحقيق ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدىٰ دار صادر ، لبنان .

- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت٦٥٦هـ) ، حققه وعلق عليه محيي الدين مستو وسمير العطار ويوسف بديوي . دار ابن كثير ، سورية .

- تفسير الطبري « جامع البيان في تفسير القرآن » ، الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣٠١هـ) ، بدون تحقيق ، (١٩٧٢م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار المعرفة ، لبنان .

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) ، بعناية محمد أمين الخانجي ، ط ٥ (١٩٨٧م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتاب العربي ، لبنان .

- رياض الأنس اقتداءً بسيد الجن والإنس صلى الله عليه وسلم ، الإمام الحسن بن علي النيسابوري الواعظ ، مخطوط لدىٰ دار الكتب الظاهرية بدمشق ، (١١١ ورقة) ، رقمه (٥١٧) و (١٦٦٠٠) .

- الزهد ، الحافظ عبد الله بن المبارك المروزي (ت ١٨١هـ) ، تحقيق حبيب الرحمـٰن الأعظمي ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتب العلمية ، لبنان .

- سنن ابن ماجه ، الحافظ محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ) ، صححه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء الكتب العربية ، مصر .

- سنن أبي داوود « كتاب السنن » ، الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ) ، « تحقيق الشيخ » محمد عوامة ، (١٩٩٨م) ، دار القبلة ، السعودية .

- سنن الترمذي « الجامع الصحيح » ، الحافظ محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٩٧هـ)، تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوه عوض ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

- سنن الدارقطني ، الحافظ علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥هـ) ، عُني به عبد الله هاشم يماني المدني ، (١٣٨٦هـ) ، طبعة مصورة لدىٰ دار المعرفة ، لبنان .

- شعب الإيمان ، الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ) ، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، (١٩٩٠م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- صحيح ابن خزيمة ، الحافظ محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (ت ٣١١هـ) ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ، (١٩٧٠م) ، المكتب الإسلامي ، لبنان .

- صحيح البخاري « الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه » ، الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ) ، **الطبعة السلطانية** ، تشرف بالعناية به الدكتور محمد زهير بن ناصر الناصر ، (١٤٢٢هـ) ، دار طوق النجاة ، لبنان .

- صحيح مسلم، الحافظ مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ)، صححه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي ، (١٣٧٤هـ) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء الكتب العربية ، مصر .

- صفة الصفوة ، الإمام عبد الرحمـٰن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، صنع فهرسه عبد السلام هارون ، ط٢ (١٩٩٢م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، لبنان .

- العباب المحيط بمعظم نصوص الشافعي والأصحاب ، الإمام أحمد بن عمر المزجد (ت٩٣٠هـ) ، تحقيق حمدي الدمرداش ، (٢٠٠١م) ، دار الفكر ، لبنان .

- عمل اليوم والليلة ، الحافظ أحمد بن محمد الدينوري المعروف بابن السني (ت ٣٦٤هـ) ، حققه بشير محمد عيون ، ط٣ (١٩٩٤م) ، مكتبة دار البيان ، سورية .
- عوارف المعارف ، الإمام عمر بن محمد السهروردي (ت٦٣٢هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف ، (١٩٩٣م) ، دار المعارف ، مصر .
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، الحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، مجموعة من المحققين ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدىٰ مؤسسة مناهل العرفان ، لبنان .
- فيض القدير شرح الجامع الصغير ، الإمام محمد عبد الرؤوف المناوي (ت١٠٣١هـ) ، بعناية نخبة من العلماء ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدىٰ دار المعرفة ، لبنان .
- لسان الميزان ، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ، اعتنىٰ به الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، (٢٠٠٢م) ، دار البشائر الإسلامية ، لبنان .
- المستدرك على الصحيحين ، الحافظ محمد بن عبد الله الحاكم (ت٤٠٥هـ) ، بدون تحقيق ، بدون تاريخ ،

طبعة مصورة لدىٰ دار المعرفة ، لبنان .

- مسند الإمام أحمد ابن حنبل ، الحافظ أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط ، (١٩٩٥م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- مسند الشهاب ، الحافظ محمد بن سلامة القضاعي (ت ٤٥٤هـ) ، حققه حمدي عبد المجيد السلفي ، (١٩٨٥م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- الفردوس بمأثور الخطاب ، الحافظ شيرويه بن شهردار الديلمي (ت ٥٠٩هـ) ، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول ، (١٩٨٦م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- مصابيح السنة ، الإمام الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين ، (١٩٨٧م) ، دار المعرفة ، لبنان .

- مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار ، الحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (ت٢٣٥هـ) ، ضبطه وعلق عليه سعيد اللحام ، (١٩٩٤م) ، دار الفكر ، لبنان .

- المعجم الأوسط ، الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ) ، د . محمود الطحان ، (١٩٨٥م) ، دار المعارف ، السعودية .

- المعجم الصغير ، الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ) ، تحقيق محمد شكور ومحمود الحاج أمرير ، (١٩٨٥م) ، المكتب الإسلامي ، لبنان .

- المعجم الكبير ، الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ) ، حققه حمدي عبد المجيد السلفي ، (١٩٨٣م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

- الموطأ ، الإمام مالك بن أنس (١٧٩هـ) ، الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، بدون تاريخ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر .

- نوادر الأصول ، الإمام محمد الحكيم الترمذي ، بدون تحقيق ، (١٢٩٣هـ) ، طبعة مصورة لدىٰ دار صادر ، لبنان .

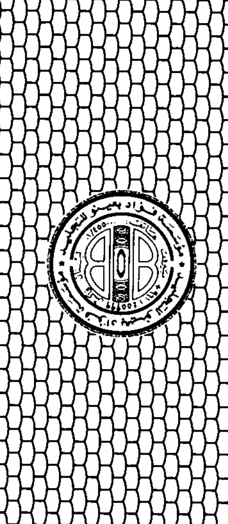


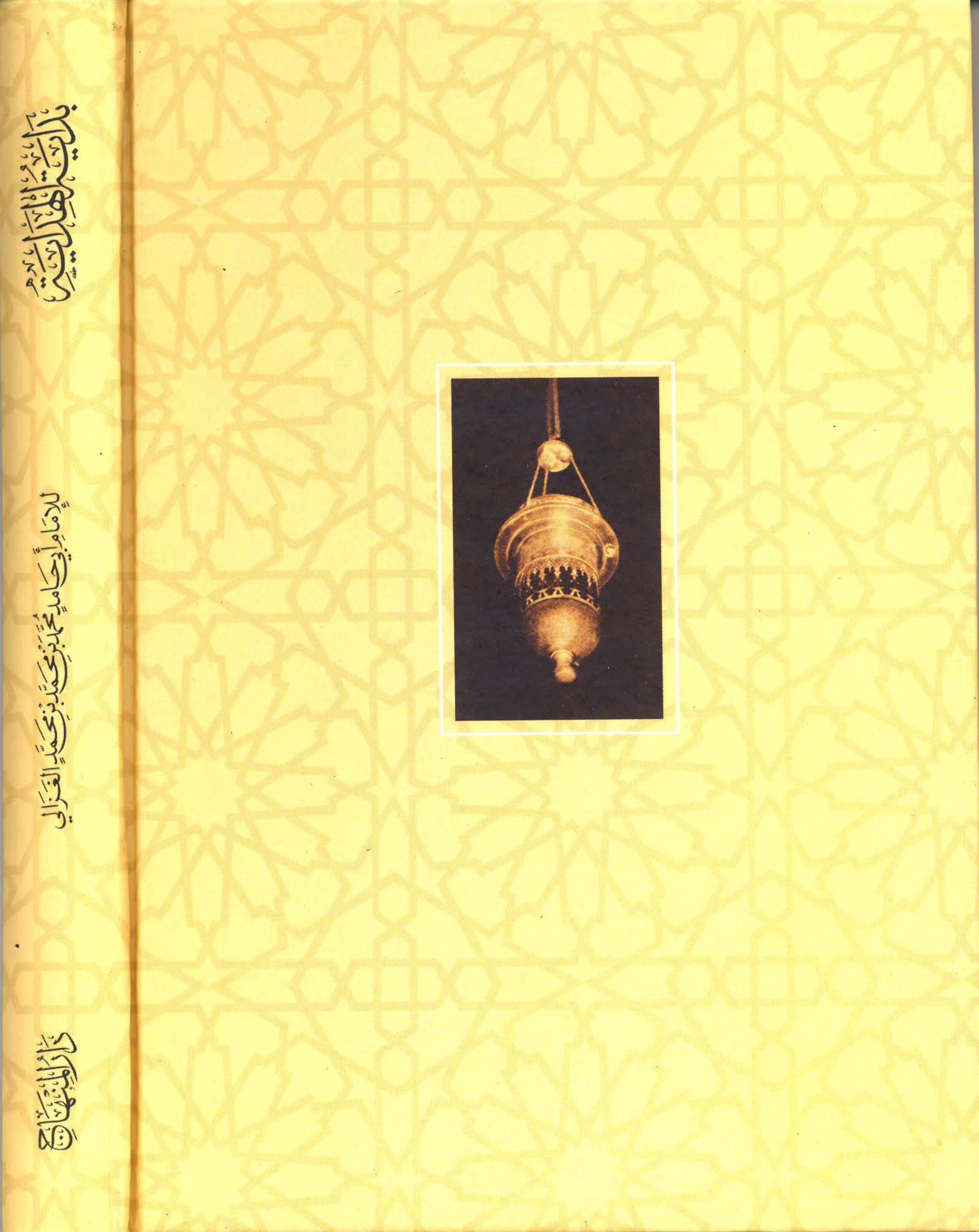
فهرس الكتاب

«عقيدة الإمام الغزالي»

* * *




مؤسسة فؤاد بعينو للتجليد


بداية الهداية
للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي
دار المنهاج